آثار طرابلس الغرب

دليل أثري وتاريخي لما قبل العصر الاسلامي



تأليف : د ٠ أ ٠ ل ٠ هينز   ترجمة : عديلة حسن مياس

مراجعـة : نور الدين الشللي وطه باقر

المملكة الليبيــة

وزارة السياحة والاثار

مصلحة الاثار

اثار طرابلس الغــرب

دليل أثرى وتاريخى لما قبـــل العصر الاسلامى

ترجمة : عديلة حسن مياس

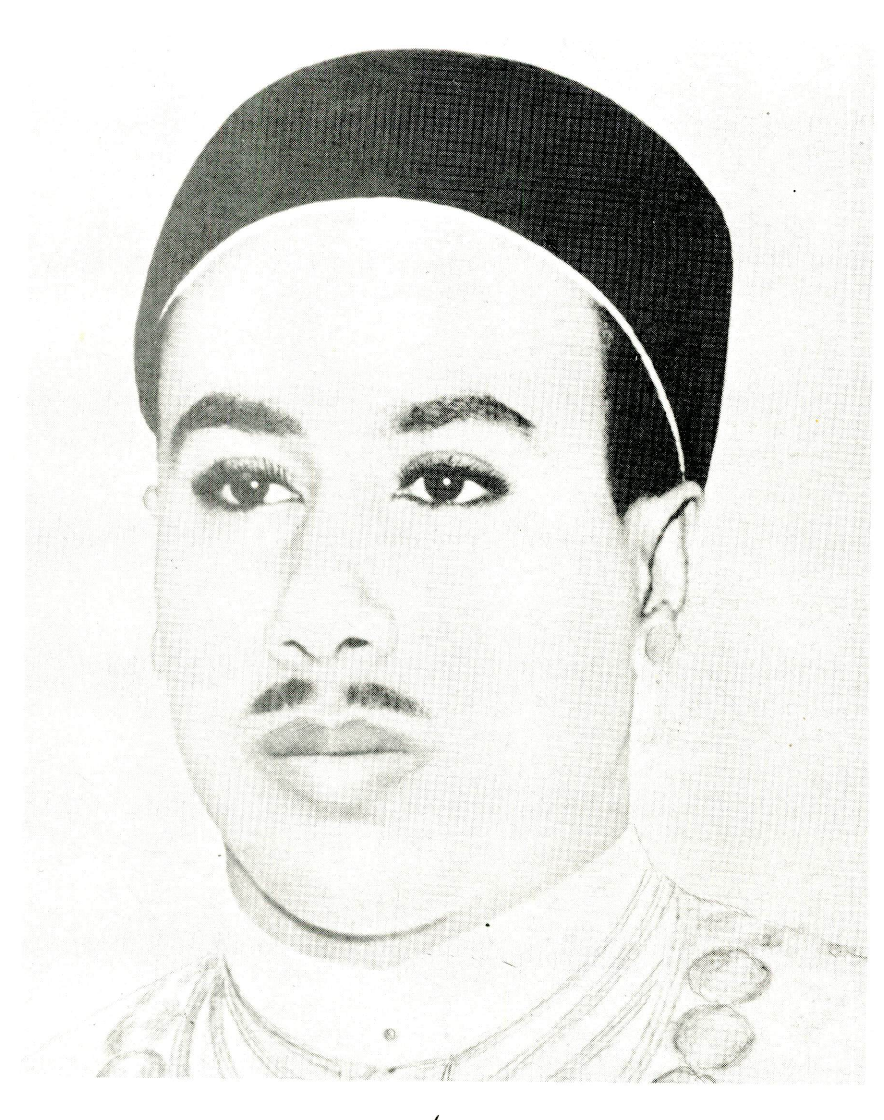
تأليف : د أ ٠ ل ٠ هينز



مراجعــة : نور الدين الشللى وطه باقر



حضرة الملك المعظم ادريس الأول حفظه الله



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن الرضا

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

اثار طرابلس الغرب

دليل أثرى وتاريخى لما قبل العصر الاسلامي

تشهد اخباره كلهـــا بانه جيل عزيز عـــلى الايام قوم مـــرهوب جانبهم شديد باسهم كثير جمعهم مظاهرون لامم العالم واجياله من العرب والفرس ويونان والروم

(ابن خلدون)

تقديـــم الكتـــاب

يســر مصلحة الاثــار ان تقدم الــىالقراء العرب من المعنيين بتاريخ هذا البلــد وتراثه الثقافى احدى النشرات الاثريـــــةالمهمة التى اضــطلعت باصدارها للتعريف بمخلفات هــذا البلد الــذى ازدهرت فيــهالحضارات المتعاقبة منذ أبعد عصور ماقبل التاريخ ، ونعنى بذلك ترجمة الكتاب القيمالموسوم « اثار طرابلس » لمؤلفه المشـــــهور « د٠أ٠ل هينز » الذى جاء رغم صغره احسنما الف فــى التعريــف بتاريــخ المحافظــات الغربية بوجه خاص والتاريخ الليبى بوجــهعام و،هو مايتناوله القسم الاول مـــــن الكتاب ، من مقدمة جغرافية بوجــه خــاصوالتاريخ الليبى بوجه عام ، وهو مايتناولــه القسم الاول من الكتاب ، من مقدمة جغرافيةللبلاد وسكانها الاقدمين ولمحة من عاداتهــم وتقاليدهم ثم صورة شاملة واضحة لاخبارالمستوطنين الاوائل من فينيقيين وتأسيسهم المراكز التجاريــة المشــهورة فى الســاحلالطرابلسى وتطور هذهالمراكز الى المدنالعظيمة وأحوال هذه المدن فى العهود الرومانية الىالفتح العربى الاسلامى فى القرن الســابـــع الميلادى ٠ ويتناول القسم الثانى من الكتاب وصفا وافيا لبقايا المدن الشهيرة فى الاجزاء الغربيــة مثــل لبــدة العظمــى وصــبراتهوطرابلس القديمة « أويا » ، وعرضا شاملا للبقايا الاخرى التى خلفها لنا سكان هـــذهالبلاد الاقدمونومازالت تنطق بالجهود الكبرى التى بذلوها فى الافادة فى بيئتهم الجغرافية بانشــاء خزانات الميــاه والســدود واقامــة المستوطنات المزدهرة فى الوديان المشهورة ٠

ويسرنا فى ختام هذه المقدمة ان ننوه بالجهود التى بذلتها المترجمة «السيدة عديلة حسن مياس» والمراجعات القيمة التى قام بها« الاستاذ نور الدين الشللى » مدير عــام الاثار « والاستاذ طه باقر » مستشار هــذهالمصلحة كما ساعد على اخراج هذا الكتــاب **جماعة من الموظفين الفنيين فى هذه المصلحة مثل (السيد عيسى سالم الاسود) الذى ضبط** اسماء المدن والاماكن الاثرية « والسيد احمدالفساطوى » الذى قام باعادة رسمالمخططات والصــور « والســيد فتحى أيوب العزابى »الذىخطط عناوين الخرائط والمخططات ٠

وأخيرا وليس آخرا نود ان نقـــــدمجزيل الشكر الى المؤلف الذى تفضلمشكورا بالموافقة على ترجمة هذا الكتاب الى اللغـــةالعربية تعميما لفائدته ٠

(عبد العزيز جبريل)

وكيل وزارةالسياحة والآثار لشئون الآثار

المحتـــويات

بيان اللوحات المصــــورة

رقم اللوحة

١ – منظر لبدة أخذ من الجو
٢ – قوس سبتميوس سفيروس في لبدة
٢ (أ) قوس سبتميوس سفيروس بعـد اعادة تخطيطه
٣ – موكب النصــــر – من قوس سبتميوس سفيروس في لبدة
٤ – الهـــة النصـــر – من قوس سبتميوس سفيروس في لبدة
٥ – فريجيداريوم (الحمام البارد) في حمــامات هادريانوس في لبدة بعـــد اعادة التخطيط
٦ – فريجيداريوم (الحمام البارد) حمامات هادريانوس في لبدة
٧ – رأس ميدوزا من الرواق المعقود بميدان سفيروس في لبدة
٨ – داخل بازليكة سفيروس – لبدة
٩ – الاعمدة المتاخمة لجدران بازليكة سفيروس – لبدة
١٠ – المرفأ الشرقي لميناء لبدة
١٠ (أ) – المرفأ الشرقي لميناء لبدة كما كان أصلا
١١ – كنيسة الفوروم القديم – لبدة
١٢ – قوس تراجان – لبدة
١٣ – الاوركسترا بمسرح لبدة
١٤ – قوس ماركوس أوريليــوس – طرابلس
١٥ – منظر لصبراته من الجو
١٦ – المعبد الانطونيني – صبراته
١٧ – منظر ميدان (فوروم) صبراته من الجو
١٨ – معبدليبرباتر والميدان – صبرته – كما كانا أصلا
١٩ – معبد ليبرباتر – صبراته
٢٠ – بازليكة جوستينيان – صبراته
٢١ – أرضية بالفسيفساء من بازليكة جوستينيان
٢٢ – منظر لمسرح صبراته من الجو
٢٣ – منصــة التمثيل والاوركسترا بمسرح صبراتة
٢٤ – البوابة الشمالية لحصن بونجيم
٢٥ – مزرعة محصنة ببئر شـــلوه بوادي سوف آجين
٢٦ – مزرعة محصنة ببئـر النســمة بوادي سوف آجين

بيان الصور والمخططات

أخذت المخططات والصور من المراجع الاتية :

B. Graziosi
L'Arte Rupestre della Libia, Napoli 1942 (Figs 1, 2)
L. Muller Numismatique de l'Ancienne Afrique, Copenhagen 1861, Vol. II.

Bartoccini
Le Torme di Lepcis, Bergamo 1926 (Fig 4)

J. B. Ward Perkins and R. G Goodchild, Christian Antiquities of Tripolitania, Archaeologia, Vol X cv — 1953

R. Bartoccini
La Curia di Sabratha — Quaderni di Archaeologia della Libia, Vol. I — 1950 (Fig 12)

G. Pesce
Il Tempio d'Iside in Sabratha, Rome 1953 (Fig 14)

R. B. Goodchild
« The Limes Tripol itanus II » Journal of Roman Studies, Vol XL — 1950 (Figs 16-19)

D. Oates
The Tripolitanian Gebel Papers of the British School at Rome Vol. XXI — 1954 (Figs 17-18)

G. B. Ward Perkins and R G. Goodchild.
« Limes Tripolitanus » in the light of recent dissoveries. « Journal of Roman Studies » Vol. XXXIX — 1949 (Fig 20)

S. Aurigemma
« Il Mausoleo di Gasr Doga » Quaderni di Archaeologia della Libia. Vol. III — 1954 (Fig 22)

مقدمة

يحل هذا الكتاب مكان سابقه الذى نشر فى طرابلس عام ١٩٤٦ تحت عنوان
Ancient Tripolitania ومنذ ذاك التاريخ ألقى العلماء الايطاليون والبريطانيون
ضوءا جديدا على الاثار الليبية ، كذلك اتضح لى ان بعض فقرات بالكتاب
الاول تحتاج الى تعديلات ومراجعة جوهرية لذلك يمكن اعتبار الكتاب الحالى كتابا
جديدا وهذا ما دفعنى الى تغيير عنوانه .

ان الحفريات الخاصة بطرابلس القديمة عمل رائع قام به الاثريون الايطاليون خاصة
بروفسور سلفاتورى اوريجيما، Savatore Aurigemma والبروفسور بيترو
روما نيللى Pietro Romanelli وريناتو بارتشينى Renato Bartoccini
وجياكومو جويدى Giacomo Guidi ، وجياكومو كابوتو Giacomo Caputo
الذين قاموا على التوالى بعمل مراقبين لاعمال الحفريات الليبية . وبعد نهاية
الحرب العالمية واصل الاثريون الايطاليون عملهم ، وانضم اليهم عدد من
البريطانيين منهم : مسز اولوين بروجان Mrs. Olwen Brogan
ود كاتلين كنيون Kathleen Kenyon ، ومسز جويس رينولدز
الانسة جوسلين توينبى ، Joyce Reynolds ومستر رتشارد جودتشايلد
Richard Goodchild ، ومستر دافيد أوتس David Oates ، ومستر
جون وارد بركنز John Ward Perkins ونظرا لصعوبة استعمال
الهوامش فى كتاب من هذا النوع لايسعنى هنا الا الاعتراف باننى طالما لجأت دون
تحفظ الى الاسفار التى نشرها هؤلاء العلماء الايطاليون والبريطانيون ومن
ضمنهم دكتور جنارو بيشى Gennaro Pesce ودكتور نفيتو دجراسى
Nevio Degrassi

ولزاما على ان اسجل خالص التقدير الى الحكومة الليبية التى اتاحت لى فرصة
نشر هذا الكتاب . وقد اشار على مستر س.ن. جونز C. N. Johns مراقب
مصلحة الاثار بطرابلس بعمل التعديلات للكتاب الاول وانى ادين له ولمستر جود
تشايلد وبروفسور ارنستو فرجارا كفاريللى على التعاون الوثيق الذى ابدوه
فى اعداد الكتاب الحالى . وقد قدمت مسز بروجان ومستر برنارد اشمول
Bernard Ashmole وبروفسور مارتن روبرتسون Martin Robertson
اقتراحات قيمة لتعديل النص الاصلى كما صرحت لى مسز بروجان

بالاستعانة ببحوثها التى لم تنشر بعـد . وما زال البروفسور كابوتو الذى اديـن اليه بكثير من معلوماتى عن الاثـــار الطرابلسية ، مازال منهلا دائماللاستعلامات وقد حصلت على ارشادات فنية لعدة نقاطمن مستر واردبركنز ، ومسترجودتشايلد، وتفضل الكولونيل بيتر دى هاهن اميـن مكتبة الاكاديمية الامريكية فى رومـا ، American Academy in Rome وبروفسور بارتوتشينى Bartoccini وزودانى بالصور التـى طبعت منها اللوحتين ٥ و ١٠ (أ) كذلك صرح مستر اوتس بتسجيل المخطط الذى وضعه لمعصرة الزيتون التى اكتشفت فـى سيدى حمدان . واسجل شكرى لمستر جناح Genah (فى طـرابلس) وسيربروس انجرام Sir Bruce Ingram محرر مجلة "« The Illustrated London News »" ورؤساء الاكاديمية الامريكية والمدرسة البريطانية فى روما .

لقد قام مستر جلين فريبيرن « Glen Freebairn » مشكورا بالاشـراف الفنى الدقيق على طباعة هذا الكتـاب وقدمت والدة زوجتى النص الخطى مـن كتاب ابن خلدون وترجمته المدونة بالصفحة وقام كل من مسز ج. م. ووالدى بمراجعـة الكتـاب الاخير . وأخيرا أذكر بالشكـر مستر ومسز جون ماك كارتى لاستضافتى مع زوجتى فـى طرابلس واكرامهما لنا . كذلك اعتـرف بجميل زوجتى التى لم تتوان عن تشجيعى ومعاونتها لى كأثرية ونساخة ومصورة وطباعة مما يجعل هذا الكتاب من عملها كما هـو من عملى تماما .

د. أ. ل. هـ.

ديسمبر ١٩٥٥

لقد اغتنمت فرصة اعادة طبع هذا الكتاب لادخال بعض تعديلات طفيفة لكن النص الاصلى والصفحات باقية على ما كانت عليه تماما .

د. ا. ل. هـ.

فبراير ١٩٥٩

عند طبع النسخة الآخيرة من هذا الكتاب بعد طبعة ١٩٥٩ قمت بتصحيح خطايـن فقط .

مارس ١٩٦٥

الجزء الاول

موجز تاريخي

البـــلاد

يقول المؤرخ سترابو ضمن ما كتب ان شمال افريقيا شبيه بجلد الفهد لان المناطق المأهولة بتلك الجهة متناثرة كالبقاع فوق ارض الصحراء القاحلة وهو محق في قوله هذا . ونستطيع ان نتخيل الاراضي الطرابلسية كمجموعة من تلك البقع منعزلة عن باقي شمال القارة بحيث انفردت بتاريخها الخاص مع الاحتفاظ بفوارق بينة فيما بينها نجمت قسرا بسبب اختلاف المناخ وطبيعة الارض المحيطة بها.

والطابع الجغرافي المميز لطرابلس هو الجبل ولو انه على وجه التحديد ليس سلسلة من المرتفعات ، بل جرفا شديد الانحدار من هضبة صحراوية شقتها السيول الى وديان عميقة تنحدر نحو الشمال ، ويصل ارتفاع الجرف في بعض الاماكن مثل كهف تغرنة ، الى ٨٣٧ مترا ويلتقي بالبحر في قابس بتونس، وفي فندق النقازة على بعد ثمانية عشر كيلومترا غرب الخمس ، وبين هاتين النقطتين يتغلغل المنحدر في الدواخل على هيئة قوس يحتوي سهل الجفارة الساحلي . والى شرق فندق الجفارة يبتعد الجرف ثانيا عن الساحل عند راس المرقب ويهبط تدريجيا نحو الجنوب الشرقي مكتنفا الشقة الساحلية الضيقة للخمس . وعبر هذه الشقة الساحلية ينبع وادي كعام الذي يعتبر النهر الدائم الوحيد بالاراضي الطرابلسية ويمتد من تلال مسبلاته حيث يسمى وادي تريجلات ثم ينساب في جوف الارض الى ما يقرب من بضعة كيلومترات من البحر .

والى خلف الجبل تنحدر هضبة الصحراء رويدا ثم تنمج بالجنوب الغربي في العرق الشرقي الكبير ثم بالجنوب الشرقي في منخفض خليج سدره . وفي الجنوب تتصل هضبة عالية بالحمادة الحمراء وهي عبارة عن مرتفع شاسع من الحجر يحده من الشرق جبل السوداء ، وفي المنطقة التي بين الحمادة وخليج سدرة تستقر احواض ثلاثة وديان كبرى ترجع الى العصر (الجيولوجي) البليستوسيني pleistocene وهي وادي سوف اجين ، وزمزم ، والباي الكبير . والى جنوب الحمادة تمتد صحراء الدهان التي تتخللها وديان فزان .

وفي موسم الصيف تتعرض البلاد باجمعها للرياح التجارية التي تهب من الشمال الشرقي حارة دون أمطار أما في فصل الشتاء فتباريها رياح الشمال

الغربي فتهطل الامطار التي يتميز بها مناخ البحر الابيض المتوسط في الشتاء ، والمناطق التي تتعرض للامطار اكثر من باقي انحاء البلاد تقع على الخط الساحلي بين صبراته ومصراته ، والجبل الشرقي بين يفرن والساحل حيث تتسبب المرتفعات في اجتذاب الامطار وهذه المناطق بطبيعة الحال آهلة بالسكان اكثر من باقي انحاء البلاد • ويتميز الخط الساحلي بميزة أخرى ، اذ يحتوى قدرا كبيرا من المياه الجوفية • وهذه المساحة هي الوحيدة من الاراضي الطرابلسية التي احتفظت بحضارة دائمة على مدى التاريخ• ومع ذلك يقيم في القسم الشرقي من الجبل شعب مستقر كبير العدد نسبيا يعيش على زراعة الزيتون والفاكهة معتمدا على ريها بالامطار • والى غرب الخط الذى يربط فيما بين صبراته ويفرن تعتمد الارض على الامطار التي تهبط في الاوريس Aures وما زال بتلك الناحية مدن جميلة كبيرة مثل كاباو ونالوت في وسط الجبل ، أما على الساحل تجاه الغرب فالمستعمرات اقل عددا واشبه بالواحات ، كما ان الدواخل في الجفارة صحراء جرداء • والى شرق مصراته يحجب شرق الجبل الرياح المحملة بالامطار عن ساحل خليج سدره الى حد ما ، كذلك تعاني تلك المنطقة بسبب انحرافها الى الجنوب كما انها عارية من المرتفعات • ومع ذلك يمتد جزء ضيق ساحلي من مصب وادى الباى الكبير الى حدود برقة ويتمتع بقدر من الامطار تتيح اقامة جماعات صغيرة العدد من الزراع الرحل والرعاة •

وتقل الامطار فجأة الى خلف الجبل • فبين نالوت وجادو تقترب الصحراء من الجرف الى ما يقرب من ثلاثين كيلومترا وبعد مسافة ما شرقا في وادى سوف آجين وزمزم وروافدهما ، تقوم قبائل من شبه الرحل ترعى مواشيها وتزاول الزراعة في موسم الامطار كلما كانت هذه مواتية •• اما باقي الاراضي فتقع خارج نطاق عوامل البحر الابيض المتوسط • ومع ان فزان والواحات تعتمد اساسا على المياه الجوفية لرى الزراعة الا انه يتصادف ان تتحول وديان تلك المنطقة الى انهار موقوتة سريعة الزوال ، عند قيام زوبعة ممطرة •

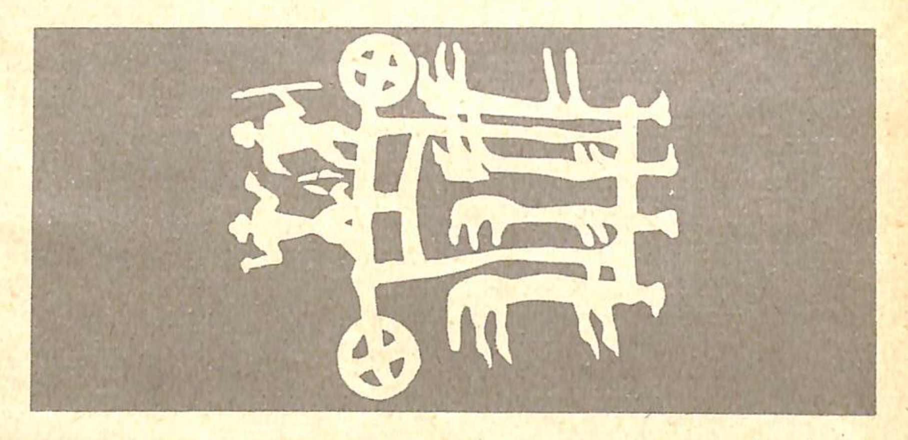
ان اكبر مشكلة تواجه المزارع في الاراضي الطرابلسية هي عدم استقرار المناخ ، فالبلاد ليس بها جبال مثل جبال أطلس لتفصل مابين الصحراء والساحل لذلك تصبح الاراضي في موسم الشتاء خلوا تماما من السكان • ومن تلك العوامل الطبيعية القلقة التي يعاني منها الطرابلسيون نذكر (القبلي) وهو ريح لافح الحرارة محمل بالرمال يهب من الجنوب في اى موسم كان وكثيرا ما يتسبب في اتلاف الزراعة والكروم وزهر الزيتون ، وهناك ايضا عدم انتظام سقوط الامطار وهي اشد خطرا على الزراعة فاذا تأخرت في شهر نوفمبر يتعذر القاء البذور بسبب تحجر التربة وجفافها ، واذا تاخر هطولها في شهر مارس اثناء نضوج الاثمار

فقد يؤدى ذلك لاحتراقها . واذا اقتصر هطول الامطار بغزارة خلال ايام قليلة وكثيرا ما يحدث هذا تضيع على الزارع فرصة استغلالها بسبب التسرب الناجم من الشبكة النهرية التى نشأت فى العصر الجيولوجى البلاستوسيني .. ويترتب على هذا أن تحمل تلك الفيضانات بمئات الاطنان من التربة الطيبة من التلال لتلقى بها فى الجفارة حيث تتحول الى اتربة .

وكثيرا ما يتساءل الناس فيما اذا كانت الاحوال الجوية فى الماضى أيسر مما هى عليه الان بالنسبة للزراع القدامى الذين ما زالت اثار مزارعهم تشاهد بالدواخل فى مناطق شبه صحراوية . لكن الاجابة على هذا السؤال بصفة قاطعة امر غير ميسور ذلك أن شمال الاراضى الطرابلسية أسوة بغيرها من أراضى حوض البحر الابيض المتوسط كانت غالبا مكسوة بالغابات فى العصور القديمة . فعلى سبيل المثال يصف هيرودوتس (المؤرخ الاغريقى) تل الحسان اى مسيلاته (Hill of the Graces) بانه مكسو بالاشجار كما ذكر سترابو وجود غابة بأعالى تل رأس مصراته (Cephale) وغالبا ما كانت تلك المناطق المشجرة معرضة الى امطار اغزر كما ان انهيار التربة وتسرب المياه كانا ابطأ فى تلك العصور . ولكن ما ذكره بعض المؤرخون يجعلنا نتردد فى قبول تعميم هذا الرأى دون قيد . فهيرودوتس مثلا ، بعد ان ذكر خصوبة تل الحسان بادر بقوله انها حالة استثنائية فى ارض قاحلة جدباء ليس بها اشجار . كذلك يحدثنا سالوست عن الصحارى التى تفصل بين لبدة وتونس وبرقة، ويقول (لوكان) Lucan بشىء من المبالغة الشعرية ان المسافة بين لبدة الملتهبة الحرارة ، وبنغازى ذات الجو الحارق لا يوجد بها فرع أخضر واحد فوق رمالها الجرداء .

اما فى دواخل البلاد فالفارق بين الاحوال فى الازمنة الغابرة وعصرنا الحديث لا يستدعى الجدل اذ توجد آثار كثيرة تدل على وجود حيوانات من العصور القديمة لا يمكن لها العيش فى عصرنا الحاضر . ويقول هيرودوت ان الجرمنتيين المقيمين فى فزان كانوا يطاردون سكان المغاور الاحباش (troglodytes) وهم فى الغالب سكان التيبستى الذين اشتهروا باسم Tibbu تبو - كانوا يطاردونهم وهم يعتلون عجلات تسحبها الجياد ، وقد اكتشفت صور عديدة لمثل تلك العجلات منحوتة بفزان على الصخر ترجع الى ما قبل التاريخ (الصورة ١) ويجدر بنا ان نقارن قول هذا المؤرخ بما ذكره فى القرن التاسع عشر الرحالة كابتن ليونز اذ يقول انه اثناء ترحاله بمنطقة فزان، كانت الجياد تشكل أكبر عقبة فى طريقه لانها تحتاج الى قدر من الماء يعادل حمولة جمل وهذا بالاضافة الى الحنطة او البلح اللازم كغذاء لهم ، وكل من الصور المنقوشة بالصخور وما دونه الكتاب القدامى يثبت وجود قطعان المواشى ومنها حيوانات بقرون طويلة كسان الجرمنتيون يشتهرون بتربيتها . وبالاضافة الى تلك البيانات نجد اخيرا ما ذكره المؤرخ الرومانى

بليني Pliny عن مجاميل الفيلة بالاراضى المنخفضة فى الجبل الغربى .. فوجود حيوانات بهذه المنطقة كان مرتبطا قطعا بسقوط الامطار على درجة اكبر فى ذاك الوقت ، ولعل هذا الوضع يرجع الى الجو المشبع بدرجة اعلى من الرطوبة الذى ساد بعض المناطق الصحراوية فى العصر النيوليتى (العصر الحجرى الحديث) ، لكن التفسير الاقرب الى الاذهان هو ان الكميات الهائلة من المياه التى تراكمت تحت الصحراء فى العصر البلستوسينى الممطر لم تكن قد غاصت بعد الى الاعماق وحتى فى أيامنا هذه ، يمكن اعادة الزراعة الى كثير من احواض الوديان اذا ما رفعت التربة بحيث تكشف عن المياه الجوفية .



الصورة ـ ١

صورة منقوشة على الصخر فى وادى زقزه ـ فزان

واختتم هذا العرض الجغرافى الموجز بكلمة عن المواصلات . ان الوادى الساحلى بالاراضى الطرابلسية يكون جزءا من الدهليز او الممر الطبيعى الذى يربط مصر بشمال غرب افريقيا . وعبر التاريخ كان الاهالى بتلك الجهة يراقبون الغزاة وهم فى طريقهم من احدى الجهات أو الاخرى بحثا عن ارض اكثر خصوبة ونراه فى مناطق أبعد . كان الليبيون مرتبطين سياسيا وثقافيا مع الغرب اكثر منهم مع الشرق لان المناطق الكبيرة الساحلية الاهلة بالسكان كان يفصلها خليج سدرة الكبير عن برقة ومن ناحية اخرى ، كان فزان على صلة اوثق ببرقة ومصر التى ترتبط بها بسلسلة من الواحات المترامية على مسافات متباعدة .

وقد كان لطرق القوافل الصحراوية الدور الاكبر فى التاثير على تاريخ البلاد

الاقتصادى فالى شرق راس بون - Cape Bon يتداخل البحر الابيض جنوبا فى ساحل افريقيا موازيا لجبال اطلس ويعتبر من السبل السهلة للنقل الى اطراف الصحارى لذلك كان محتوما ان تجتذب السواحل الطرابلسية النصيب الاكبر من سلع الكماليات التى كانت تجارتها متداولة بين السودان وبلاد حوض البحر الابيض المتوسط من قديم الزمن . وكان أحد الطريقين الرئيسيين للقوافل التى تقصد الساحل الطرابلسى يمر بغدامس موازيا لغرب الحمادة الحمراء اما الطريق الثانى فكان يتجه من فزان بشرق ويمر عبر واحة الجفرة وبونجيم .

وكانت العقبة الوحيدة الجدية التى تواجه تجارة القوافل الطرابلسية هى عدم ملائمة المواصلات البحرية ، فكان اختيار الموانى محدودا الى درجة بعيدة لان الساحل الطرابلسى مستقيم ويفتقر الى الموانىء الطبيعية . كان يتصادف وجود بعض سواحل بها صخور يمكن تحويلها الى موانىء كما حدث فى لبدة وأويا (طرابلس الحديثة) وصبراته الا ان تلك المواقع كانت نادرة وبعيدة عن بعضها . كذلك كان البحارة يخشون ذاك الساحل بسبب تعرضه للزوابع المفاجئة وكثرة الاماكن الضحلة الخطيرة فيه مما جعل البحارة الاغريق يطلقون على خليجى قابس وسدرة اسم سرتس Syrtes اى شرك الصيد .

الليبيـــون

وردت كلمة ليبي (ليبـو (Lebu) لاول مرة في نصوص مصرية ترجع الـى الالف الثاني ق٠ م اسما لقبيلة او مجموعة من القبائل كانت تقطن برقـة واطلقـه الاغريق فيما بعد على كافة الشعـــوب الحامية الذين يقيمون بشمال أفريقيـا ، ممن يتميزون من حيـث اللغة والملامـح والعادات عن الزنوج واحباش السودان٠٠ وكان الليبيون الاولون ، مثل الحاميـين الذين اقاموا في مصر والنوبة قبل عهـد الاسر المصرية المالكة٠، كانوا ينتمون الـى شعوب من ذوى الرؤوس الطويلة والبشرة السمراء والشعر الداكن الذين إستقـروا على سواحـل البحر الابيض المتوسط فـي اواخر العصر الحجرى القديم ، حوالـي ١٥٫٠٠٠ عاما ق٠م ٠ وفيما بعـد انضم لهؤلاء الليبيين الاصليين من سكان حوض البحر الابيض المتوسط قوم مـن ذوى البشرة البيضاء ، والعيون الزرقاء والشعر الاحمر او الاصفر ، ينتمون غالبا الى سلالة اوروبية ٠ وكلا الشعبين معترف بهما فـي التاريخ القديم وما زالا يتعايشان مع شعب البربر الحديث ٠

ان اول بيانات وردت عن الطرابلسيين القدامى جاءتنا عن طـريق هيرودوتـس المؤرخ الاغريقى ، في القرن الخامس ق٠م٠ لكنه استقى الجزء الاكبر من معلوماته عن شمال افريقيا مما دونه هـيكاتيوســي Hecateus المستكشف الاغريقى في القرن السادس ق٠م٠ وقد اطلعنا مـن هيرودوتس على اسماء واماكن القبائـل الطرابلسية الرئيسية٠ كانت سواحـل خليج سدرة الشرقية والجنوبية (Greater Syrtes) مأهولة بالنسامونيين وهم من أشد شعوب ليبيا بأسا ٠ ويقول هيرودوتس ان بعض الليبيين المقيميـن ذكروا له ان قبيلة تدعى بسيلي Psylli كانت تقطن الساحل الجنوبي من الخليـج لكن شعبها ذهب لقتال الرياح الجنوبيـة التي اتت على صهاريج تخزين المياه وجففتها لكنهم فنوا عن بكرة ابيهم في احـدى العواصف الرملية ٠ الا ان ظهور تلـك القبيلـه ثانيا علـى السواحل في عصر الرومان يوحي بان النسامونيين كانوا قـد طردوا هؤلاء الجيران الذين دونهم قـوة الى الصحراء حيث أقاموا فترة ٠ ويضيف هيرودوتس قائلا بان قبيلة الماكاى Macae كانت تجاور النسامونيين غربا وتمتـد اراضيها حتى منطقة وادى كعام ٠ والـى غرب الماكاى يقيم الجندانيون Gindanes في الجبل ويسكن السهل الساحلي قبيله

اللوتوفاجى Lotophagi اى اكلة اللوتس ، ومن بعدهم يقيم المكليون Machyles الذين تمتد اراضيهم الى بحيرة تريتونس Tritonis (شط الجريد) • أما دواخل الاراضى فكان يقطنها الجرامنتيون Garamantes وهم قبيلة شديدة الباس يقيم اهلها فى واحة على بعد مسيرة ثلاثين يوما من جنوب اللوتوفاجى ، واتضح مما ذكره بعض الكتاب اللاحقين انها فى الواقع واحة فزان• وتصف بعض المراجع القديمة الجرامنتيين بأنهم أثيوبيون «زنوج»، غير أن الحفريات التى قام بها الايطاليون فى وادى الاجال حيث توجد الاف من مقابر الجرامنتيين تثبت انهم ينتمون دون شك الى سلالة سكان البحر المتوسط وان هيرودوت كان على حق فى ان يعتبرهم من القبائل الليبية •

ويذكر هذا المؤرخ جرامنتيين اخرين يقيمون فيما وراء النسامونيين فى الداخل لكنه يصفهم بأنهم شعب متخاذل يجهل فنون الحرب ،الامر الذى يختلف وطباع جرامنتيى فزان ويجعلنا نشك فى انهم من نفس القوم • واغلب الظن ان هؤلاء الجرامنتيين المسالمين هم فى الواقع الجمفازنتيون (Gamphasantes) الذين ذكرهم بعض الكتاب فى تاريخ لاحق •

وباستثناء الجندانيين الذين لا يرد ذكرهم بعد ذلك اطلاقا تبقى الصورة التى عرضها هيرودوت عن الليبيين دون تعديل ملموس خلال اطول فترة من التاريخ القديم• حقيقة ان بعض الجغرافيين ذكروا فيما بعد اسماء جديدة لقبائل اخرى لكنها فيما نعتقد تدل دون شك على فروع محلية من قبائل اصلية • اما اسماء القبائل الجديدة الاخرى فلم ترد الا بعد بداية العصر الرومانى فى القرن الثالث ب• م• وفيما بعده مثل الافيوراكيين Ifuraces والاستوريين Asturians وقبائل لواتة Leuathae ومع ذلك فمن العسير ان نحدد فيما اذا كانت تلك القبائل تفرعات من السكان القدامى ام انهم من شعوب جدد •

ويقارن هيرودوت بين الزراع الليبيين المقيمين بمنطقة الاطلس والذين يقيمون فى طرابلس وبرقة فيصف هؤلاء بانهم يشربون اللبن وياكلون اللحوم اى انهم رعاة رحل ، والتشبيه صحيح بصفة عامة الا ان الليبيين المقيمين فى الشرق كانوا على دراية تامة بالزراعة وكانت تنقلاتهم تتفق مع زراعات موسمية فى مناطق معينة ، فكان الماكاى مثلا يسيرون بمواشيهم الى الجبل فى فصل الصيف بحثا عن الماء وقد علق هيرودوت نفسه على غزارة محاصيل منطقة وادى كعام التى تفوق من حيث الكم محاصيل بابل الشهيرة بوفرة انتاجها الزراعى ، وكان النسامونيون يتركون ماشيتهم كل عام لترعى على الساحل ويرحلون الى واحة اوجلة (AUGILA) حيث النخيل ليجمعوا ثماره • اما الجرامانتيون وهم غالبا اكبر القبائل ،

الطرابلسية فكانوا قوما مستقرين يزرعون منخفضات وديانهم بنثر تربة جديدة فوق ما تراكم عليها من املاح ٠

ان الترحال والصيد والطرق البدائية للبحث عن الطعام تلعب دون شك دورا هاما فى اقتصاديات بلد مثل طرابلس يهدده القحط باستمرار ٠ وكان الليبيون يربون الغنم والماعز والبقر ، ونظرا لان ثروة القبيلة تقاس بعدد ما تملكه من قطعان الماشية فقلما كانت تذبح المواشي بغرض الاكل وانما تربى اساسا لما تدره من البان اما اللحوم فكان رجال القبيلة يحصلون عليها من الصيد بقدر المستطاع خاصة صيد الابل والغزلان ٠ وكان الجراد من الاطعمة الشائعة كما هو الحال الان ومن عادة النساموينيين ان يجففوه ويطحنوه ثم يخلطوه باللبن ٠ واغلب الظن ان اللوتس هو السدر rahmnus ziziphus الذى كان ياكله اللوتوفاجى بكثرة والمكليون بقدر أقل فهو غالبا نبات محلى ينبت على ساحل سرت ٠

لقد اشتهر الليبيون الرحل بانهم اصح البشر بنية ، وأياكان نصيب هذه الشهرة من الصحة فهى ترجع دون شك الى الحياة القاسية التى يعيشونها والتى تخضع لقانون بقاء الاصلح ٠ ويقول هيرودوت ان الليبيين يعزون صحتهم الفريدة هذه الى عادة كى أطفالهم على قمة الرأس أو الفودين بصوف الغنم دون تنظيفه حتى يقيهم هذا مدى الحياة من الاخلاط التى تسيل من الرأس٠ وما زال الكى من الطرق العلاجية المفضلة عند البربر حتى ايامنا هذه ٠٠

وباستثناء العربات التى كان يستعملها الجرامنتيون يبدو ان الادوات التى كان يتداولها الليبيون تكاد تكون بدائية لبساطتها فقد داوموا على صناعة الادوات والاسلحة من الحجر حتى بعد انتشار صناعة المعادن فى البلاد الاخرى ٠ وقد كشفت حفريات زنككرا بوادى الاجال عن ادوات تماثل ما كان يصنع فى العصر الحجرى وجاء ذلك الكشف فى مبنى يرجع الى العصر الرومانى ٠ ولابد أن تكون الادوات المعدنية بدأت تصل فى تاريخ مبكر الى رجال القبائل هؤلاء عن طريق جيرانهم الاكثر حضارة ، ومع ذلك يبدو انها كانت تعتبر من الاشياء النادرة المستوردة اما صناعة المعادن فلم تنتشر عندهم على نطاق واسع ابدا ويؤيد ذلك ان الاسلحة الليبية البحتة خلال العصور القديمة كانت الهراوة والرمح والقوس مما كان يستعمل فى العصر الحجرى قبل اختراع النصال المعدنية ٠ كذلك كان نمو صناعة الفخار بطيئا وربما بقى دولاب الفخار مجهولا قبل العصر الرومانى وظل الجرامانتيون يزاولون الصناعة اليدوية للفخار المزركش بالحفر أو بالالوان حتى القرن الثالث ب٠م٠ وغالبا انهم كانوا يصنعون الادوات المنزلية باستثناء تلك التى تستعمل للطهى ، من الخشب والجلود او بيض النعام ٠ وكانت مساكن الليبيين

بدائية ، والمسكن ذو الطابع الليبى البحت كان يسمى المبالم (mapallum
وهو عبارة عن كوخ هزيل من الحشائش او السيراس المجدول والمشدود بداخل
اطار من عيدان الشجر ويشبه – على حد قول سالوست Sallust
قاربا مقلوبا ومع ذلك كانت توجد مساكن على اشكال اخرى ، فكان الجرامنتيون ، مثل
بدو طرابلس فى الوقت الحاضر يقيمون فى خيام مصنوعة من جلود الحيوانات ..
ويقيم بعض سكان سرت فى مغاور تحت الارض troglodytes مازالت تستعمل
حتى أيامنا هده فى الجبل .

اما الملابس فكانت تصنع من الجلود ويذكر هيرودوت أن المرأة الليبية كانت
ترتدى ملابس من الجلد وعباءة من جلد الماعز المصبوغ باللون الاحمر تحفها سيور
من الجلد ايضا . اما ملابس الرجل فكانت اصغر حجما باستثناء رؤساء القبيلة فكانوا
يرتدون معاطف طويلة من القماش المطبوع برسومات ويضعون على رؤوسهم ريش
النعام دليلا على مرتبتهم فى القبيلة . وكان من عادة النسامونيين ان يضعوا جناحى
طائر على رؤوسهم اثناء السفر ،وفيما يبدو كانت لكل قبيلة طريقتها الخاصة فى
تصفيف الشعر فكان الماكاى يحلقون شعورهم فيما عدا خصلة طويلة بقمة
الراس بينما المكليون يحلقون ما فوق الجبهة ويتركون الباقى طويلا .

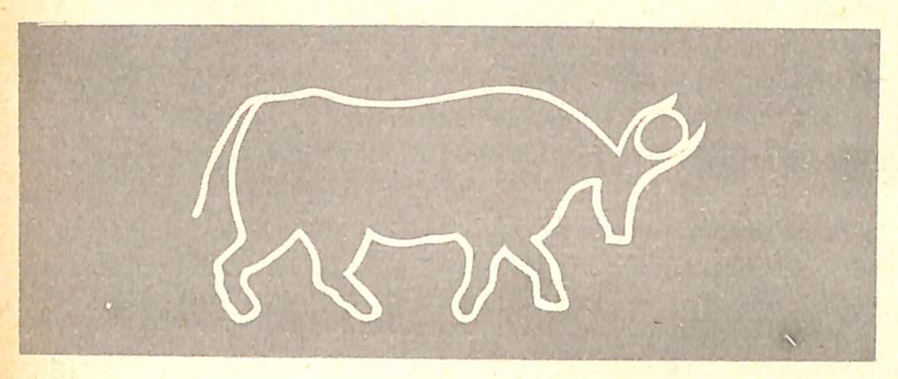
ومعلوماتنا عن نظم الليبيين الاجتماعية والسياسية طفيفة فقد جاءنا عن هيرودوت
ان النسامونيين مارسوا تعدد الزوجات ، وهى عادة شائعة عامة فى المنطقة كما ان
بعض القبائل كانت تعطى نساءها حرية تامة قبل الزواج املا فى الحصول على مهر
مجزى ومازال بربر اولاد نائلة يتبعون تلك العادة ، لكن الاتهامات بالاختلاط
(الجنسى) المتطرف التى وردت ضمن ما كتبه الاغريق والرومان عن الليبيين لا
شك فى انها مبالغ فيها ولعل السبب فى ذلك يرجع الى جهل هؤلاء الكتاب بان
تعدد الزوجات نظام اجتماعى معترف به، فالنساء كانت لهن مكانة مرموقة فى
المجتمع وكما هو الحال عند الطوارق حاليا كان نسب الاسرة يرجع الى سلالة
الام وأدى تعدد الزوجات الى ازدياد عدد افراد الاسرة مما جعلهم يتفرعون الى
وحدات مستقلة . وقيام نظام قبلى مستقر مثل هذا عند الجرامنتيين والنسامونيين
يفند ما دونه بومبونيوس ميلا Pomponius Mela) فى القرن الاول ب.م. من
اتهامات بان الليبيين يعيشون فى فوضى وان كل اسرة تسن لنفسها قانونها الخاص
دون مراعاة للاسر الاخرى . ومن المعلوم ان قبيلتى الجرامنتيين والنساموينيين
الكبيرتين كان يحكمها ملوك غالبا عن طريق الانتخاب وربما كانوا يعزلون بقرار من
مجلس شيوخ القبيلة .واحيانا يرد ذكر قيام اتحاد بعض القبائل فى حالة نشوب
حرب لكنها كانت اتحادات مؤقتة تنفض بانتهاء الغرض الذى تكونت من اجله .

بقى ان نضيف كلمة عن عقائد الليبيين الدينية ولو أن المعلومات التى لدينا عنها طفيفة جدا ومتناثرة · ان مدى ارتباط الطب بالسحر يتمثل لنا فى العادات التى سبق ان ذكرناها مثل كي رؤوس الاطفال وسحر الافاعي الذى كان يمارسه البسيليون على نطاق واسع ،وكان هؤلاء القوم يشتهرون بمناعتهم ضد لدغة الافعى حتى انهم كانوا يختبرون شرعية البنوة بتعريض ابنائهم الى لدغات الافاعى ، كذلك كانوا يشتهرون بقدرتهم على علاج الاخرين من لدغة الافعى بوضع لعابهم على الجرح وفى الحالات العصيبة كانوا يلجأون الى اللمس ·وانطلقت شهرة الاطباء البسيليين لدرجة جعلت الامبراطور اغوستس يلجأ اليهم فى محاولة يائسة حتى يعيدوا كيلوباتره الى الحياة · ونجد ضمن المعتقدات السحرية البحتة التي كان النسامونيون يؤمنون بها عادة يتبعونها عند توقيع القسم حيث كان كل من الطرفين يشرب الماء من يد الاخر واذاتعذر وجود الماء كانا يلعقان التراب بنفس الطريقة ·

كان الليبيون يقيمون طقوسا جنائزية دقيقة لموتاهم تنبىء عن مدى اهتمامهم ،مثل قدماء المصريين ، بحياة الآخرة ·وكان الدفن عادة متبعة فى جميع انحاء البلاد ·وثبت من الحفائر التى قام بها الايطاليون فى وادى الاجال ان الجرامانتيين كانوا يدفنون الجثة راقدة على جنبها ومنثنية على بعضها وعادة هذا الوضع المنكمش كانت سائدة عند كثير من شعوب ساحل البحر الابيض المتوسط ، ولعلها امتداد لعادة تقييد الجثة حتى لا يعود الشبح (او الروح) لمضايقة الاحياء ، ولو اننا نجهل مدى ايمان الجرامنتيين بتلك العقيدة · وايا كان الامر فقد كان للنسامونيين عادة مختلفة على حد ما ذكره هيرودوت اذ كانوا يدفنون موتاهم وهم جلوساً لاعتقادهم ان الموتى مصدر للخير ·· لا الشر · وقد اكتشف الرحالة العربى التيجانى فى القرن الرابع عشر قبيلة طرابلسية ما زالت تتبع هذه العادة وقد اكد اهل القبيلة ان ابن المتوفى يبقى ناعما بالرخاء والتقدير طالما ظلت جثة ابيه منتصبة على هذا الوضع · ومما يدعم هذا الرأى اكتشاف عبارتين منحوتتين على اضرحة تذكارية فى قرزة (ص ١٣٦) تعبر عن الامل فى أن يعود الموتى لزيارة اولادهم واحفادهم وان يجعلوا منهم رجالا مثل ما كانوا عليه ·

وسواء كان الموتى ابرارا او من الاشرار، كان لا بد من تزويدهم بمكان يستقرون به وينعمون فيه بالرعاية ، وتوجد الاف من القبور المشيدة من الحجر وكثير منها على هيئة نصب ما زالت قائمة فى وادى الاجال تثبت مدى عناية الجرامانتيين ، سكان الخيام ، بدفن موتاهم ·واكتشف الايطاليون عظاما تكلست وبقايا اخرى فى كثير من المقابر مما يدل على ان قرابينا من المأكولات كانت تقدم فداء عن الموتى اثناءدفنهم·واسفر الكشف ايضا عن عدد من المقابر يوجد بخارجها مناضد حجرية كى تستعملها اسر

الموتى عند تقديم قرابين من المأكل والمشرب على روح فقيدهم بعد اغلاق المقبرة . ويوجد مع تلك المناضد دائما مسلات صغيـــرة وقرون او ايدى مصنوعة بطريقة خشنــة وغالبا انها ترمز الى طقوس الدفن .



رسم رقم ٢

صورة منقوشة على الصخر فى ماياديب فى وادى مارسيت ـ مزده

كانت مقابر مشاهير الرجال انذاك تعتبر اماكن مقدسة مثل قبور المرابطين فى العهود التى تلت . فكان النسامونى عند تاديـــة القسم ، يضع يده على قبر احد الذيـــن اشتهروا بالعدالة والصلاح ويقسم باسمه ، واذا ساوره الشك فيما يخبئه له القدر بشأن امر ما كان يتوجه الى قبر احد اجـــداده ويؤدى الصلاة ثم يرقد عنده ويعـتبر اى حلم يوانيه اثناء نومه حينذاك اشارة لمـــا سوف يحدث له في المستقبل . ان مـــا نعرفه عن العقائد الجنائزية خلال تلـــك العادات بلغ الذروة فى عبادة الجد الـذى تسمى القبيلة باسمه مثل جاراماس ، او نسامون ، او بسيلوس وقد ظل قبر هذا الاخير قائما على شاطىء خليج سدره حتى ايام بلينى .

ويقول هيرودوت ان الالهة الوحيـــدة التى كان الليبيون الرحل يقـدمون لهـا القرابين هى الشمس والقمر ، وانهم عند تقديم حيوان ما الى تلك الالهـة كانـــوا يشرعون بقطع اذنه ويلقون بها فوق المنزل ثم يكسرون رقبته بلويـهـا ولا شك ان الرسم الهام المنحوت على صخـرة ماياديب على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوب مزدة، الذى يمثل ثورا يحمل بين قرنيه قرص الشمس مثل الثور الشمسى بمصر ، لا شك انـــه يرمز الى عبادة الشمس . ونظرا لان تلك العبادة كانت منتشرة فى ليبيا ، فقد تقبل الليبيون عبادة الاله الشمسى المصرى آمون المتمثل فى صـــورة كبش يحمل قرص

الشمس بين قرنيه . وقد تسربت عبادته من طيبة الى واحة سيوة فى اوائل القـرن السادس ق.م. وكان هيكل آمون فى سيوه مشهورا بسبب تنبؤات كاهن المعبد هناك والرأى السائد هو ان عبادة الطيبة يتمثل فى رسم على صورة أحد مشاهير الاجداد من اهالى سيوه وانه ــ اى آمـورن رع اندمج فى زيوس الاله الاغريقى تحت اسم زيوس آمون ثم اختلط بالاله القرطاجى (بعل حامون) ومما يؤكد انتشار عبادة آمون فى طرابلس ان اسمه اطلق علـــى اماكن متعددة مثل آدامونيم (Ad Amonem) اى ميليتـــــــــا الحديثة ، التى تقع علـــى بعد خمسة وعشرين كيلومترا من صبراته وامونوس بوليس (Ammonos Polis) اى مدينة امون الذى حدد بطليمـوســــــس الجغرافى مكانها فى جهة ما بداخل البلاد، ومعبد صغير شيده احد الليبيين لعبــــادة آمون فى راس الحدادية بقرب الخضـــراء فى ١٥ ـ ١٧ ب.م (ص ١٤٣) .

وذكر الشاعر اللاتيـــــنى كوريبوس Corripus ان افراد قبيلة لواتة اثناء القتال ضد البيزانطيين (ص ٥٣) كانوا يحملون صورة تمثل الههم المسمى جوزريل ابن امون Gurzil ومعه بقرة ولا شك فى ان صورة جوورزيل تلك كانت آخـــــر ظاهرة للثور الشمسى الليبى وان البقـــرة ربما كانت لاحدى الالهة الليبية السماوية الشبيهة بالالهة المصرية نوت .

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفينيقيون فى طرابلس

اغلب الظن ان السفن التجارية الفينيقية المتجهة من الموانىء العامرة فى صور وصيدا بدأت تقصد الشواطىء الطرابلسية فى اوائل الالف الاول ق٠م والفينيقيون، مثل العرب واليهود ، من الشعوب السامية وكانوا من أوائل الشعوب الكبرى التى زاولت التجارة والملاحة فى التاريخ القديم فقد فتح الفينيقيون العلاقات التجارية منذ الالف الاولى ق٠م٠ مع البلدان التى تقع على الساحل الغربى من البحر الابيض المتوسط وكانوا يقومون برحلات منتظمة الى اسبانيا التى كانت المورد الرئيسى لجلب المعادن فى العالم القديم

واثناء تلك الرحلات كثيرا ما كانت سفنهم تمر بشواطىء طرابلس لان الملاحين القدامى كانوا يفضلون ان يهتدوا فى سيرهم بمعالم الطبيعة التى على الشواطىء وسرعان ما اضطرتهم الحاجة الى اكتشاف الاماكن التى يستطيعون ان يلجاوا اليها عند قيام العواصف او فى الامسيات الحالكة ، حيث يجدون الماء والمؤونة ٠

ومع ان التجارة لم تكن الدافع الاول لنزولهم بارض طرابلس ، الا انها جاءت نتيجة لتلك الزيارات ٠ وكما سبق ان رأينا (ص ٥) ساعد موقع طرابلس على قيامها بالتجارة مع السودان الذى كان يزخر بسلع رائجة فى العالم القديم مثل الذهب والاحجار الكريمة والعاج ، وخشب الابانوز، والرقيق الاسود ، بينما كانت طرابلس غنية بالنعام الذى يعتبر ريشه وبيضه من السلع الثمينة المرغوب فيها ، ولم تفت الفينيقيين فرصة استغلال تلك الموارد تجاريا ٠ وتدل الحفريات الحديثة فى صبراته (ص ٩٣) أن الفينيقيين اقاموا فيها مركزا تجاريا فى القرن السادس ق٠م كان يستعمل من وقت لاخر واغلب الظن ان مراكز اخرى اقيمت حول ذلك التاريخ فى لبدة « بالفينيقية ») وفى أويا (بالفينيقية أويات) ، (مدينة طرابلس الحالية) ٠ وربما أيضا فى كاراكس Charax (والعلها مدينة سلطان) وماكومادس يوفرانته (Macomades Euphranta) أى سرت الحديثة) ٠

وبدأ عهد جديد فى تاريخ البحر المتوسط عندما شرع الفينيقيون فى تحويل تلك المراكز التجارية الى مستعمرات مستديمة وكان المعتقد قديما أن تأسيس

مدينتي قادس (Cadiz) واوتيكـــا (Utica) يرجع الى ماقبل الالف الاولى ق٠م٠ الا ان الحفريات تثبتعدم وجـــوداي مستعمرة فينيقية قبل قيام قرطجنـــة بالقرب منمدينة تونسقبل عام ٨٠٠ ق٠م٠ وفي القرون التالية هبت قرطجنة للـدفاع عن المستعمرات الفينيقية الغربيـة أثناء مقاومتها لتوسع اليونان من جزيرة صقلية وغرب البحر المتوسط ٠ ونظرا لاعتداءات الاشورين على مدينتي صور وصيدا اصبحت المدينتان اضعف من ان تستطيعا مساعدة مدنها الصغرى اما قرطجنة فكانت بحكـــم موقعها تسيطر على مضايق صقلية التـــى تواجه افريقيا وكانت تسير قدما لصبـــح دولة قوية من الدرجة الاولى ٠

اننا لا نعلم شيئا يذكر عن الظـــروف التى احاطت بقيام المستعمرات الفينيقيـة فى طرابلس ٠ فيقول الشاعر اللاتينـــى سيليوس ايتاليكوس (Silius Italicus) ان أهل صور استعمروا لبدة وصبراتة ، وبمعاونة الليبيين استعمر اوبا مهاجـرون (غالبا من اصل فينيقى) جاءوا من صقلية اما قول سالوست بان الذين أسسوامدينة لبدة هم من اهل صيدا الذين فروا من بلدهم بسبب الاضطرابات ، فلا يتعارض مع مـا ذكره سيليوس ايتاليكوس لان الكتـــاب اللاتينيين كانوا يطلقون مصطلح فنيقى بصفة عامة على سكان صور وصيدا دون تمييـــز وايا كان المصدر الذى جاء منه هـــؤلاء المستعمرون فلا شك ان الاستيطان الفعـــلى لم يحدث الا فى تاريخ لاحق وربما كان ذلك تحت حماية قرطجنة ٠ اما القول بان لبـــدة لم تستوطن بصفة دائمة قبل اواخر القرن السادس ، فيؤيده ماذكره هيرودوتس عن محاولة اليونان لاحتلال طرابلس وذلك عند ما قام المستعمرون اليونانيون تحت قيـادة دوريوس (Dorieus) ابـــن اناكساندرياس ملك سبارتا ونزلواقرابةعام ٥٢٠ق م٠ قرب مصب نهر سينيبســـ Cinyps (وادى كعام) واسســـوا مدينـة باســـمه ٠ ويستطرد هيرودوتس فيقول انه بعد مرور ثلاث سنوات قـــام القرطاجنيون بمعاونة الماكاى بطـرد هؤلاء المستعمرين الى البحر ويوحي عدم ذكـرهأى شيء عن مدينة لبـــدة بأنهـــا لم تكن مســـتعمرة فى ذاك الوقت ، فلو أن الامركان غيـــر ذلك لما توانت لبـــــدة عن مســـاعدة القرطجانيـــين والماكاى لطـرد هذا العدو اللدود ولما فات هيرودوتس أن يذكر هذا الحدث ، ومع ان هذا الـــراى ليس نهائيا الا انه يستند الى النـــــزر القليل الذى لدينا مما كشفت عنه الحفائر فاقدم الاشياء التى اكتشت فـــى احـــدى المقابر الفينيقية تحت مسرح لبدة هـــــى عبارة عن قطعة من الفخار الكورنتى يرجع تاريخها الىحوالى عام ٥٠٠ ق٠م٠ وغالبا أن صبراته واويا تم استعمارهما فى تاريـــخ لاحق ، وتشير الحفائر الحديثة فـــــى صبراته انها لم تستوطن بصفة دائمة قبل اواخر القرن الخامس ق٠م ٠

بعد أن قامت قرطجنة بطرد دوريوس اعلنت حمايتها على طرابلس وهكذااصبحت

مجاورة تماما لمدينة قيرين (شحات) اليونانية الكبرى . وقصة الاخوين فيليني (Philaeni) الشهيرة تدلنا على الطريقة التى سوى بها الفينيقيون والاغريق مشكلة الحدود بينهما : جاء فى القصة ان كلا البلدين بعد ان انهكهما القتال فى معارك متوالية لم تسفر عن نتيجة لوضع الحدود بينهما قررا ارسال مبعوثين يقومان بالعدو فى نفس الوقت على أن توضع الحدود فى النقطة التى يلتقيان عندها . وقام الاخوان فيليني من قبل قرطجنة واسرعا فى العدو بحيث قطعا ثلثى المسافة تقريبا عندما التقيا بمبعوثى اليونان وحاول هذان الاخيران أن يتحايلا لفسخ الاتفاق فاتهما منافسيهما القرطاجيين بانهما بدأ فى العدو قبل الموعد المحدد ، وعليه عرض الاخوان فيليني استعدادهما لتجربة ثانية ، لكن الاغريقيين اقترحا احد امرين : اما ان يدفن الاخوان فيليني احياء حيث هما ويصبح هذا مكان الحدود ، أو يواصلان الركض حتى يصلا الى نقطة توضع عندها الحدود .على ان يدفنا بها احياء ايضا ، واختار الاخوان فيليني ان يدفنا حيث كانا وسميت تلك البقعة فيما بعد آريا فيلا نوروم (مذبحى الاخوين فيليني (ARAE PHILAENORUM)) نسبة الى الهياكل الجنائزية التى اقامها القرطاجنيون لتمجيد بطليهما . قرارة قمر التراب ١

وهذه القصة مزيج من الواقع الخيال فنحن نعلم (من بحث جغرافى يونانى) ان الحدود استقرت بين قرطجنة وشحات (قيرين) حوالى منتصف القرن الرابع ق.م واقرار الحدود بالاتفاق بعد فترة من القتال يتمشى مع سياسة قرطجنة العامة التى كانت مركزة على انتزاع صقلية من الاغريق حتى وان تطلب الامر ان يوافق القرطاجيون على شروط هؤلاء فى مكان اخر واغلب الظن ان قصة الاخوين فيليني اسطورة من نسج خيال الاغريق ويشير اسمهم الى ذلك اذيعنى (محبى المجد)وهو اسم يونانى لا قرطاجى ، اما الهياكل الجنائزية فيقال انها مجرد تفسير خيالى عن (جبل الله) ذى القمتين الذى يقع فيما وراء الرأسين العاليين فى منخفض خليج سدرة وقدعرض هذا التفسير لعدم معرفة موقع الحدود بالضبط اول الامر لكنه ثبت دون نزاع بعد اكتشاف اثار صرح يشير الى الحدود من قرارة جسر التراب بقرب سفح (جبل الله) ويتكون الصرح من اربع اعمدة تحمل تماثيل للامبراطور ديوكليشيان Diocletian) (٢٨٤ - ٣٠٥ب م وزملائه الثلاثة فى الحكم، ومع ان تاريخ هذا الصرح يرجع الى عهد متاخر بالعصر الرومانى ، الا انه يشير الى وجود حدود بين طرابلس وشيرنايكا (برقة) فى اراى فيلانوروم فى ذلك الوقت .

وبعد ان تمت الصفقة التزمت قرطجنة بشروطها اما الاغريق فقد اندفعوا الى مغامرات جديدة من بعد الاسكندر الاكبر ومع ان زيارة هذا الاخير الى واحة سيوة والاعلان بأنه ابن زيوس امون أثارت بعض المخاوف فى قرطجنة ، فالرأى السائد

بانه كان يعد العدة لغزو افريقيا الفينيقية ليس الا تعليقا جاء مؤخرا عن مطامع اليونانيين، وبعد الاسكندر أعتلي البطالسة عرش مصر ويبدو أن أحد أفراد هذه الاسرة احتل شرق طرابلس بقرب ماكومادس يوفرانتا Macomades Euphranta (سرت) ولكن لا توجد تفاصيل عن ذلك الحادث ولدينا معلومات اكثر عن غزو حاكم قيرين أوفيلاس (Ophellas) وكان شبه مستقل أبان حكم بطليموس الاول فيقال ان اجاتوكليس (Agathocles) ملك سيراقوزه نزل فجاة باراضي تونس ودعى اوفيلاس لينضم اليه في الهجوم على قرطجنة ووعده بان يطلق يده في ليبيا اذا كتب لهما النصر ، وشجع هذا الوعد اوفيلاس اذ وافق ما كان يضمره من امور ويقال ان جيش اوفيلاس الذى حشده فى عام ٣٠٩ ق٠م٠ كان اشبه بمستعمرة متنقلة بسبب الحشد الضخم الذى كان يتبعه من نساء الليبيين واطفالهم ولدينا وصف مؤلم عما قاسى هؤلاء من مشاق وهم في سيرهم حول خليج سدرة في قيظ الصيف ولا يذكر التاريخ شيئا عن مصير المستعمرات الطرابلسية على ايدى الغزاة واغلب الظن انها فتحت ابوابها لهم ولم يعد بعد الغزو من رجال اوفيلاس الا عدد قليل جدا ، ثم اغتال اجاتوكليس اوفيلاس بعد ان وصلا تونس بقليل وانتهى الامر بان اباد القرطاجنيون قوى سيراقوزه وقورين المتضامنة وهكذا قضى على آخر محاولة تهدد سلطة القرطاجنيين في شمال افريقيا ٠ وبعد مرور نصف قرن قامت روما تتحدى قرطجنة مرة اخرى، لكننا سنتوقف هنا قليلا لنستعرض اولا احوال المستعمرات الطرابلسية الثلاث تحت حكم قرطجنة وهى التى اسماها اليونانيون امبوريا Emporia اى المراكز التجارية ٠٠

ان معلوماتنا عن الامبوريا قليلة لكنها تشير الى انها نمت ببطء فى اول الامر فلم يجىء ذكرها كتابة قبل العصر الرومانى الا فى بعض مقالات جغرافية ، كما أن الحفريات الحديثة فى صبراته تدل على ان توسع المدينة بصفة ملموسة لم يحدث قبل القرن الثالث ق٠م وسبب هذا الركود لا يحتاج الى بحث ،فسياسة قرطجنة ، كما اعلنت صراحة فى معاهدة عقدتها مع روما فى ٥٠٧ ق٠م٠ وتجددت فى ٣٤٨ ق٠م٠ تنص على قصر الملاحة على ميناء قرطجنة دون غيرها من الموانىء الاخرى بشمال افريقيا ولعل السبب فى هذا الحظر كان يرجع اول الامر الى اسباب دفاعية لكنه ادى الى احتكار قرطجنة لكل عمليات التصدير والاستيراد فى شمال افريقيا دون اعتبار الى المراكز التابعة لها ٠ وفى ذات الوقت فرضت قرطجنة على الامبوريا ضرائب باهظة ٠ ويذكر ليفى (Livy) ان الضريبة اليومية المفروضة على لبدة كانت وزنة واحدة (تالنت) (talent) اى ما يعادل تقريبا الاجر اليومى لالفى وخمسمائة عامل ، ويعتبر هذا عبئا ثقيلا حتى اذا فرضنا كما كان الحال فى الغالب ،

ان لبدة كانت المركز الاداري لجمـــــع الضرائب بمنطقة تشتمل على اويا وصبراته وكانت هناك ايضا ضرائب عينية وضرائب جمركية على التصدير والاستيراد لكنها في الغالب تدخل في التقدير الذي ذكره ليفي . واثناء الحرب كان على الامبوريا ان تـزود قرطجنة بالرجال والمؤن وكان محظورا عليها ان تحتفظ بقوات بحرية او برية .

وبالنسبة للشئون الداخلية ، كان اهالي المستعمرات يتمتعون بمظهر من الحريـة ويقول الكاتب سالوست ان الفينيفييـــن في لبدة كان لهم قانونهم الخاص وقضاتهم ولابد ان اويا وصبراته ايضا كانت تدعيان بلقب شوفيط (suffete) (وهــي كلمة فينيقية shophet (تعنـــي قاضي) ومع ان الدليل الوحيد لاستعمـال هذا اللقب جاء من كتابات ترجع للعهـد الروماني الا انه اخذ دون شك من دستـور المدينة الاصلي الذي كان مطابقا لنمـــوذج وضعته قرطجنة ، ففي تلك المدينة كانـوا ينتخبون قاضيين كل عام عن طريـــــق جمعية شعبية لكن اختيار المرشحين كـان مقصورا على عائــلات معينــة مـــــن الارستقراطيين الاثرياء مما جعل الحكومة ممثلة في اقلية مختارة طالما ان تلـــك الاقلية تداوم على اتباع نفس السياسـة تجاه المستعمرات ، كانت قرطجنة تتـرك للحكام الحرية في ادارة شئونهم الداخلية . وبالاضافة الى ذلك تشير الكتابة التـي باثار لبدة الرومانية الى نوع اخر مـــن القضاة يسمى محزم (ا ى الجابي) وترجع تلك الوظيفة غالبا الى العهد الفينيقـــي ومن شأن الجباة جمع الغرامات وتزويد الاسواق بالمعدات والادوات .

كانت اقتصاديات الامبوريا تعتمد على نجارة القوافل الصحراوية وعلى الزراعـة وكان الفينيقيون من امهر الزراع القدامى فقد دربتهم الوديان الضيقة بسواحل سوريا على الزراعة المكثفة للبساتين لاستغلالهـا لاقصى حد ممكن . وبعد ذلـــك اتبـــع القرطاجيون من اصحاب رؤوس الامـــوال النظام الهلينستي في زراعة محصول واحد وهي طريقة علمية لاستغلال الضيـــاع الكبرى بالتخصص في زرع المحصول الذي يلائم الامكانيات المتوفرة لديها وكان الزيتون وما يزال، هو المحصول الذي انتشر في طرابلس فلا توجد اشجار او اية مزروعات أخرى تستطيع أن تقاوم الجفاف مثله ولا الرياح اللافحة لمدة طويلة ولا شك ان زراعة الزيتون بطريقة علمية في طرابلس يرجع الفضل فيه الى مجهود الفينيقيين . ولابـد ان المستعمرين قد استوردوا اشجـــارا أخرى للفاكهة مثل التين والرمان والخوخ واللوز والكروم كما أدخـل الفينيقيون فروع الزراعات الاخرى واساليب محسنة وادوات معدنية وغالبا انهم انشاوا عــلى الاقل بعض النظم لضبط المياه وتخزينهـا وهي النظم التي قام الرومان فيما بعـد بتنميتها على نطاق واسـع . وقد ذكر سترابو وجود سد فينيقي عند مصب وادي كعام .

اما الفنون والصناعة في طرابلـس ايام الفينيقيين ، فلا نعلم عنها شيئا يذكر

وما زلنا فى انتظار ما يأتى به التنقيب من معلومات • فالمقابر التى اكتشفت تحت المسرح فى ملعب لبدة كانت تحتوى على اوانى بسيطة من الفخار واخرى مطلية باللون الاسود ، وقناديل مستوردة من اليونان ، واجراس صغيرة من البرونز ، وعقود من فصوص الفخار والقواقع، لكن اشياء مثل هذه لا تمثل مستوى الحياة اليومية بصفة خاصة لان الفينيقيين كانوالا يدفنون مع موتاهم اشياء ذات قيمة خوفا عليها من سطو اللصوص• واكتشف فى (ابو ستة) عدة جرار طويلة اسطوانية الشكل مختومة برموز فينيقية كانت تستعمل لتخزين الزيت او النبيذ ووجدت معها قطع نقود قرطاجية من القرن الثالث ق•م ولعل النحت الفينيقى فى عصر ما قبل الرومان يتمثل فى ثلاث قطع اكتشفت فى لبدة وتمثل احداها رأسا كبيرا لرجل ملتح والاثنتان الاخرى لتمثالين نصفيين لمقاتلين ، وجميعها مصنوعة من حجر الجير ••

قد تلقى الحفائر الضوء على طقوس الامبوريا الدينية التى لا نستطيع فى الوقت الحاضر الا أن نستنتجها مما تبقى من اثار العصر الرومانى • واغلب الظن ان بانتيون طرابلس (مجموعة من الالهة) كان يضم الالهة الفينيقية الرئيسية مثل ملقارت ، هرقل مدينة صور (Melquart, the Tyrian Hercules) واشمون ، اله الشفاه من مدينة صيدا Sidon وساترابيس Satrapis اله الخصب والعالم الاسفل ، واستارتة ، الالهة الام الفينيقية ومعها زوجها ادونيس Adonis ويعرف باسم أشمون فى صورة اله الزراعة• وغالبا ان عبادة الزوجين القرطجيين بعل حامون وتانيت كانت منتشرة ، وكان بعل حامون فى اول الامر اله الشمس او السماء ثم ادمج بمرور الزمن فى آمون الليبى• لذلك يوجد شبه بين استارتة وتانيت ولكن يبدو ان هذه الاخيرة اخذت بعض صفاتها من الهة السماء الليبية خاصة قدرتها على در الامطار، ومثلها مثل آلهة التخصيب الاخرى ، كانت تتمثل أحيانا على شكل القمر • وأخيرا يمكن القول ان عبادة آلهة الاسكندرية المصرية ــ اليونانية مثل ايزيس وسيرابيس وهاربوكراتيس كانت سائدة فى طرابلس فى ما قبل عصر الرومان •

الامبوريا والمملكة النوميدية

في عام ٢٦٤ ق٠م٠ احتل القرطجيـون مسينا Messina وتسبب عملهم هذا في تعجيل القتال مع رومـا ، قتـال دام مايزيد على قرن وانتهى بتدمير قرطجنـة وقيام الحكم الروماني في افريقيـا ٠

ومع ان قرطجنة فقدت جزيرة صقليـة خلال الحرب البونية الاولـى ٢٦٤ – ٢٣١ ق٠م Punic War الا ان قوتها لم تتزعزع في مستعمراتها الاخرى ، ومـا لبثت ان استردت انفاسها واندفعت (بعد ثلاثة وعشرين عاما) في الحرب البونيـة الثانية (٢١٨ – ٢٠٢) ق٠م التي اوشكت أن تقضي علـى ايطاليـا عنـدما قـام هانيبال بغزو تلك البلاد لكـن الرومان تصدوا للعدوان واوقفوه عن التقدم ٠ وفي عـام ٢٠٤ ق٠ م٠ نزلت قـوات سيبيو افريكانوس Scipio Africanus بارض افريقيا وانضم اليه قائد ليبـي بقواته يدعى ماسينيسا Massinissa عاونه حتى انتصر في موقعة زاما الحاسمة٠

وبعد هذا الانتصار الذي كان مصيـر الرومان معلقا به قرر هؤلاء ان يعملوا على الحيلولة دون قيام قرطجنة مرة اخرى بعد نكستها فاشترطوا على القرطاجييـن ان يتنازلوا عن اسبانيا وان يدفعوا تعويضـا باهظا وان لا يزيد اسطولهم على عشر سفن٠ كذلك وضعوا خطة لشل حركة قرطجنـة في افريقيا فشجعوا ماسينيسا في التوسع على حسابها ، ومع انهم صرحوا لقرطجنـة بان تحتفظ بممتلكاتها الفينيقية بما في ذلك الامبوريا فقد كان عليها ان تـرد الـى ماسينيسا كافة المدن والاراضي التي كانت في حوزته او في حوزة اسلافه (وكـان الرومان قد اعترفوا به ملكا رسميا عـلى نوميديا المستقلة ، اى ما يعادل اراضـي الجزائر الحديثة تقريبا) وجاءت صيغـة تلك الجملة غامضة عن عمد بأمل أن تثير المشاكل بين ماسينيسا وقرطجنة خاصـة وان هذه الاخيرة كانت مقيدة بمعاهـدة الصلح التي تحرم عليها ان تعلن الحـرب دون موافقة من رومـا ٠

اما ما سينيسا فلم يكن في احتيـاج الى تشجيع كبير فخلال الخمسين عـام التالية كرس كل مواهبه الجبارة جسمـا وروحا كي يحقق احلامه في توحيد مملكة ليبية تمتد من مراكش الى برقة وعاصمتها قرطجنة ، وكان الرجل يجمع بين موهبـة السياسي المحنك والمقاتل ويقول عنـه سترابو انه حول البدو الرحل الى مزارعيـن

وخلق منهم دولة . ويرجع نجاحه الى حد بعيد لنشر طرق الزراعة ونظم الحكم الفنيقية بين القبائل الليبية . ومع ذلك كان يشعر ان بقاء قرطجنة مستقلة بجواره اشبه بشوكة فى ظهره فبدأ سلسلة من المناوشات على أراضى تعتبر بمقتضى اتفاقية الصلح المبرم ، من ممتلكات قرطجنة واستغاثت المدينة المغلوبة على امرها بروما دون جدوى اذ ان هذه كانت تقف دائما فى صف ماسينيسا .

وفى ستينات القرن الثانى ق.م كان ماسينيسا قد اعد عدته للاستيلاء على الامبوريا بحجة ان بعض العصاة فروا الى برقة وطلب من قرطجنه ان تصرح له بالمرور عبر طرابلس وعندما قوبل بالرفض شن عليها الحرب علانية واحتل الجفارة لكنه فشل فى الاستيلاء على الامبوريا لان قرطجنة استماتت فى الدفاع عنها .

وفى اثناء ذلك بادر القرطاجيون بأرسال مبعوثين الى روما نجحوا بعد الحاح فى ان يقنعوا مجلس الشيوخ بضرورة ارسال لجنة للتحقيق. ومرة اخرى ساندت روما حليفها وامرت قرطجنة بان تتنازل لماسينيسا عن الامبوريا وان تدفع له خمسمائة وزنة فضه (تالنت) تعويضا لاحتفاظها بتلك المدن دون وجه حق .

لكن السرعة التى سارت بها سياسة شمال أفريقيا بدأت تثير المخاوف بصفة جدية حتى فى روما نفسها . فاذا سيطر ماسينيسا على ساحل شمال افريقيا فقد يصبح منافسا خطيرا مثل ما كانت عليه قرطجنة . وتأزمت الحالة عام ١٥٠ ق.م عندما استفز ماسينيسا قرطجنة ظلما حتى اضطرها ان تتصرف دون تصريح من روما فقامت لمقاتلته بجيش حشدته بطريقة ارتجالية ، انتصر عليه دون جهد .

وادرك الرومان ضرورة المبادرة ليسبقوا حليفهم فتذرعوا بحجة بان قرطجنة حملت السلاح دون تصريح، واستغلت روما حقها القانونى واعلنت الحرب على قرطجنة للمرة الثالثة . وفى عام ١٤٦ ق.م اى بعد مرور ثلاث سنوات دكت المدينة الى الارض اما ما كان باقيا لقرطجنة من اراضى فى تونس عند بداية الحرب فقد آل الى روما وسمى « بولاية افريقيا الرومانية » وحفر الرومان خندقا طويلا اطلقوا عليه اسم خندق سيبيو Fossa Scipionis دلالة على الحدود التى بين تلك الولاية ومملكة نوميديا .

وقضى ماسينيسا نحبه اثناء اول عام من قيام الحرب التى اعرض عنها . ولم يتبع خليفته ميكبسا Micipsa ذات السياسة التوسعية لكنى مضى فى تشجيع الاهالى على الزراعة والاستقرار بدلا من حياة الترحال . وابان حكم الملك الجديد تمتعت الامبوريا بحرية ملموسة . حقيقة انها واظبت على دفع الاتاوة التى كانت تدفعها لقرطجنة انما كان لها الحرية فى اتباع نظام يطابق القانون والعادات الفينيقية . ويعزو سالوست موقف حكومة نوميديا المتساهل تجاه الامبوريا الى بعد الشقة

بينهـــا وبين كرتــه Cirta « أى قسطنطينة » عاصمة نوميديا ، كما يحتمل ايضا انها كانت سياسة مقصودة من جهـة ميكبسا ، تهدف الى عدم اثارة القلق فى تلك المراكز البعيدة ذات الحضارة الفينيقية • وعلى اية حال فقد افادت الامبوريا افـادة عظمى تحت الحكم النوميدى حيث انطلقت خارج العزلة التى كانت تعيش فيها أبان حكم قرطجنة وبدأت تتعامل مع روما • وفـى تلك الاثناء نمت صبراته نموا كبيرا ولا شك ان ازدهارها الملموس فى ذلك العهـد يرجع السبب فيه الى نمو حجم تجارتهـا مع ايطاليا وبلدان البحر الابيض المتوسط وبدأ رجال الاعمال الرومان يستقرون فى طرابلس وورد ذكر احد رجال المصـــارف الرومانيـــــين ، ويدعـى هيرينيوس ، Herennius فى لبدة فى أواخر القرن الثانى ق•م •

وقضى ميكبسا نحبه عام ١١٨ ق•م تاركا ملكه لولديه ادربعل Addherbal وهيمبسال Hiempsal ويوغرتـا Jugurta احد ابناء اخوته • وكان هذا الاخير طموحا وصوليا فبدا حكمــــه باغتيال هيمبسال وطرد ادربعل الذى هرب الى روما طالبا انصافه لكن يوغرتا رشـــا بعض اصدقائه من اعيان الرومان وكـــان ان فضل مجلس الشيوخ حل المشكــــل بتقسيم المملكة بين ابناء العم الاثنين فـآل نصف المملكة الشرقى وطرابلس الـــى ادربعل والنصف الغربـــى من نصيـــب يوغرتا ولم يمض وقت طويل حتى عـــاد يوغرتا الى التحرش بادربعل وحاصره فى كرته • وامام هذا التمرد الجديد اكتفـى مجلس الشيوخ اول الامر بتوجيه اللـــوم للمعتدى ولكن عندما سقطت كرته بيـــده واغتال يوغرتا ابن عمه ادربعل بل وتمادى لدرجة انه ترك رجاله يقتلون عددا مــــن الرومان المقيمين فاضطر مجلس الشيوخ امام سخط الرأى العام لان يتخذ اجراءاته • وبدأت الحرب بسلسلة مـــن الخسائر للرومان واتهم القادة الذين مـــن مجلس الشيوخ علنا بانهم مرتشون لمصلحة يوغرتا لكن الاحوال تحسنت بسرعة على يــــد ماريوس رئيس حزب الشعب فى رومـــا عندما سقط يوغرتا فى يده نتيجة لخيانة حميه بوكوس Bocchus حاكـــم موريتانيا ، وساق ماريوس يوغرتا الـــى روما حيث اعدم خنقا فى عام ١٠٤ ق•م • ووضع الرومان محله اخاه غير الشقيـــق غودا Gauda المسالم •

وعرفت لبده كيف تستغل الحـرب لمصلحتها فبعد تدخل الرومان بقليـــل ارسلت مبعوثين الى روما لابرام معاهـــدة صداقة واستجاب الرومان لطلبها بسرعة وغالبا ا ناويـا وصبراته حصلتا عـــلى معاهدات مماثلة • وفى عام ١٠٦ ق•م لجأت لبدة الى روما ملتمسة ارسال حاميـة لحراسة المدينة ضد مؤامرة يدبرهـــا هاميلكار وهو احد انصار يوغرتا ، بداخل المدينة • وارسل ماريوس اربع كتائب من مشاة ليجوريـــا بقيادة ك• انيــــوس C. Annius وهكذا استقر الرومان فى طرابلس لاول مرة • وسحبت رومـــا حاميتها على الارجح بعد الحرب ، لكـــن

المعاهدة بقيت قائمة وتمتعت الامبوريا في تلك الفترة باستقلال اسمى تحت حماية روما وقبل منتصف القرن الاول ق٠م٠ طلبت لبدة من روما ان تقنع ملك نوميديا يوبا الاول في ان يرد لها جزءا من اراضيها كان قد اغتصبه ، ولبت روما الطلب ٠

وعند قيام الحرب الاهلية في عام ٤٩ق٠م٠ بين بومبي وقيصر انحاز الملك يوبا علنا الى صف بومبي ، ونظرا لان انتصار قيصر كان يعني ضم نوميديا الى روما فقد وطد هذا السبب اواصر العلاقات التقليدية بين بومبي والبيت المالك في نوميديا ٠ وعندما استولى اتيوس فاروس Attius Varus على الولاية الرومانية باسم بومبي وعده يوبا في الحال بمساعدته وسرعانا ما سنحت الفرصة ليثبت قدرته فانتصر على سكريبنيوس الذى ارسله قيصر ضد فاروس ، وقتله ٠ وبدا يوبا وفاروس ينظمان تحصين افريقيا بصفه جدية ٠ وربما كانت تلك هي الفترة التي استطاع اثناءها انصار يوبا ان يستولوا على الحكم في لبدة وفرضوا على المدينة ان تموتهم بالرجال والسلاح والمال ٠

وفي يونيو عام ٤٨ ق٠م هزم بومبي في موقعة فارسالوس Pharsallus ثم اغتيل في الاسكندرية وبينما كان قيصر مشغولا في الشرق ، تجمعت فلول جيش بومبي المتناثرة في افريقيا تحت قيادة ميتيللوس سكيبيو Metellus Scipio وكاتو اونيكنس وكرر كاتو وهو في طريقه الى توس رحلة اوفيلاس التاريخية اذ قام من قورينا حول شاطىء سرت بخمسة عشر كتيبة وقضى موسم الشتاء في لبدة ٠ ولم يستطع قيصر ان يعود الى افريقيا الا في عام ٤٧ ق٠م فنزل بقوة صغيرة في تونس في شهر اكتوبر من ذات العام وقضى عدة اسابيع في قلق وهو يدبر ويدعم جيشه قبل ان يشتبك مع بومبي في موقعة تارسوس في شهر ابريل وانتهت الموقعة بفناء جيش بومبي وانتحار سكيبيو وكاتو ، ويوبا ٠٠ واصبحت افريقيا خلال ثلاثة اسابيع في قبضة قيصر ٠

ولم يفت المنتصر قبل ان يعود الى ايطاليا ان يوزع المكافآت والعقوبات فالغى المملكة النوميدية وضم الجزء الاكبر منها الى روما باسم « افريكا نوفا Africa Nova » أى أفريقيا الجديدة وعين سالوست المؤرخ اول حاكم عليها وسميت الولاية الاولى « افريكا فيتوس » أى أفريقيا القديمة Africa Vetus أما لبدة التى عقدت معاهدة مع يوبا وساندت كاتو ، فقد فرض عليها قيصر اتاوة سنوية stipendium بثلاثة ملايين رطلا من زيت الزيتون اى حوالى « ١٠ر٠٠٠ هيكتو ليتر » وغير وضعها من مرتبة الصديق المستقل الحليف للشعب الرومانى الى مستوى مدينة خاضعة للجزية ٠ والمعتقد ان اويا وصبراته فرض

عليها الوضع نفسه واذا كان الامر كذلك فلابد انهما ساهمتا فى دفع جزية الثلاثة ملايين رطلا التى تعتبر عبئا ثقيلا عن مدينة بمفردها ٠

وهكذا دخلت الامبوريا الطرابلسية ضمن الامبراطورية الرومانية فى جو أغبر ٠ وعندما توفى قيصر عام ٤٤ ق٠م خابت امال العالم فى الاستقرار بسلام ٠ فلم يتوقف النضال لمدة ثلاثة عشر عاما ناضل اثناءها انتونيو واكتافيوس وريتا قيصر ضد قتلته على السلطة ثم تقاتلا فيما بينهما ٠وفى تلك الفترة المضطربة تنقلت الولايات الافريقية من يد لاخرى وصالت الدماء الا ان طرابلس لم تتعرض للقتال ٠ وانتهى الامر بانتصار اكتافيوس عام ٣١ ق٠ م فى موقعة اكتيوم ٠

الحدود الرومانية

فى عام ٢٧ ق٠م توصل أوغسطس(لقب أوكتافيوس الجديد الذى اصبح يعرف به) الى تسوية مع مجلس الشيوخ تنازل بمقتضاها عن الاشراف على الولايات التى لا تحتاج الى دفاع عسكرى ، وعلى ذلك آلت ولاية افريقيا القديمة المسالمة الى مجلس الشيوخ على ان يديرها من قبل المجلس نائب قنصل مقره مدينة قرطجنه التى أعيد بناؤها ٠ وكانت ولاية أفريقيا الجديدة قد تلاشت تماما لان اوغسطس بعد موقعة اكتيوم إعاد المملكة النوميدية الى الوجود ٠ وولى جوبا الثانى ابن جوبا الاول على العرش مكافأة له عن الخدمات التى اداها اثناء الحرب الاهلية ٠ وعندما نقل جوبا لاسباب مجهولة - الى موريتانيا اضيفت نوميديا الى افريقيا القديمة واصبحت هذه ولاية كبيرة تحت حكم مجلس الشيوخ ، لكن اضافة نوميديا الى اراضى نائب القنصل كان يعنى تحمله المسئولية عن منطقة للتخوم تكثر بها القلاقل ، لذلك ارسل له اوغسطس فيلق اوغسطس الثالث وخرج بذلك عن نظامه المتبع بعدم اسناد قوى مسلحة الى قادة تابعين لمجلس الشيوخ ٠

ولم يمض على وصول الفيلق طويل وقت حتى بدأ حملاته الحربية ولا نعلم اى شىء عن الحملة التى قام بها نائب القنصل سمبرونيوس اتراتينوس Sempronius Atratinus الذى احتفل بانتصاره من اجلها فى عام ٢١ ق٠ م٠ ثم اشتبك خليفته ل٠ كورنيليوس بالبوس مضطرا فى قتال بدأمع القبائل الموريتانية ثم انتشر عبر الحدود الجنوبية بالولاية ، وترك بالبوس القبائل الغربية فى رعاية ضباطه وقام بحملة موفقة ضد الجرامنتيين فى فزان واغلب الظن أنه خرج اليهم من أويا أو صبراتة ٠ وقد ترك لنا المؤرخ بلينى Pliny وصفا مفصلا عن الاحتفال العظيم الذى قوبل به المنتصر عند اوبته الى روما كما ذكر فى قائمة طويلة عناوين الاماكن التى استولى عليها بما فى ذلك عاصمة الجرامنتيين « وهى جرمة الحديثة فى وادى الآجال » وكيدامى Cydamae «غدامس الحالية » التى اصبحت «مدينة حليفة» لروما٠ وبالرغم من تلك الانتصارات جاء ذكر حملة اخرى ضد الجرامنتيين بعد سنوات قليلة فى عام ١٥ ق٠ م بقيادة سولبسيوس كيرينوس Sulpicius Quirinus حاكم ولاية كريت وبرقة ويبدو ان طرابلس اشتركت فى العمليات الحربية لاسباب فنية وانتهت الحرب عندما انتصر لنتولوس كوسوس Lentulus Cossus على القبائل الغربية عام ٦ ب٠ م٠

وأثناء حكم تيبريوس (١٤-٣٧ ب٠م) اثار تاكفاريناس Tacfarinas

الفتنة فى نوميديا وكان الرجل مقاتـلا هاربا من قوات روما المرتزقة درب اعوانه على نظم القتال الرومانية ، وفشلت محاولات ثلاث قام بهـا نواب القناصـل للقضاء على تاكفاريناس بسبب اساليب التهـرب التى اتبعها ، ولكن بعد مضى ثماني سنوات من حرب العصابات استطاع ب، دولابيـلا Dolabella ان يوقع به فى الاسر ثم اعدمه عام ٢٤ ب٠م٠ واثناء تلـك العمليات استدعى فيلق هسبانا التاسع من بانونيـا Panonia لمؤازرة فيلق أوغسطس الثالث وكان كورنيليوس سيبيو Cornelius Scipio قائد الفيلـق مرابطا بالقرب من لبدة وكان عليه ان يصد الغارات عن اراضى المدينة وا نيلقى القبض على تاكفاريناس ، اذا ما حاول أن يلجأ الى الجرامنتيين ، ومع أن ملك الجرامنتيين كان قد وعد تـاكفاريناس بمساعدتـه الا ان مساهمته فى تلك الحرب لم تتعد عمليات السـطو ٠ وبعـد وفاة تاكفاريـنـاس راى ان من الحكمة عليه ان يوفد مبعوثـين الى روما ليطلب من طيبريوس العفو عـن تصرفه السابق ٠

وتعلم الرومان درسا من تلك الحرب حيث اتضح لهم ان الحكام الذين يختارهم مجلس الشيوخ لا يصلحون أن يكونوا قادة يعول عليهم ٠ وتحت حكم كاليجولا «٣٧ ٤١ ب٠م » أصبحت قيادة الفيلق بصـفة مستديمة لقائد يختاره الامبراطور ، وكان للقائد السلطة المطلقة اداريا وعسـكريا على المنطقة التى يرابط بها جنوده وهكـذا اصبحت المنطقة من الناحية العملية مقسمة الى قسمين ولو انها من حيث المبدأ كانت تعتبر ولاية واحدة ٠

وعندما قضى نيرون نحبه فى عـام ٦٨ غرقت الامبراطورية الرومانية فى الحـرب الاهلية لمدة عام واحد تولى فيه الحكم على التـوالى ثلاثة أباطرة : « جالبا ، واوتو ، وفيتلوس » Galba, Otho, Vitellus واسـتقر الرابع ويدعى فسـبازيان Vespasian حاكما دون منـازع على الامبراطورية ٠ وكان لعام الاربعـة أباطـرة رد فعـل فى افريقيـا اذ قام كلوديوس ماسر Claudius Macer قائد فيلـق أوغسطس الثالث باعـلان استقلاله عقب وفاة نيرون ثم اغتاله عملاء جالبا بعد هذا بقليل ٠ وجاء من بعـده فاليريوس فستوس Valerius Festus وهو من اقارب واتباع فيتيلوس ٠ ولكـن عندما اعلنت الفيالق الشرقية موالاتهـا لفسبازيان الامبراطـور المنـافس حـول فستوس ولاءه سرا وبعد خذلان فيتيلوس ووفاته اعلن القائد ولاءه للمنتصر جهـارا وأعدم كالبورنيوس بيزو نائب قنصـل افريقيا اذ ساوره الشك فى ان هذا الاخير كان مواليا لما تبقى من أتباع فيتيلوس ٠

وبينما كانت السـلطات الرومانية فى شغل بالنضال على الحكم انتهزت لبـدة وأويا الفرصة لفض مشكلـة خاصة فيما بينهما ٠ وبدأت تلك المشكلة بسبـب غزوات سطو على الحدود للاستيلاء عـلى المحاصيل والماشيـة ثم اشتغلت بسبب التنافس على التجارة واخيرا اندلعت فـى حرب واسـعة النطاق ٠ وعندما رأت أويا

انها لا تستطيع مقاومة منافستها القوية لجأت الى خطوة حمقاء اذ طلبت مساعدة الجرامنتيين • وامام هذا العدو الغشوم قبع اهالى لبدة بداخل اسوار المدينة بينما عمل الجرامانتيون على نهب الاراضى بالخارج • واخيرا تدخل فاليريوس فستوس وارسل قوة من المشاة والفرسان لنجدة لبدة فطردت الجرامانتيين الى الصحراء بعد استرداد الجزء الاكبر من الاسلاب • وبعد أن فض فستوس المشكلة بين لبدة وأويا قام باستعراض قوته فى فزان كما فعل بالبوس من قبله بتسعين عام واختار لمسيرته طريقا يوفر عليه أربعة ايام ، لم يطرق من قبل ويسمى « الطريق عبر جبهة الصخور » Road past the Brow of the Rock ويعتقد بعض الباحثين انه يمر عبر ابو نجيم وهون، كما يعتقد الاخرون أنه يسير على خط مستقيم من مزده ، عبر الحمادة الحمراء لكنه لم يعرف على وجه التحديد ، كذلك لا نعلم شيئا عن الحملة بالذات ولو انه يبدو انها نجحت لان الرومان استطاعوا ان يجعلوا من فزان قاعدة قاموا منها بحملتين الى دواخل افريقيا •

وكانت الحملة الاولى ابان حكم دوميشان Domitian ٨١–٩٦ب•م• بقيادة سوويليوس فلاكوس Suellius Flaccus قائد فيلق اوغسطس الثالث • ويقا لان فلاكوس سار بجيشه تجاه الجنوب لمدة ثلاثة اشهر حتى وصل الى بلاد الاحباش وغالبا ان رحلته تلك كانت لمجرد الاستكشاف الحربى • اما الحملة الثانية فكانت بقيادة جوليوس ماترنوس Julius Maternus من مدينة لبدة وربما كان تاجرا او مستكشفا اكثر منه جنديا • انضم ماتيرنوس الى ملك الجرامنتيين فى جرمة فى غزوة ضد الاحباش لاقتناص الرقيق وبعد مسيرة اربعة اشهر وصلا الى احد اقطار الاحباش يسمى اجيزمبا Agysimba حيث تكثر اسراب وحيد القرن • ويعتقد البعض ان اجيزمبا هى بحيرة تشاد ولكن الاصح • نظرا لانها بلاد جبلية ، ربما تكون أيرو ومن الواضح أن ماتيرنوس كان يبحث عن المصادر التى تؤمها القوافل عابرة الصحراء•

وثمة رحلة اخرى لها هدف حربى اكثر من السابقتين ، قام بها سويليوس فلاكوس ضد النسامونيين بشرق طرابلس عام ٨٥–٨٦ب•م• – كان هؤلاء القوم يعيشون بداخل الحدود الرومانية وبالتالى فرضت عليهم الضرائب الرومانية لكنهم ثاروا ضد طلبات الجباة التعسفية حتى انهم قتلوا بعضا منهم • وهزم فلاكوس هزيمة نكراء عند أول لقاء بالمتمردين ، وسقط المعسكر الرومانى فى ايديهم• لكن هذا الانتصار كان سببا فى القضاء على النسامونيين لان المعسكر كانت به كميات وفيرة من الزاد والنبيذ نزل النسامونيون عليها بدلا من تعقب الرومان• وبينما كانوا يغطون فى النوم وهم سكارى ، عاد فلاكوس فجاة وقضى عليهم ذبحا ولم يفلت منهم الا عدد قليل فروا الى الصحراء • وتباهى دوميشيان فى مجلس الشيوخ بان النسامونيين ابيدوا عن بكرة ابيهم •

كان القرن الثاني فترة سلام بالنسبة الى طرابلس والامبراطورية بصفة عامة لكن الغيوم بدأت تتلبد في اواخر هذا القرن ، ذلك انه ابان حكم الامبراطور سبتميوس سفيروس « وكان من مواليد لبدة » حدث أن بعض قبائل غير المعروفة على وجه التحديد والمحتمل أنها في الغالب من الجرامانتيين أو النسامونيين ، قامت بسلب المنطقة الساحلية وبعد ان قضى على الغزاة غالبا على يد سبتميوس سفيروس ، اذ انه عاد لزيارة مسقط رأسه بين عام (٢٠٣-٢٠٤) ، بدأ الامبراطور باعادة تنظيم جذرى في تحصينات الحدود ، وواصل العمل من بعده ابنه ووريثه كركالا ٢١١ - ٢١٧ واتمها الاسكندر سفيروس عام ٢٢٢- ٢٣٥ .

وكما سبق أن رأينا كان الرومان حتى ذلك الوقت يعتمدون في دفع الهجوم بالمنطقة الساحلية على قوات متحركة تتغلغل في الدواخل لاستئصال الخطر من جذوره اذا احتاج الامر لذلك ولا يوجد ما يشير الى وجود حدود او استحكامات ثابتة في المائتي عام الاولى للامبراطورية ، لكن سفيروس لم يتبع تلك السياسة بل وضع نظاما ثابتا للدفاع بداخل البلاد اسمه ليمس تريبوليتانوس Limes Tripolitanus « التخوم الطرابلسية » المؤلف من ثلاث مناطق متميزة . القريات

فالمنطقة الاولى تتكون من ثلاثة حصون كبرى منعزلة في بونجيم والقريات الغربية وغدامس Cydamae وتقع ثلاثتها على خطوط المواصلات الرئيسية بين داخل البلاد والساحل وبعد ان شيدت تلك الحصون رابطت بها قوات من فيلق اوغسطس الثالث » ويرجع تاريخ اقامة حصن أبو نجيم الى ٢٠١ ب.م ، وحصن غدامس الى حكم كركالا ، والقريات الغربية الى حكم الاسكندر سفيروس .

وخلف تلك الحصون المتباعدة حدد الاسكندر سفيروس منطقة لاقامة الليميتاني (المزارع المحصنة) Limes Tripolitanus وهي تقع في أحواض وادى سوف اجين وزمزم . والليميتاني هم المقاتلون الليبيون القدامى الذين انتهت مدة خدمتهم في الجيش الروماني فكانوا يمنحون مساحة من الاراضي معفاة من الضرائب ويعطون عبيدا . ومواشي مقابل تعهدهم بالدفاع عن اراضيهم ضد اعتداءات الحشود البربر . وتعتبر تلك المزارع المحصنة حيث كان يقيم هؤلاء الجنود المزارعون والمباني التذكارية التي شادوها لموتاهم (ص١٣٦) من أهم البقايا الاثريه في البلاد .

اما المنطقة الداخلية لهذا المخطط الدفاعي فتتكون من طريق استراتيجي يمتد من فوق قمة الجبل ويربط فيما بين تاكابى و Tacape (Gabes) قابس في تونس ولبدة ويبقى الطريق ممتدا شمال هضبة غريان Garian plateau والاراضي الزراعية الخصبة على هضبة ترهونة . ويتضح من هذا ومن المحطات غير المحصنة التي بالطريق ان هذه البقعة لم تكن خط حدود

دفاعي بل خطا جانبيا للمواصلات مـــن الجهة الخلفية لشبكة الدفاع بداخل البلاد ٠
في ذات الوقت كان الطريق يحد فيما بين ولاية نائب القنصل وولاية نوميديا الجديدة
الامبراطورية الـتى اقامهـا سبتميـــوس سفيروس حتى يضفى الصبغة الشرعيـــة
على الوضع الذى أوجده كليجولا عندما قسم افريقيا بين نائب القنصل والقائد الحربى
(ص ٢٥) ٠

فى عام ٢٣٨ ق٠م تم تســريح فيلق اغسطس الثالث الذى قام بدور هام فـــى
خلـع الامبراطـــورين جورديون الاول ، وجورديون الثانى ومع أن فاليريان « ٢٥٣ـ
٢٦٠ » اعاد تنظيم هذا الفيلق يبدو انـه لم يعد للعمل فى طرابلس ، ولعل القوات
المرابطـــة فى حصون أبو نجيم والقريات الغربية وغدامس استبدلت بقوات محلية
او فرق من القوات المساعدة التى ما زالـت تحت فـــيادة القائد النوميدى ٠ وثمـــة
تطورين نجما من ازدياد اللامركزية بعـد سحب الفيلق : التطور الاول هو ظهـــور
ضـــابط من نوع جـديد يسمى ســـنتنا ريوس centenarius وهـــــذا مركز
يعـــادل الشـــنتوريون centurion «قائد المائة فى الجيش الرئيسى بالبلاد »
وفـــى طرابلس كـان دور الشنتوريون الرئيســـى حراسة الاماكـــن الهامـــة
التى لا تصلـــح لان تكون مزارع محصنة ، او تلك التى تحتاج الى تدعيم دفاعى ،
والتطـــور الثانـــى هـــو تقسيــــم الحـــدود الطرابلسيـــة الى مناطـــــق
تدافع عن نفسها وتخضع الواحدة منهـــا الى قائد محلى للتخوم يسمى prepositus
limitus ونجـــد نقوش على جـــدران مبنى صـــغير محصن فى ســانية دويب
بأعالى وادى ســـوف اجـــين ، ونشـــير النقـــوش الى ان المبنـــى centenarium
شيد ابان حكم الملك فيليب العربـــــى «٢٤٤ـ٢٤٩ » ليصد غـــزاة البرابـــــرة
عن تخـــــوم طـــــرابلس limes tentheitanus limes Tripolitanus
اى فى القطاع الذى تحت قيادة منطقـــة تنتيوس Tentheos (الزنتـــان) وهـــو
مركز حربى على طريق « ليمس »

وفى أواخر منتصف القرن الثالث ظلت أنظمة الدفاع الطرابلسية ثابتة لم تتغير
حتى اخر العصر الرومانى ٠

النظام المدني تحت حكم الرومان

كانت افريقيا تحت حكم نائب القنصل مقسمة الى ثلاث ولايات يحكم كلا منها قائد بسلطة نائب قنصل وكانت كل قرطجنة وهبودياراهيتوس Hippo Diarrhystus (أى بنزرت) عاصمتين لاثنتين من تلك الولايات ومن المعتقد ان لبدة كانت العاصمة الثالثة على ولاية طرابلس . وأيا كان الحال فان المدن الطرابلسية الثلاث كانت تتبع منطقة ادارية واحدة منذ البداية ، ولو ان اصطلاح Tripolitania Regio «القطر الطرابلسية » لم يرد رسميا الا في اوائل القرن الثالث . ونظرا لان لبدة كانت اكثر المواصم الثلاث ثراء فاغلب الظن انها كانت المركز الادارى للمنطقة . ومع ذلك يجدر بنا ان نلاحظ ان صبراته كانت مقرا لمحكمة الجنايات

وفضلا عن تطبيق القانون فى القضايا التى ليست من اختصاص سلطات المدينة كان نائب القنصل مسئولا عن الضرائب ، وكانت تلك ، فى عهد الامبراطورية ، ضرائب مباشرة وغير مباشرة .والضرائب المباشرة فى طرابلس كانت اساسا ذات الضرائب المقررة stipendium بثلاثة ملايين رطلا من زيت الزيتون (ص٢٢) التى سبق أن فرضها قيصر على لبدة ، واذا رأت المدينة ان هذا القدر فوق طاقتها كان بامكانها طلب تخفيضه بمقتضى القرار الذى أصدره الامبراطور اوغسطس بخصوص مراعاة امكانيات الولايات عند دفع الضرائب . اما الضرائب غير المباشرة فكانت اربع ضرائب جمركية وتحصل على السلع المستوردة برا او بحرا ، ثم ٥ فى المائة ضريبة على الوفاة وكانت تطبق على المواطنين الرومان دون غيرهم ، ثم ٥ فى المائة ضريبة على عتق العبيد و ٤ فى المائة على بيع العبيد . وفى المائة ب.م. كانت تلك الضرائب تطبق على الشركات والافراد لكن اوغسطس عمل الكثير للحد من استغلال هذا النظام الذى اثار فضيحة كبرى ايام الجمهورية . ومن عهد فسباسيان (٦٩ ٧٩ ب.م) اصبح للافريقيين جمعية خاصة للولايات concilium يمكنهم رفع الشكاوى عن طريقها للامبراطور مباشرة دون الرجوع الى نائب القنصل ، وابان حكم تراجان «٩٨ - ١١٧» اصبح المسئول عن تحصيل الضرائب غير المباشرة موظفون تابعون للامبراطورية . اما مكتب الدخل الامبراطورى فى لبدة فكان مقسما الى قسمين احدهما viticus maritimus خاص بالضرائب على السلع الواردة عن طريق البحر وعلى ضريبة الوفاة ، والاخر

vlticus terrestris خاص بالضرائب على السلع الواردة عن الطريق البرى ، وعلى ضرائب بيع وعتق العبيد ٠

وكان نائب القنصل وحفنة الموظفين العاملين معه يعتمدون الى حد بعيد على السلطات المحلية بمدن الولايات لانجاز الاعمال الروتينيه بالحكومه ، وترتب على هذا ان بقيت هيئات البلدية على حالها لتواصل عملها دون تدخل من الرومان الا فى اضيق نطاق ٠ وهكذا احتفظت لبدة بدستورها الفينيقى القديم تحت حكم الرومان ولا شك ان نفس الوضع ينطبق على اويا وصبراته ولو اننا نفتقر للدليل المباشر على ذلك ٠ بين الاعوام ١٢ و ٦ ق٠م٠ منح أوغسطس المدن الثلاث حريتهم libertas التى كان قيصر قد حرمهم منها وبالتالى عادت للحكم المحلى حريته فى فرض الضرائب ، الامر الذى كان محظورا أثناء حكم الجمهورية لكنه فى ذات الوقت كان ضمانا وان كان قابلا للالغاء بان نائب القنصل لن يتدخل بصفة استبدادية فى شئون البلدية بالمدينة ٠ واحتفالا بهذه الترقية سكت المدن الثلاث نقودا تحمل صورة الاباطرة وظلت تصدرها حتى عهد تيبريوس (صورة ٣) ونستطيع ان نلمس حالة الاستقرار المدنى المطرد فى لبدة اذ نراها تشيد مبانى عامة كبرى مثل المسرح والسوق المسمى كالكيديكوم Chalcidicum كما نلاحظ نموها السريع فى اول عهدها بصفتها (المدينة الامبراطورية) ٠

وخلال القرن الثانى ب٠م٠ رقيت المدن الثلاث الى مرتبة مستعمرات رومانية وبهذا الوضع الجديد حازت على كافة الحقوق الرومانية على الوجه التالى : لبدة (١٠٩ ـ ١١٠) ابان حكم تراجان Trajan أويا فى أواسط القرن ، وصبراتة غالبا قبل أواخر حكم انتونيوس بيوس ١٣٨ ـ ١٦١ ٠ وقبل أن تحصل على مرتبة مستعمرة ، مرت المدن الثلاث غالبا بفترة الانتقال الطبيعية المسماة municipia « اى ذوى حقوق لاتينية » بمعنى انها مدن يتمتع فيها القضاة فقط او القضاة واعضاء مجالس الشيوخ بالجنسية الرومانية تلقائيا لكننا لا نعلم شيئا يذكر عن فترة التطور تلك ٠ وكان لقب مستعمرة يمنح ارضاء لكبرياء المواطنين بالولايات لان المستعمرات كانت فى أول عهدها مدنا أقامها مهاجرون من مدينة روما بالذات وكانوا لهذا السبب يعتبرون (من أبنائها) وجزءا استقطع منها مثل فرع الشجرة ليزرع فى احدى الولايات ٠ وكان الالحاح فى طلب الحصول على مرتبة «مستعمرة» فى القرن الثانى دليلا على تقدير للحكم الرومانى ، كما أن انتشار منح تلك الميزة يوضح لنا اهتمام العاصمة بالولايات النامية ٠

وبعد ان حصلت المدن الثلاث على الجنسية الرومانية غيرت التخطيط الاصلى لنظام الحكم او على الاقل غيرت التعريف المصطلح عليه ، تمشيا مع التقاليد الرومانية فأصبح الشوفيت « القاضيان المنتخبان سنويا » يدعيان « ديوفيرى »

duoviri وهـو لقب بالمستعمرة يعادل لقب : قنصل رومانى ، وبعد مضى خمس سنوات عندما كان العمل يقتضي تحمـل مسئوليات اكثر او تمجيدا أعلى، كانـا يلقبـان ديوفيرى كينكينا ليس duoviri quinquennales لذلك اصبح مجلس الشيوخ او المجلس التشريعى الذى يراسه الديوفيرى يسمى اوردو ديكوريونـوم ordo decurionum وكلمـة دكوريون تعنى المواطن الثرى الذى سبق له ان عمل قاضيا أو أنه أهل لهـذا المنصب · أما ادارة الاعمال اليومية فكانت من مسئوليـة ما يسـمى ايديليس aediles وهو ما يقابله المحزم (ص١٧) بالفينيقية ، وقضاة



ا ـ لبـدة
الوجه : راس الامبراطور اغسطس
الظهر : راس ليبرباتر وهرقل

ب ـ اويا
الوجه : راس الامبراطور اغسطس
الظهر : راس مينرفا وابوللو

ج ـ صبراته
الوجه : راس اغسطس
الظهر : راس هرقل

الرسم ٣ ـ مسكوكات محلية من البرونز

من درجة ادنى يسمون كيستورسـ questores أما الاعمـال الخاصـة مثل اعادة بناء حمامات هارديان فى ابـدة التى قام بها كـومـودوس Commodus (ص ٦١) فكان يعين لها كوراتورس · وكما كان الحال فى روما ، كان سكـان المدينة يقسمون الى دوائر انتخابية تسمـى كوريا curia لكل منها اسمها الخاص ومن الاحدى عشر دائرة انتخابية معـلوم لدينا منها ثمانية اتخذت اسماء من افـراد اسرة تراجان اعترافا بجميله لمنحه اياهـا مرتبة مستعمرة وغالبا ان صبراته منحت نفس المرتبة اذ أنهـا اطلقت عـلى دوائرها اسـماء أفراد أسـرة انتونيوس بيـوس

Antonius Pius . وكانت الجمعيـة الشعبية تتكون من هذه الدوائر واختصاصها في الغالب كان مقصورا على اجراءات بسيطة مثل الموافقة على مقترحات تعرض علـيها أو على قرارات ترقية لمرتبة شرف اعلى ، أو انتخاب قضاة من كشف يقدم لها باسمـاء المرشحين المختارين .

ومع ان منح مرتبة مستعمرة كان يرضي كبرياء السكان الا انه بالعكس لم يعـد عليهم في حد ذاته باي ميزة مالية فكـان الاثر المالي الوحيد الذي جاء في أعقابه هو أن كافة السكان أصبح يطبق عليهم ضريبة (الوفاة على المواطن الروماني) . ومع ذلك

كان يمكن لمستعمرة ما بمرور الوقت أن تمنـح ميـزة اضـافية ius italicum

اى الضمان للمدينة باستغلال اراضيهـا بمثل حقوق المدن الايطالية تماما مع اعفائها من الضرائب . وحـوالى ٢٠٢ منـح سبتميوس سفيروس هذا الحق لمدينة لبدة مسقط راسه وعبر اهالى المدينة عـن تقديرهم بان اضافوا لقب سبتيميا الـى اسم المدينة واطلقوا على انفسهم اسـم سبتميانى لكننا نشك في أن المدينـة عاد عليها أي كسب من هذا الامتياز الجديد . وبعد هذا بقليل اراد السكان ان يعبروا عن تقديرهم لسبتميوس اذ قام باعمال جـديدة لتحصين الحدود ، الامر الذى أنقذهم من تهديد الغزو على مزارع الزيتون (ص٢٧) فاتخذوا خطوة حمقاء اذ تعهدوا ان يقدمـوا لسكان روما كمية من زيت الزيتون بصفـة مستديمة دون مقابل وتحول الامر مع الزمن اذ اعتبر الاباطرة هذه الهدية ضريبة مفروضة واثقل هذا الامر كاهل المدينة الى ان اعفاها قسطانتين من تلك العملية نهائيا .

ويسجل التاريـخ ذروة الرضا الامبريالى على مدينة لبدة ابان عهد سفيروس . وبينما كان السيفيرى (اسم سكان لبدة الجديد) يراقبون تنفيذ البرنامج الضخم الذى وضعه سفيروس في لبده مثل قوس النصر الذى شيد فيعام٢٠٣ احتفالا بزيارة الامبراطور، وسوق سفيروس والبزليكا والشارع المعمد والميناء الجديد ، بينما كانوا يراقبون هذا لم يتأت الا لبعيدى النظر فعلا أن يتساءلوا في شك عما يخبئه لهم المستقبل في طيـه .

الحياة في المدن الرومانية

كانت مدن طرابلس مثلها مثل جميع مدن الولايات الاخرى في أنحاء الامبراطورية الرومانية تضع دستورها على نمط الدستور الروماني ، بل وتتبع التقاليد الرومانية الى ابعد مدى ممكن .

وكان « الميدان » forum فورم محور الحياة الاجتماعية في كافة المدن الرومانية، وهو عبارة عن ساحة كبيرة غير مسقوفة لا تدخلها العربات من اى نوع كانت، ويحيط به المعابد الرئيسية ، والمباني العامة ، والمكاتب الحكومية والحوانيت tabernae كما انه كان ملتقى للمقابلات الاجتماعية ومركزا للاستعلام ، ومقرا للجمعية العمومية . وكان يؤمه المرء ليرى ويستمع الى اخبار المدينة وليتحدث مع اصدقائه في ظلال الاعمدة ، او ليتجول في الامسيات بين التماثيل التى اقيمت بقرار من البلدية تمجيدا للاباطرة ورجال الخير من ابناء المدينة - وفيه يتجمع الاهالي في دوائرهم الانتخابية ليستمعوا الى القضاة او ليدلوا باصواتهم . وكانت المنصات التى يعتليها الخطباء كثيرا ما تقام امام المعابد ، خاصة تلك التى تتبع العبادات الرومانية مثل معبد روما واغسطس في لبدة والكابيتوليوم في صبراته .

وبالاضافة الى المعابد التى بالفوروم يوجد الكوريا curia والبازيليكا basilica والاولى قاعة يجتمع بها شيوخ البلدية ordo decurionum تحت رئاسة القضاة المنتخبين لمدة عام اما البازيليكا فكانت امتدادا للميدان ، وكانت مسقوفة للوقاية من الشمس والامطار وتشتمل على قاعات المحاكم ومصرف للمعاملات المالية وكان الجمهور يدخلها دون قيد اما للتسلية بالاستماع الى المحاكمات ، او لمساومات التجار ، واحيانا كانت تلقى بها محاضرات مثل المحاضرة التى القاها ابوليوس Apuleius من اهالى مادورة عن اسكولابيوس Aesculapius في البازيليكا بمدينة أويا (ص ٣٦) .

ولم يكن الفوروم المكان الوحيد الذى يؤمه الشعب اذ كان السواد الاعظم من الاهالى يتدفقون بعد الظهيرة الى الحمامات اما للاستحمام او لمجرد التجمع ، وكانت الحمامات مجهزة بالماء الساخن والفاتر والبارد caldarium tepidarium frigidarium في غرف منفصلة . وكثيرا ما كان الاستحمام مسبوقا بحمام بخار laconicum وبدلا من الصابون كان المستحمون يدهنون اجسادهم بزيت

الزيتون ثم يزيلون ما يزيد عن حاجتهم منه بمقشاط من المعدن strigils وكان الاثرياء يصطحبون عبيدهم أو يستخدمون العمال المختصين بالحمامات ليقوموا بعملية تجفيف ودهان وتدليك اجسادهم ·

وكانت الحمامات على انواع مختلفة من حيث المستوى والحجم فكان بعضها لا يتعدى حجرة صغيرة لخلع الملابس apodytarium بالاضافة الى حجرات الماء الساخن والفاتر والبارد التقليدية ، اما حمامات هادريان Hadrian فى لبدة فقد شيدت على نمط الحمامات الامبراطورية الفخمة thermae فى روما ، وكانت تشتمل على ملاعب فسيحة للرياضة palaestra والعاب القوى مما كان يمارس قبل الاستحمام ، وكان بها ايضا حوض للسباحة فى الهواء الطلق natatio وقاعة مسقوفة لالعاب الجمباز ويتوسط كل هذا بهو غاية فى الفخامة مزدانا بكثير من التماثيل ·

كانت المراحيض العامة forica من المنافع التى جهزت بها مدينة لبدة وكانت عادة ملحقة بالحمامات · ونظرا لان المنازل الخاصة الفخمة فقط هى التى كانت مجهزة بالمراحيض كان الاقبال على هذه الاخيرة كبيرا ويمكن استعمالها مقابل دفع مبلغ زهيد · ومما يثير الدهشة ان تلك المراحيض كانت عامة بمعنى الكلمة اى انه لم يكن بها فواصل تحجب الافراد عن بعضهم اثناء استعمالها ·

اما سبل التسلية فى العالم الرومانى فكانت المسرح ، والملعب amphitheatre وسبق الخيل وكان الليبيون يقبلون عليها جميعها · واذا قارنا بين التمثيليات الدينية والادبية عند الاغريق وبين المسرح الرومانى فى العهد الامبراطورى لوجدنا ان هذا الاخير كان على مستوى الميوسيك هول music hall أى موسيقى الكباريهات ، ومع ان (تمثال) الالهة سر يس كانت تشرف على التمثيل من هيكل صغير خلف الجمهور ص ٨٠ كان التمثيل الذى يؤدى امامها يتسم بطابع البشر ولا يمت للالهة بشىء بتاتا ولم يبق الا اثر طفيف لتمثيل التراجيديا فى شكل منتخبات من الادب التراجيدى وضعت له الحان تعبيرية · وعلى مقدمة المسرح فى صبراته يوجد نحت لممثلين تراجيديا مقنعين يرتدون جلد الغزال ، الا ان التراجيديا لم تقو على منافسة استعراضات البانتوميم وهى اشبه برقص ــ الباليه ــ الايقاعى التعبيرى · كانت مواضيع البانتوميم تؤخذ من الميتولوجيا الاغريقية كما يحدث فى التراجيديا ، ولكن الممثل بدلا من النشيد والالقاء ، كان يعبر عن الدور الذى يقوم به عن طريق الرقص والاشارة وكان ذات الممثل يقوم بادوار كافة شخصيات التمثيلية مكتفيا بتغيير القناع ليلائم الشخصية التى يقوم بتمثيل دورها وكانت حركاته تتمشى مع نغم جوقة الموسيقى واناشيد الكورس وطالما اعترض الحكماء القدامى على تلك الانغام العاطفية المثيرة · وعندما قام ماركوس سبتميوس اوريليوس أجريبا ممثل البانتوميم الشهير بزيارة لبدة ،وكان

من معاتيق كراكلا أقاموا له تمثالا عند المدخل الخلفي بمبنى المسرح ، وعلى قاعدته كتابة تقول أنه أعظم ممثل في عهده اذ تعلم فن التمثيل في روما واصاب نجاحا في فيرونا، وفيتشنسا وميلانو. وكما طردت البانتوميم التراجيديا من على المسرح، تسببت الميم — وهي ذات البانتوميم — لكن دون قناع — في عزل الكوميديا التقليدية . ونظرا لان ممثل الميم كان غير مقتنع ، كان هذا اللون من التمثيل يهدف الى اعلى درجة من الواقعية كذلك كانت الادوار النسائية تسند الى النساء بعكس ما كان متبعا في الدراما القديمة اما موضوع التمثيل فكان يؤخذ من أحداث الحياة اليومية ، خاصة ما يمت منها الى العنف والجريمة والخيانة الزوجية .

واكتشفت لوحة بالفسيفساء تمثل الالعاب التي كانت تقام في الامفيتياتر ، وكانت اللوحة في دار بوك عميرة بالقرب منزليطن (ص١٣١) ثم نقلت الى متحف الاثار في طرابلس ، وعلى جانبي اللوحة صورة لصيد الحيوانات المتوحشة التي كانت تقام اثناء الصباح في حلبة arena تحول الى غابة صناعية ويرى في الصورة رسم للصيادين وكلابهم بينما ينقضون على الغزلان والايائل والحمار الوحشي والنعام وهناك صورة لدب وثور مقيدين ببعضهما —مع ما في ذلك من مفارقات — وهما يتقاتلان حتى الموت. وبالقرب من تلك المناظر، صورة قزم ومعه خنزير مستأنس يمثلان العنصر الهزلي . توجد ايضا مناظر تشير الى العقاب البربري damnatio ad bestias الذي كان اسرى الحرب والمجرمون يعاملون به وذلك بتعريضهم للحيوانات المفترسة اثناء الصيد . ويرى اثنان من الضحايا مقيدين الى عامود من الخشب وهما واقفين على عربة تدفع باليد وقد غرس فهد اسنانه في احدهما بينما يدفع العامل المختص بالحلبة البستياروس bestiarus بالاخر تجاه حيوان ثان وفي منظر اخر يسحب البستياروس الضحية من شعره نحو اسد . ويعتقد البعض ان الضحايا المرسومة في هذه اللوحة تمثل الجرامنتيين الذين قبض عليهم فاليريوس فيستوس (ص ٢٦) .

وبعد الظهر كانت الآرينا تخلي لالعاب المقاتلين gladiatores جلادياتور ويبدو هؤلاء على الجانب الآخر من لوحة الفسيفساء— بدار بوك عميرة — وكان الجلادياتور يرتدون ملابس تتمشى مع العابهم التقليدية فكان المارميللونس Marmillones والسامنايت Samnites يحملون اسلحة ثقيلة ودروع بيضاوية مستطيلة وخوذات وسيفين لكل مقاتل ، وكان اهالي تراس يحملون دروع صغيرة مستديرة وسيوف مقوسة او منثنية ، اما الرتياريي Retiarii فكانوا عراة الرأس ويحملون شبكة وشوكة طويلة بثلاثة اسنان . وكانوا يميلون في تلك الالعاب الى المفارقات فنرى مثلا صورة

المعركة قائمة على انغام الموسيقى تؤديهـــا جوقة من لاعبى التوبا ـ النفير ـ والبـوق والارغن المائى • وتشير اللوحة الى بعـض معارك انتهت فيرى الجلادياتور المهـــزوم رافعا ذراعه الايسر الى فوق دليلا علــــــى استسلامه بينما الحكم ، لانستا lanista يلتفت تجاه القاضى فى انتظار قراره الذى يطابق عادة رغبة الجمهور • فاذا رفـــع الرئيس ابهامه الى اعلى دل هذا على انقاذ حياة المقاتل اما اذا وجهه الى أسفل ، يعاجله منافسه المنتصر بضربة قاضية •وفى مؤخرة الصورة يرى نعش يشير الى النهاية الاليمة المرتقبة • كانت حفلات الجلادياتور تـدوم عدة ايام وتشير بعض كتابات ترجع الـى عام ٢٠٠ ب• م• الى حفل من هذا النوع دام خمسة ايام فى صبراته لكن الكتابة تذكـر كذلك ان تلك كانت المرة الاولى التى يدوم فيها الحفل مدة طويلة مثل هذه •

وانفردت لبدة بوجود ملعب دائم مبنـى بالحجر لسباق الخيل مركوس circus وربما كـــان لدى صبراتة وأويا ملاعب مماثلة من الخشب • وكان السباق يقـــام عادة بمركبات تسحبها اربعة جياد ويتنافس راكبوها بالحلبة وقد يصل عددهم الى اثنى عشر متسابقا يدورون سبع مرات متجهين بعكس سير عقارب الساعة من اليمين الى اليسار كان يوجد بوسط الحلبة سبينا spina اى صف مكون من سبع بيضات او سبع صنابير تنبثق من سبع دلافين ، والصف مرفوع على قوائم عالية لتبيين للجمهور عدد الـدوارت التى مر بها المتسابقون وذلك اما برفع بيضة ، باغلاق احد الصنابير ، حسب النـــوع المستعمل • وعندما كانت احدى المركبـات تشتبك باخرى عند المنحنيات او تتحـرش بها عمدا لتسبقها كان الامر ينتهى عـــادة بانقلاب المركبتين • ويوجد فى مقبـــرة ميترائيه mithraic فـــــى قرقـــارش ـ ص ٩٠ ـ صورة تمثل حادثا من هذا القبيل • وكانت المراهنات ـ وهــــى مصرحة رسميا على السباق ـ مما يزيد فى اثارة الجمهور • ومن المحتمل انهم كانـــوا ينحون فى لبدة الطريقة المتبعة فى رومـــا وغيرها من المدن الكبرى حيث كان المتسابقون ينقسمون الى اربع مجموعات ـ حمـــراء ، وبيضاء ، وزرقاء ، وخضراء ، ـ يتبـارى الجمهور على فوزها •

أما الحياة الاجتماعية فى المدن الطرابلسية فى القرن الثانى ب• م• فلدينا صـــــورة واضحة فريدة عنها فى الدفاع ابولوجيـــا الذى قام به ابولييــــوس apologia الكاتب الشهير من أهالى مادورا ، ومؤلف كتاب « الحمار الذهبى » •تروى القصة ان ابولييوس وهو فى طريقه الى الاسكندريـة اصيب بمرض وهو فى اويا حيث يقيـــم صديقه وزميله السابق من ايام الدراسة فى اثينا ، ويدعى سيكينيـوس بونتيانـــوس Sicinius Pontianus وكان يعيش مع امه وهى ارملة ثرية تدعى ايجليا بودنتيلا وعندما علم بونتيانوس بمرض ابولييـوس دعاه للاقامة فى منزل والدته على شاطىء البحر وقبل ابولييوس الدعوة مســرورا • لكن دعوة بونتيانوس كان وراءها امـــر ، اذ كان يهدف الى اقناع صديقه بالزواج من امه بحيث ينقذ ثروتها من الوقوع فى يـد

رجل آخر لا يرغب فيه . ولم يفصح الرجل عن غرضه بادىء ذي بدء ولكن فرصته سنحت عندما دعي ابوليوس ليحاضر عن اسكولابيوس في البازيليكا وابدع في الخطابة حتى ان الجمهور الح عليه ان يبقى في أويا ويصبح من مواطني المدينة . وانتهز بونتانوس تلك الفرصة وعرض فكرته على صديقه . وبعد تردد لم يدم الا قليلا وافق الرجل على البقاء وتزوج من بودنتيللا .

وكان الزواج موفقا وسعيدا ، لكن حياة ابوليوس في أويا بدأت تتسم من جراء المؤامرات التي شنها عليه اقارب بودنتيللا حسدا . فبدأوا بحملة قزف تمخضت عن اتهام رسمي ضد ابوليوس بانه سحر بودنتيللا لكي تتزوجه . وقدم الرجل للمحاكمة في صبراته امام صديقه نائب القنصل كلوديوس ماكسيموس

اما الا بولوجيا وهي عبارة عن محاضرة القاها ابوليوس دفاعا عن نفسه فكانت مزيجا شيقا من السخرية والبلاغة ومعلومات علمية سطحية لا محالة انها بهرت هؤلاء المستمعين البسطاء وقادت دون شك الى الحكم ببراءته . وبعد فترة وجيزة ترك ابوليوس أويا بصفة نهائية واستقر مع بودنتيللا في قرطجنة .

وابوليوس هو الكاتب الوحيد المرموق الذى ورد ذكره في طرابلس . وما برحنا نبحث عن اى علامة تشير الى التطلع الادبي الذى كان اهل افريقيا الرومانية يتسمون به بصفة عامة والذى انجب كتاب مثل ابوليوس نفسه وترتيوليان Tertullian واوغستين Augustine وبالرغم من الطابع الروماني المنتشر في المظاهر الخارجية للحياة فان عالم الادب كان يسوده التحفظ . فكانت اللغة الفينيقية تستعمل مع اللغة اللاتينية في الكتابات الرسمية حتى آخر القرن الاول ب. م. ، وبقيت اللغة المتداولة في المعاملات العامة خلال التاريخ القديم . ويقال ان سبتميوس سفيروس كان ينطق اللاتينية بلكنة فينيقية واضحة طيلة حياته ، وعندما جاءت شقيقته لزيارته في روما احرجته بسبب جهلها اللغة اللاتينية حتى انه غمرها بالهدايا واكرمها واعادها الى لبدة باسرع ما يكون . وربما كانت الاغريقية اكثر انتشارا من اللاتينية في الاواسط المثقفة ، فكانت بودنتيللا مثلا تتحدث مع اولادها وتراسلهم باليونانية وكان سبتيميوس سفيروس نفسه ملما بها الماما تاما . وغالبا ان مبادىء الادب اليوناني كانت تدرس في المدارس المحلية الطرابلسية لكن الطالب كان يستكمل دراسته عادة في قرطجنة او روما او اثينا .

كذلك تمسك الاهالي بالعادات الدينية ، فبقيت الآلهة الفينيقية تحت اسماء رومانية فأصبحت تانيت Tanit جونو سيليستيس ملكة السماء ، وتحول ساترابيس Satrapis الى ليبرباتر ديونيزوس Liber Pater وملكارت Melquart الى هرقل Hercules واشمون Eshmun الى ابوللو واسكولابيوس Aesculapius واسترته Astarte

الى مينرفا وفينوس. وكان ليبرباتر وهرقل الالهين الحاميين لمدينة لبدة، ومينرفـــا وابوللو لحماية اويا . ولم تكتشف بعد فى طرابلس اية عبادة للاله ساتورن زحل وهو أصلا بعل حامون ثم أصبح الاها رومانيا ذا شهرة كبيرة فى انحاء اخرى بشمال افريقيا، لكـــن التنقيب كشف عن معبد من العهد الرومانـــى - لعبادة جوبيتـــر آمون الذى كثيـــرا مـا يعتبر بعـــل حامون عن خطأ (ص ١٢) . وقـد تم الكشف عن المعبد حديثا فى رأس الحداجية بالقرب من الخضراء - تارهونة - .

ومع ذلك فالالهة الفينيقية لم تتســـم بالغيرة مثل غيرها من الآلهة الاخرين وكانت عبادة الثالوث الاغريقى المصرى للآلهـــة ايزيس وسيرابيس وهاربوكراتيس كمـــا رأينا (ص١٨) قد استقرت فى طرابلس قبل قيام العصر الرومانى . ومعابد سيرابيس وايزيس من اقدم المبانى الموجودة فى صبراته الرومانية . كذلك توجد آلهة شرقية اخرى فى طرابلس الرومانية مثل جوبيتـــــــر دوليكينوس السورى ، وله معبد كبير يشرف على ميناء لبدة ، والالهة سيبيل الام الكبرى وحبيبها آتيس من فريجيا ، وميتـــرا الآله الشمس الفارسى ، واخيرا جاء مولـــــــد المسيحية ، حيث يرد ذكر اسقف مسيحى فى لبدة فى اواخر القرن الثانى ، كما ان اويا وصبراته كانت بهما اسقفيات ايام ان عقد مجمع قرطجنة عام ٢٥٦ ب. م.

اما العبادة الوحيدة التى اهتم الرومـان بنشرها فى الولايات فكانت عبادة رومـــا واغسطس . ونجد فى لبدة معبدا لتلـــك العبادة بالفوروم فيما بين عـام ١٤ و ١٩ ب. م. كذلك نجد فى صبراته مذبحـــا لتلك العبادة الامبراطورية ، مقاما فـــى البازيليـــكا (ص ٣٧) والعبـــادة الامبراطورية كانت تهدف اساسا الى اغراض سياسية اكثر منها دينيـــة لان تقديـــس الامبراطور كان الاساس لولاء الولايات اكثر من عبادة الاهالى له . والكاهن الاكبر لعبادة روما واوغسطس كان ينتخب كل عام عـن طريق مجمع يضم الولايات ، يصبح رئيسا له بعد الانتخاب .

الزراعة والتجارة

كان اقتصاد طرابلس فى العصر الرومانى يتركز اساسا على تصدير زيت الزيتون ومع ان الزيت الذى يصدر من افريقيا يعتبر كثيفا غير ملائما للطهى الا انه كان يلقى رواجا مطردا لاستعماله فى الحمامات والاضاءة • والضريبة السنوية التى فرضها قيصر على لبدة وهى ثلاثة ملايين رطلا من الزيت ، تعطينا فكرة عن مدى اتساع زراعة الزيتون فى ما قبل العصر الرومانى فى تلك البلاد • وانتشرت هذه الزراعة على نطاق واسع بدافع من الرأسمالية الرومانية حتى ان فى مستهل القرن الثانى اصبح الجبل الشرقى من ترهونة الى المجر ، ومن المنحدرات الى وادى تريجلات، تغطيه مزارع كثيفة منه ولا شك ان شرق الجفارة ، خاصة بالقرب من أويا وصبراته كانت تكسوها مزارع شاسعة • وكانت مزارع الزيتون توجد ايضا فى منطقة الزنتان ، ومنخفضات مصراته وفى خليج سدرة • وكانت المزارع الكبرى التى فى الجبل ملكا للاثرياء من سكان لبدة وتخضع لنظام المحصول الواحد• وغالبا ان اصحاب تلك المزارع كانوا لا يقيمون بها بل يتركونها فى رعاية وكلاء يشرفون على عمال محليين مأجورين ، او مستأجرين (كولونى) coloni يدفعون الايجار على صورة ضرائب ، وكانت الايدى العاملة متوفرة ورخيصة لان زحف مزارع الزيتون على مراعى القبائل جعلت رجال تلك القبائل دون حيلة بعد انتزاع اراضيهم الامر الذى اضطرهم الى العمل بالمزارع مرغمين فى سبيل العيش • وقام بعض الاباطرة ، وخاصة هادريان بتقديم مساعدات لاقناع رجال القبائل على زراعة الاراضى التى اهملها اصحابها او لاستصلاح الاراضى البور لحسابهم • وكان الذين يقبلون هذا العرض يمنحون ضمانا خاصا بالملكية ، ويعفون من دفع الضرائب على اشجار الزيتون والكروم حتى يتم نموها ، كما ان اشجار التين وغيرها من المحاصيل الرئيسية كانت تعفى من الضرائب بصفة دائمة • ولعل بعض مزارع الزيتون الصغيرة الطرابلسية اقامها رجال القبائل الليبيين الذين استجابوا لهذه الامتيازات التشجيعية

اما المنطقه الساحلية فكانت المزارع المقامة بها تنتج محاصيل من انواع مختلفة حتى تسد الاحتياجات الذاتية ، او لتزويد الاسواق المحلية بما تحتاج اليه ويذكر أبوليبيوس مزرعة بالقرب من أويا تزخر بكميات وافرة من القمح ، والشعير ،

والنبيذ ، والزيت ، الى غير ذلك من المنتوجات الزراعية بالاضافة الى قطيع كبير من الابقار ، وقد تم الكشف عن ثلاث صور بالفسيفساء فى فيللا رومانية فى دار بوك عميرة تمثل مزرعة بها محاصيل مختلفة من هذا القبيل والصور الثلاث موجودة حاليا فى طرابلس وتمثل احدى الصور ربة الدار جالسة فى ظلال شجرة زيتون تراقب الثيران والجياد وهى تدرس الذرة .وتمثل صورة اخرى عملية حلب الماعز خارج الحظيرة ، وتمثل الصورة الثالثة نساء مسنات يحرثن جوض الكروم وكثير من الضياع الساحلية كان يوجد بها فيلات فخمة يقضى اصحابها فترات الراحة بها ، ونظرا لان تلك الضياع كانت تحت رقابة دائمة كان من السهل تشغيل المزارع بالعبيد ويذكر ابوليبوس ان احدى تلك المزارع الطرابلسية كان يعمل بها اربع مائة عبد .

وكان استعمال السدود بالوديان على نطاق واسع من المعالم البارزة فى الزراعة الطرابلسية ابان العصر الرومانى . فالزراع الطرابلسيون فى التاريخ القديم كما رأينا (ص ٣) كانوا يعانون من نفس التقلبات الجوية التى تصادف الزراع فى ايامنا هذه . فمن غير المعقول ان الامطار كانت اكثر غزارة فى تلك الازمنة البعيدة ولا بد انها كانت مقصورة على بضعة ايام كما هو الحال الان وانها كانت تحول الوديان الى مجار مائية صاخبة . وكان الغرض من اقامة السدود يرجع من جهة الى منع انهيار التربة والحد من قوة التيار وحجز الطمى ، ومن جهة أخرى لمقاومة ضياع المياه بغزاره وذلك بحجزها مدة من الزمن تكفى ليمتصها قاع الوادى ، او بتحويلها الى قنوات او ابار تخزن بها . فى ذات الوقت كان تراكم الطمى فى السدود التى بالوديان شديدة الانحدار يكون مدرجات من التربة تصلح لزراعة الفاكهة والخضر .وما زال نظام تخطيط السدود فى التاريخ القديم محل دراسة حتى الان . ومع ذلك يتضح لنا من تعدد بقايا تلك السدود ومن حجمها انها لعبت دورها فى تنمية الزراعة فى طرابلس حتى وصلت الى مستوى لم يسبق لها ولم تعد اليه بعد .

وبينما كانت الزراعة تعتبر المورد الاول فى الاقتصاد الطرابلسى ، كانت تجارة القوافل عابرة الصحراء تنمو باطراد ، يشجعها على ذلك أمن المواصلات والاسواق العالمية التى انبثقت تحت حكم الرومان . وكانت صبراتة مثل غيرها من المدن التجارية الهامة فى الامبراطورية الرومانية ، لها مكتب فى مركز الاتحادات فى اوستيا التى تعتبر ميناء روما وكانت ارضية هذا المكتب مكسوة وتحمل صورة فيل وغالبا انه كان رمزا لتجارة العاج وغيره من الاشياء الثمينة مثل تمثال الفيل المصنوع من الحجر الذى كان قائما بالقرب من الطريق الرئيسى فى لبدة وهو موجود حاليا فى المتحف . لكن وجود الفيلة يذكرنا فى نفس الوقت بنوع جديد من التجارة نشأ من قسوة قلوب

الرومان واعنى بذلك استيراد الحيوانات المفترسة للالعاب فى روما ، واغلب تلك الحيوانات كان يستورد من افريقيا .. وعندما نتذكر ان ما يربو على ٥٠٠٠ حيوان كانت تقتل احيانا فى يوم واحد فى الكولوسيوم فى روما يتبادر لاذهاننا اهمية تلك التجارة التى كان جزء كبير من صفقاتها يتم على ايدى الطرابلسيين .

لقد كشف تنقيب قام به الايطاليون عن مرور سلع تجارية بالقرب من جرمة، عاصمة الجرامنتيين القديمة فى فزان . وكثير من المقابر التى فتحها الايطاليون كان بها مصابيح رومانية واوانى من الفخار والزجاج يرجع تاريخها من اواخر القرن الاول الى القرن الرابع . وغالبا ان الاستيراد بدأ مباشرة بعد ان سيطر فالريوس فستوس Valerius Festus على فزان (ص ٣٦) . والمقبرة الرومانية الوحيدة التى عثر عليها فى جرما (ص٣٦) وترجع الى اواخر القرن الاول ، كانت فى الغالب للوكيل التجارى المقيم الذى جاء من الساحل ليفتتح العمليات التجارية فى ذاك الوقت .

ويبدو ان الصناعات الطرابلسية لم تنم الا قليلا – وقد اكتشفت افران للفخار فى عدة اماكن،منها واحد بمنطقة توليدالكهرباء فى طرابلس واخر فى الكيلو ١٠٢ بطريق طرابلس – الخمس ، وثالث فى عين الشرشارة ، ورابع قرب مركز قرية تازولى ويتضح من كسارة الفخار التى اكتشفت ان الاهالى كانوا يصنعون اوان من الفخار خشنة الصنع للاحتياجات المحلية ، ولا يوجد أثر لتلك الصناعة قبل القرن الرابع . والصناعة المحلية الوحيدة التى ذاع صيتها هى الجاروم وهى عبارة عن السمك المملح الذى تشتهر به مدينة لبدة .

الانهيـــار

بعد اغتيال الاسكندر سفيروس فــي عام ٢٣٥ انتهى حكم اسرة الاباطـــرة الافريقيين وغرق العالم الروماني في فترة من الفوضى بين العسكريين كادت أن تؤدى به الى الهلاك . خمسون عاما مرت بهـــا البلاد في مشاحنات داخلية تكاد لاتتوقف حكم أثناءها أكثــر من عشرين امبراطورا ، انتهى أمرهم بطرق عنيفة ، وشجعت هـذه الفوضى أعداء الامبراطورية فبدأوا يقتحمون الحدود بالسلاح . وراح ضحية تلـــك الاضطرابات ، بصفة خاصة ، ملاك الاراضى والطبقة (المتوسطة) البورجوازية التي تعمل بالتجارة في مدن الولايات . وادى التضخم المالى الناجم من تكاليف الحروب الى هبوط قيمة النقد ، وبالتالى توقفت الاعـــمال التجارية ، او كادت . في ذات الوقـــت ارتفعت الضرائب بشكل مخيف لســـد طلبات الاباطرة والجيش . ونظرا لانالنقد المالى اصبح لا قيمة له كان تحصيــــل الضرائب يتم بجمع السلع وكثيرا ماكانت تلك العملية مقرونة بطلبــات مثيرة مثــل وضع اليد على الممتلكات دون تقديـــــر للظروف القائمة .. وكان تحصيــــــل الضرائب يتم تحت اشراف الديكوريـــون (الموكل بالشئون البلدية) وعليهم تقــع مسئولية رعاية المدينة وأراضيها . وهكذا بعد ان كانت وظيفة الديكوريون شرفـــا ودافعا للخدمة الوطنية اصبح حمل يثقـل كاهلهم ..

ولم تنج المدن الطرابلسية من هــذا الضنك العام ويدل تعيينالمندوبالجمهورى (بروكوراتور)، عام ٢٣٨ في لبدة وطرابلس على أن البلاد كانت تعــاني من الضيق المالى وهذا المندوب كان موظفا رسميا ترسلـــه الامبراطورية للاشراف على ادارة البلديـــة في مدن الولايات التي تواجه صعوبة فــي تسديد الضرائب . وكان موقف لبدةاخطر من موقف صبراته اذ ان الامتيازات التـــي منيت بها تحت حكم أباطرة أسرة سفيروس شجعتها بحيث تندفع في حياة عــــــلى مستوى من البذخ لا يتمشى مع حالتهـــــا الاقتصاديه وبعد عام ٢٣٥ كان عليهـا ان تواجه الحقيقـــة المرة . ويبـــدو أن تلك الحظوة الامبراطورية تجاه لبدة تجـــددت لفترة وجيزة ابـــان حـــكم جاليينوس Gallienus (٢٥٣-٢٦٨) اذ نــرى الاهالى ، وقــد أضــافوا اسم سـالونينا Salonina زوجة الامبراطور الــى اسمهم فاصبحوا يسمون لبدانـــــــى سبتميانى Lepcitanis Septimiani ســالونينى Salonini ومع ذلك نــرى

ان اواخر القرن الثالث كان بالنسبة الى لبدة فترة تخلف أهمل خلالها كثير من المرافق العامة وبدأت المدينة تنهار • أما في صبراته فكانت علامات الانهيار أخف وطأة فالمدينة لم تغرها الظروف حتى تتخطى امكانياتها المادية ، فاستطاعت أن تواجه الزوبعة • أما عن مدينة أويا فلم يرد خبر تعيين بروكوراتور عليها قبيل نهاية القرن •

وتوقف الانحلال الذى اصاب العالم الرومانى لفترة قصيرة نتيجة للاصلاحات التى قام بها الامبراطور ديوكلشيان (٢٣٤ـ٣٠٥) وقسطانتين (٣٠٦ـ٣٣٧) فقام ديوكلشيان بتجربة ضم ثلاثة زملاء له لحكم الامبراطورية وهو ما يسمى بنظام الحكم الثلاثى (تترارکی tetrarchy وبمقتضاه احتفظ ديوكلشيان بمصر والولايات الشرقية ، وكان البلقان وولايات الدانوب من نصيب جاليريوس Galerius وكانت الولايات الغربية الى كونستانيوس Constanius وايطاليا وافريقيا الى ماكيسميان Maximian وحتى يتوصل ديوكلشيان الى كسر شوكة حكام الولايات قام بعملية تفتيت فقسمها الى فروع بحيث يزيد عددها وتقل اهميتها • وعند اعادة تنظيم الولايات جمعها الى مقاطعات dioceses يرأس كل واحدة وكيل Vicarius ثم قسم جميع المقاطعات الى اربع محافظات prefecturae يرأس كل منها محافظ او مشرف عام praefectus praetorio

ويرجع الفضل الى اعادة التنظيم تلك فى رفع طرابلس الى مستوى ولاية حتى وان كان ذكرها بهذا اللقب الجديد لم يرد الا إبان حكم ماكسنتيوس Maxentius (٣٠٦ ـ ٣١١) • ويذكر أوروزيوس Orosius فى القرن الرابع ان حدود الولاية كانت مذبح الاخوين آراى فيلينوروم شرقا و (لاكوس ساليناروم Lacus (Salinorum) شط الجريد غربا ، ولجرامانتيون اى فزان ـ جنوبا • ويتضح من ذلك ان الولاية الجديدة كانت تشتمل لبيبى فقط على المنطقة الساحلية ، بل وعلى منطقة الحدود التى تقع بجنوبها وكان حاكم نوميديا مسئولا عنها حتى ذاك التاريخ ، وكانت لبدة عاصمة لتلك الولاية • أما (حاكم) قومس طرابلس praeses et comes فقد أسندت اليه فى أول الامر ادارة المدينة العسكرية تحت اشراف حاكم افريقيا ، وفيما بعد اصبحت مسئولية الدفاع على عاتق قائد افريقيا الاعلى Comes Afriicae

وبعد ان تنازل ديوكلشيان عن الحكم عام ٣٠٥ ، تجددت المشاحنات على السلطة ولم تنته الا عندما انفرد قسطانتين بن قنسطانيوس بالحكم • وابان ادارته للامبراطورية اتبع ونمى الاصلاحات التى بدأها ديوكلشيان حتى أصبح من العسير تحديد الاعمال التى قام بها هذا من ذاك الا ان قسطانتين حاول ان يضع اساسا جذريا جديدا لسلطة الامبراطورية المسيحية فحتى ذاك الوقت كان المسيحيون يعتبرون

أعداءا للدولة لان دينهم يحرم عليهم الربط بين ولاءهم للامبراطور وعبادتهم له • وكانت السلطات الرومانية على احسن الفروض تغمض عينيها عن تلك النقطة ، وعلى اسوأ الفروض كانت تحاول ان تكسر شوكة المسيحيين عن طريق الاضطهاد الذى اتخذ ابشع واقسى صورة ابان حكم ديوكلشيان • وادرك قسطانتين ان الاضطهاد كان ياتى برد فعل عكسى مما أدى الى ازدياد عدد الذين يعتنقون المسيحية واصرار الكنيسة على مبادئها • وأيا كانت عقيدته ، فقد دفعه وعيه السياسى الى ادماج المسيحية فى خدمة الدولة بدلا من ان يدخل معها فى معركة خاسرة وبمقتضى مرسوم ميلانو عام ٣١٣ منح المسيحيون حرية العبادة المطلقة وضمانا رسميا بمساندة الحكومة لهم •

ومع ذلك فقد خابت آمال قنسطانتين بسبب مشاحنات المسيحيين فيما بينهم ففى اوروبا انشقت الكنيسة بسبب بدعة المذهب الاريوسى ، وفى أفريقيا اختلف المسيحيون على طريقة معاملة الذين ارتدوا عن المسيحية اثناء الاضطهاد وقدموا القرابين الى الالهة الوثنية ، او سلموا الكتب المقدسة لتحرق • وكان فى راى المعتدلين الذين يساندهم قسطانتين والكنيسة الكاثوليكية فى روما ان الذين يطلبون الغفران من هؤلاء المرتدين يقبلون ثانيا فى البيئة المسيحية • ورفض المتطرفون هذا الرأى رفضا قاطعا وكان هؤلاء يطلقون على انفسهم اسم دوناتيون نسبة الى دوناتوس Donatus اشهر رائد لهم • واصر الدوناتيون على عدم قبول المرتدين الى حظيرة المسيحية الا بعد أن يعاد تعميدهم ، واعتبار اى اوامر يعطيها القساوسة الذين سبق لهم ان ارتدوا لاغية وغير ذات موضوع • وهكذا نشأ فى قلب المسيحية كنيستان معاديتان جنبا الى جنب فى شمال افريقيا لكل منهما كنائسها واساقفتها ، ونظم الاكليروس الخاصة بها • وفى ضوء المعلومات التى لدينا ، من العسير أن نقدر مدى الاثر الذى تركته الكاثوليكية والدوناتية فى طرابلس • فالمبنى الوحيد الذى ينسب الى الدوناتيين يرجع الى القرن الرابع وهو مزرعة محصنة فى مصوفين (هنشير تغليسى) به نقش يقول «المجد لله» لكن كنائس ماقبل العصر البيزانطى التى على الساحل وفى الدواخل لم تكن جميعها كنائس كاثوليكية ، فالمعتقد ان الدوناتية كانت اطول باعا فى دواخل البلاد على غرار ما كان عليه الحال فى الجهات الاخرى بشمال أفريقيا ، لكن المصادر التاريخية تشير انها كانت منتشرة فى المدن التى بالساحل أيضا • وعندما عقد أوغسطس عام ٤١١ مجمع قرطجنة الكنسى الذى حكم بتحريم الدوناتية على انها الحاد ارسلت كل من لبدة واويا اساقفة من الدوناتيين بينما صبراته فقط هى التى ارسلت اسقفا كاثوليكيا •

ومع ان هذا الخلاف كان في اساسه خلافا دينيا ، فلا شك ان الدوناتية كانت تمثل معارضة الافريقيين للحكم الروماني الذى تطبعت به الكنيسة الكاثوليكية . ونشأت المعارضة نتيجة لعدم الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى بقدر ما نشأت لاسباب وطنية فالاصلاحات التى قام بها ديوكليشيان وقسطانتين لم تسفر عن اى تحسين مالى فى العالم الرومانى ، لعل تحصيل الضرائب كان أقل تعسفا عما كان عليه الحال فى القرن الثالث لكن الازدياد الهائل فى عدد الجنود والموظفين بالامبراطورية اضاف على كاهل دافع الضريبة مالا طاقة له به . كذلك وجدت الطبقات المتوسطة نفسها مقحمة فى اغلال للنظام التوتاليتارى . حقيقة ان الديكوريون ما زالوا مسئولين شخصيا عن تحصيل الضرائب بمدينتهم واراضيها الا ان ديوكليشيان حولهم قسرا الى طبقة وراثية حتى يمنعهم وسلالتهم عن التهرب من ذلك الواجب . وفى ذات الوقت نظرا لان تحصيل الضرائب ، اخر الامر كان مرتبطا بالمواظبة على زراعة الاراضى فقد قيد الزراع الاحرار (كولونى) بالعمل فى الحقول وهكذا أصبحوا شبه عبيد ، ودفعهم اليأس من تلك الحالة الى تكوين طائفة من الدوناتيين المتطرفين الذين عرفوا باسم السير كومسيليون Circumncilliones وهم جماعة من الزراع الخارجين على القانون كانوا يجوبون المنطقة ويعملون على سلب ونهب الزراع الكاثوليك وأثرياء الوثنيين .

وامتد الانهيار الاقتصادى فى طرابلس بسرعة مضطردة فى النصف الاخير من القرن الرابع بسبب تجدد عدم استقرار القبائل ، وبدأت معالم القلق تظهر فى اوائل القرن الثالث والرابع كما يتضح من الحملة الفاشلة التى قام بها الامبراطور ماكيسميان ضد قبائل سرت فى الهيلاجواس Hilaguas (أوالا لاسجواس) Ilasguas وذلك بعد أن انتصر على كنكجنتيانى الموريتانى Quinquegentiani عام ٢٩٨ . ولا يرد ذكر أية قلاقل قبلية فى طرابلس حتى عام ٣٦٣ وهو تاريخ اول غزو للاستوريين . ومع ان اصل هؤلاء غير معلوم على وجه التحديد ، يقال انهم جاءوا من واحات الصحراء الشرقية، لكن الاغلب انهم كانوا من قبيلة سرت مثل الهيلاجوا . كان اول هجوم لهم للثأر بسبب مقتل احد الاستوريين المشاغبين بأيدى السلطات الطرابلسية ، فهجم الغزاة على الاراضى الخصبة التى تحيط بلبدة واحرقوا كل ما تعذر عليهم ان يحملوه ، وقتلوا الاهالى المقيمين خارج الاسوار التى أنقذت المدينة والتى لم يجرؤ الغزاة على مهاجمتها . وبعد ثلاثة ايام انسحبوا ومعهم كثير من الاسلاب ..

وكانت الولاية ، على ما يبدو ، لم تنظم عملية الدفاع ضد الغزاة ويشير عدم كفاية التحصينات على الحدود الى ان الليمتانى اصحاب المزارع المحصنة كانوا متحالفين مع العدو . فى ذات الوقت كان حاكم الولاية قد اصبح موظفا مدنيا بحتا دون قوات تحت قيادته. وخوفا من عودة الغزاة أرسلت لبدة الى الكونت رومانوس

قائد الحامية الاعلـــى الافريقى، فى طلب الحماية بسرعة وجـــاء Romanos
رومانوس ومعه حملة تجريدية لكنه رفض ان يسير ضد الاستوريين ما لم يعطـــه الاهالى كميات وفيرة من المؤن وأربعة آلاف جمل ، وفزع الاهالى واعتذروا لاستحالة تلبية طلبه بعد الخســائر التى أصـــابتهم حديثا ، فما كان من رومانوس الا ان حل معسكره وترك المدينة لمصيرها • وتوجـه الاهالى بعد خيبة املهم الى الامبراطـــور نفسه ، وارسلت المدينة الى اجتمـــاع الولايا ت السنوى الذى عقد بعد تلـــك الاحـــداث مبعوثين من طرفهـا : سفيروس وفلاتشيانوس ليعرضوا قضية طرابلـــس أمام الامبراطور فالينتينيان الاول (٣٦٤-٣٧٥) فى ترير Trier وتدخل اصدقاء رومانوس الذين كانوا فى البـلاط فبقى المبعوثان ينتظران دون جدوى فـــى المانيا • وكانت النتيجة الوحيدة التـــى خرجوا بها هى نقل القيادة الحربية بصفة مؤقتة الى روريتشيوس Ruricius حاكم الولاية ـ وحتى هذا القرار تم الغاؤه قبل ان ينفذ •

وبينما كان الطرابلسيون ينتظرون قرار الامبراطور بفارغ الصبر عاد الاستـــوريون وعاثوا فى البلاد حتى دمروا أراضى اويا ولبدة ، ولعلهم نهبوا صبراته أيضا • ومع ان اميانوس مارتشللينوس Amianus Marcellinus وهو المؤرخ الوحيـــد الذى يمكننا الرجوع اليه ، لم يذكر المدينة بهذه المناسبة ، الا أن القرائن الاثرية تدل على أن كثيرا من مبانيها العـــامة تحطمت قرابة ذلك العهد • وعندما حمل مبعـــوث خاص من طرابلس أنباء الغـــزو الثـــانى الى الامبراطور فى ترير نهض هـــذا اخيـــرا للعمـــل ، وكان بالاديوس Paladius مندوب الامبراطور على وشـــك السفر الى أفريقيـا ومعه رواتب الجيش التى تأخــر دفعها ، فكلفه الامبراطور بأن يعد له تقريرا عن الحالة فى طرابلس • وقبل أن يصل بالاديوس الى أفريقيا ، قام الغزاة بهجـــوم ثالث أشـــد قسوة من ســابقيه ، فقتلوا السكان ونهبوا الولاية ، وكانت لبـــدة هدفهم الرئيسى فاكتسحوا الارض وأبادوا الاحياء وأتوا على الاخضر واليابس ، حتى انهم قطعوا الاشجار والكروم ، بل وتمادوا الى وضع الحصار حول المدينة ، ولو انهـــم رفعوه يائسين بعد ثمانية أيام لم تســـفر عن نتيجة •

وقام الاهالى بمحاولة أخيرة يائســـة مع الامبراطـــور • فأوفد روريكوس رجلين من قبله الى الامبراطور هما جوفينيـــوس Jovinius وبانكراسيوس Pancratius وتقابل الوفـــدان فى قرطجنـــة ، وعلم الوفد الثانى من الوفد الاول أن الامبراطور حول قضية طرابلس الى كل من وكيـــل افريقيا والكونت رومانوس • ولم تحد تلك الانباء من عزيمة المبعوثين عـــلى مواصــــلة الرحلة • فى تلك الاثناء كان بالاديوس قد وصل قرطجنة وقام بدورة تفتيشـــية عـــلى المراكز العسكرية وكان رومانوس قد أعطى للقادة أوامر برد الجزء الاكبر من المبـــالغ التى أتى بها بالاديوس لتدفع للجنـــــود

باعتبار أنها هدية منهم • ووقع بالاديوس فى الفخ • فبعد ان رأى حالة الدمار التى آلت اليها طرابلس ، لاشك أنه كان مزمعا على تحرير تقرير سليم عن الحالة ، الا أن رومانوس هدده بافشاء أمر قبوله الهدية المالية اذا فعل • واضطر الرجل أن يعدل عن رأيه ورفع للامبراطور تقريرا يدين الاهالى المظلومين ويحملهم مسئولية ما حدث •

ان الطريقة التى اتبعها رومانوس وبالاديوس تعتبر نموذجا للانحلال الصارخ الذى كان سائدا بين الموظفين فى أواخر عهد الامبراطورية • وللقصة بقية تدل على أن الفساد لم يكن مقصورا على رجال البلاط الامبراطورى ، فبناء على تعليمات الامبراطور عاد بالاديوس الى أفريقيا بصحبة جوفينوس (وكان بانكراسيوس قد توفى فى المانيا) وتوجها الى حاكم افريقيا فى لبدة حيث كان عليهما أن يتحققان من ادعاءات الوفد الثانى • وجاء الدور على أعيان المدينة ليقعوا فريسة لما يقوم به رومانوس من اغراء ورشوة وتشهير بالسمعة • فلم يكتف هؤلاء بعدم الاعتراف بالوفد الثانى ، بل ضغطوا على جوفينيوس الى أن تحصلوا منه على اعتراف بأنه كذب على الامبراطور • وامر فالنتينيان باعدام جوفينيوس وروزيكوس حاكم الولاية الذى كان صريحا (أكثر مما ينبغى) •

واسفرت غزوات الاستوريين عن القضاء على لبدة • فمزارع الزيتون التى تعتبر عمادا لاقتصاد المدينة دمرت ، ولم يكتب للمدينة أن تتمتع بعد ذلك بحالة الامن وحرية التجارة اللتين لا يمكن أن تعود بدونهما الى الرخاء • وخلال الستين عاما الاولى من القرن الرابع استردت المدينة شيئا من الحياة بعد الانهيار الذى أصابها فى القرن الثالث • وتشير النقوش الى اعادة بناء وترميم المبانى العامة تحت حكم الامبراطور قسطانتين ، وحكام الولاية فلافيوس فيكتور كالبورنيوس (٣٤٠-٣٥٠) وفلافيوس اركونتيوس نيلوس Flavius Archonius Nilus ٣٥٥-٣٦٠ ونبوتيانوس Nepotianus والاسوار التى انقذت المدينة من الاستوريين أقيمت غالبا فى تلك الفترة • ولكن الاضمحلال انتشر بعد تلك الغزوات بسرعة أكثر عن الاول بسبب زحف التلال الرملية المحيطة بالمدينة وفيضانات وادى لبدة التى غمرت المدينة بعد انهيار السد الذى كان يشرف عليها • وعندما احتل الواندال مدينة لبدة

كانت أشبه بقوقعة خاوية ، أما صبراتة فكانت أكثر حيوية ، وقام سكانها بترميم مجلس المدينة وان لم يمكن اعادته الى ماكان عليه أصلا ، فقد أصبح على الاقل ، يبدو على شىء من الوقار • ويرجع السبب فى صمود صبراتة الى أن اقتصادياتها كانت تعتمد على تجارة قوافل الصحراء أكثر منها على الزراعة ، فالتجارة بالكماليات فى العالم القديم لم تتوقف ، بل بقيت مزدهرة حتى

بعد أن انكمشت التجارة بالنسبة للسلع الاساسية حتى كادت تتلاشى تماما ٠

وكان أصحاب المصانع المحصنة (الليميتانى) هم الفئة الوحيدة من الطرابلسيين الذين يمكن القول أنهم أثروا ماليا فى القرن الرابع والخامس ، وترجع اقامة أغلب مزارعهم الى هذا التاريخ ، فكانوا يزرعون بطون الوديان بجنوب الجبل ، بمقادير من الذرة والبلح والزيتون تساعدهم على الاكتفاء الذاتى اقتصاديا ، بل وأن يعيشوا على درجة من البذخ شبه بربرى يتضح من الضروح الجنائزية التى أقاموها ٠ فبعد انهيار سلطة الرومان كان عليهم أن يعتمدوا على انفسهم فتحولوا الى مجتمع مستقل كان فى بعض الاحيان يثير الشك بأنهم متحدين مع أعداء روما ٠ وتثبت الكنائس التى فى قصر السوق الا وطى وفى خفاجى عامر أن كثيرا من الليتيانى اعتنقوا المسيحية حوالى القرن الخامس ٠

الوندال والبيزانطيون

في عام ٤٢٩ قام خلاف بين الكونت بونيفاس حاكم أفريقيا وبين الامبراطورة بلاسيديا بسبب دسيسة من فعل ايشيوس منافس الحاكم فنبذ ولاءه ودعا جنسريك ملك الوندال لان يعبر اسبانيا ويأتي لمعاونته وكان هذا الاخير يترقب فرصة لينزل بأرض أفريقيا ، فحضر في الحال · وبعد أن تصالح بونيفاس وبلاسيديا بعد بضعة شهور فشلت كافة المحاولات لاقناع جنسريك بالعودة الى وطنه · وعندما حاول بونيفاس ان يطرده بالقوة باء بالفشل واضطر للهرب من البلاد عام ٤٣١ · وحاول الامبراطور فالنتينيان الثالث أن يعتبر الواندال من أتباعه ، لكن حكم الرومان في أفريقيا انتهى في الواقع بصفة قاطعة عندما احتل الواندال قرطجنة عام ٤٣٩ ·

وبقي هؤلاء يحكمون شمال أفريقيا خلال المائة عام التي أعقبت تلك الاحداث · والواندال — أصلا — من الشعوب الجرمانية ، نزحوا من بلادهم بالقرب من بحر آزوف ، وعبروا ألمانيا وفرنسا حتى استقروا في اسبانيا · وعندما دخلوا أفريقيا في عام ٤٢٩ لم يكن عددهم ليتعدى ٨٠٫٠٠٠ (ثمانون ألفا) بما في ذلك النساء والاطفال ، لذلك أصبحوا طبقة حاكمة عسكرية صغيرة سيطرت على شعب غريب عنها ، أما في شئونهم الخاصة فانهم بقوا متمسكين في أفريقيا بالنظام الشبه عسكري الذي كانوا يتبعونه أصلا ، لكنهم لم يحاولوا أن يغيروا نظم الادارة الرومانية على الافريقيين ، بل تركوهم يديرون شئونهم محليا كيفما تراءى لهم · وأثناء ترحالهم ، كان الواندال قد اعتنقوا المسيحية الاريوسية لذلك كانوا أعداء الداء للكاثوليكية · وتحت حكمهم نزعوا من الاكليروس الكاثوليك ممتلكاتهم الخاصة في أفريقيا ، ونفوا أساقفة الكنيسة خارج البلاد · كذلك كثيرا ما تعرض من بقي متمسكا بالكاثوليكية من الاهالي للاضطهاد · أما الدوناتيون فقد رحب بهم الوندال واعتبروهم حلفاء لهم ، حتى بالرغم من الاعتبارات الدينية التي تفرق بين الشعبين ، وأعادوا لهم جميع الحقوق التي كانوا فقدوها أثناء تحريمهم في عام ٤١١ ولاشك أن مكافأتهم كانت على حساب منافسيهم المخذولين ·

ولم يهتم الواندال بالناحية الاقتصادية أو الاستراتيجية في طرابلس التي لم

يحتلوها الا حوالى عام ٤٥٥ ولم يستقروا بها أبدا • ومما يستلفت النظر أن الدليل الاثرى الوحيد لاحتلال الواندال لمدينة لبدة هو مجموعة من قطع نقود اكتشفت في السوق • وباستثناء اقامة حامية صغيرة ، لا يبدو أنهم قاموا بمجهود لتنظيم تحصينات البلاد • كذلك أمر جنسريك بهدم أسوار لبدة وصبراتة ، وفي الغالب أويا أيضا ، ولم يبق على أية استحكامات تتيح فرصة في صالح العدو • وظهرت نتيجة تلك لسياسة الحمقاء عندما قام ليو الاول امبراطور الامبراطورية الشرقية الرومانية في عام ٤٦٨ بحملة على جنسريك بسبب عمليات الغزو الذى بدأ قرصانه يقومون بها على شرق البحر المتوسط ، ومع أن الاسطول الرومانى الذى هاجم قرطجنة أبيد ، فقد جاءت قوة صغيرة الى طرابلس بقيادة هراقليوس استولت بسهولة على المدن غير المحصنة وطردت حامية الواندال • وبعد أن احتلت طرابلس لمدة ثلاثة اعوام دون أن تصادف مقاومة ، انسحبت تلك القوات بمحض ارادتها •

وتوفي جنسريك عام ٤٧٧ ومع أن القبائل لم تثر أية مشاغبات ابان حكمه ، الا أن وفاته كانت بداية للمتاعب معها • وكانت القبائل تستعمل الابل على نطاق واسع مما ساعدهم على سرعة الحركة والانقضاض على الاعداء • وأثناء حكم الملك ترانساموند Transamund (٤٩٦ – ٥٢٢) قامت ثورة عنيفة في طرابلس بقيادة زعيم من المواطنين يدعى كاباون Cabaon وقامت حملة تجريدية من قرطجنة لقمع الثورة • وقد دون المؤرخ البيزانطى بروكوبيوس Procopius وصفا ضافيا لتلك الحملة وجاء فيما روى أنه عندما نبا لعلم كاباون أن الواندال كانوا في طريقهم اليه أمر رجاله باتباع أقسى شروط التقشف وضبط النفس وعزل الرجال عن النساء • في ذات الوقت أرسل مندوبين الى قرطجنة وأمرهم بأن يسيروا في مؤخرة قوات الواندال ، وأن يعوضوا الكنائس عن أية خسائر أصابتهم على أيدى الواندال ، وفسر تصرفه هذا بقوله : انه يجهل كل شيء عن الاله الذى يعبده المسيحيون ، ولكن اذا كان هذا الاله ذا سلطان بقدر ما يدعون ، فلاشك انه سوف ينتقم من الذين أهانوه ويدافع عن الذين يجلوه • وعندما اقترب الواندال وضع كاباون ابله على شكل اثنى عشرة دائرة بداخل بعضها بحيث تكون رأس كل جمل وراء ذيل الجمل الاخر مباشرة وفي وسط الدائرة الداخلية وضع النساء والاطفال وجميع ممتلكات القبيلة وصفف الرجال بين الابل مسلحين بدروعهم ورماحهم القصيرة • وأسقط في يد الواندال امام تلك التكتلات ، لان خيولهم خشيت الاقتراب من الجمال ، كما أن الجنود كانوا لايحملون من السلاح الا سيوف قصيرة ورماح ، لذلك اضطروا أن يتقهقروا أمام رماح القبليين وقتل منهم كثيرون ، بينما كانوا يحاولون الهرب وباءوا بهزيمة نكراء • ومع أن بروكوبيوس لم يذكر اسم شعب كاباون الا أنهم – في الغالب – كانوا من قبيلة جاء ذكرها تحت اسم هيلاجواس (ص ٤٥) •

وفيما بين عام ٥٢٧ و ٥٣٣ انتصر اللواثى .. وهم اهل قبيلة سبق أن جاء ذكرها مرة أخرى على الواندال فى طرابلس ونهبوا مدينة لبدة حتى تركوها خاوية .

فى عام ٥٢٧ اعتلى جوستينيان عرش روما الشرقية وهى ما يعرف بالامبراطورية البيزانطية . فى ذاك الوقت كان النصف الغربى من الامبراطورية الرومانية فى أيدى البرابرة وبقى تحت سيطرتهم خمسين عاما . وكان جوستينيان يزاوله حلم جرىء باسترداد تلك الممتلكات ليرضى ميلا عاطفيا تجاه الماضى من جهة ، ومن جهة اخرى لينقذ الكاثوليكيين من اضطهاد الكفرة وأخيرا - وليس اخرا - ليغذى خزينته المتداعية . وكانت أول ولاية مهيأة لتحقيق أمله الطموح هى أفريقيا وكان هيلدريك Hilderic قد خلف ترانساموند Transamund فى الحكم فى عام ٥٢٢ وهو حاكم مهادن ، ارتبط جوستينيان معه بأواصر صداقة شخصية ، الا أن الملك الجديد فشل فى صد القبائل ، وبعد أن حكم لدة وجيزة خلعه ابن أخيه جيليمر Gelimer من على العرش . واعتبر جوستينيان هذا الاغتصاب فرصة لاعلان الحرب فجمع أسطولا كبيرا فى قسطنتينية بقيادة بليزاريوس . وقبل أن يتحرك الاسطول مباشرة وصلت أخبار من طرابلس تنبىء بأن أحد القادة المحليين يدعى برودنشيوس Prudentius ثار باسم الامبراطور وانه يلتمس ارسال النجدة بصفة عاجلة وقامت فى الحال قوة صغيرة وعلى رأسها قائد يدعى تاتيموث Tatimuth واستطاع برودنشيوس بمعاونته أن يسيطر على البلاد كلها . فى ذلك الوقت لم يكن فى طرابلس أى قوات من الواندال ولم يستدع جيليمر أى قوات منهم . ابان هذا كانت الحملة الاصلية قد وصلت ونزلت فى « كابوت فادا » Caput Vada بجنوب تونس ، واتجهت نحو قرطجنة ، وسقطت المدينة فى يد بليزاريوس فى موقعة آد - ديسيموم Ad Decimum فى شهر سبتمبر عام ٥٣٣ . وجمع جيلمير شمل جيشه لكنه هزم مرة أخرى هزيمة ساحقة بموقعة تريكاماروم (فى شهر ديسمبر) وأخيرا بعد محاولة غير مجدية للصعود فوق جبل بابوا Mount Papua استسلم للعدو وكان فى هذا نهاية لمملكة الواندال بشمال افريقيا عام ٥٣٤ .

ومع ذلك فالامر لم يقتصر على محاربة الواندال فحسب اذ كان على البيزانطيين ان يواجهوا فى شمال افريقيا اعداء اخرين فمع ان القبائل لم تتدخل مباشرة فى القتال الا انه قبل ان تضع الحرب أوزارها عادت قبيلة لواته للضغط على طرابلس حتى اضطروا بليزاريوس أن يمد تاتيموث وبودنشيوس بنجدات . وبعد ان استسلم جيليمر بوقت قصير وبينما كان بليزاريوس يعد العدة للرحيل الى القسطانتينية قامت حركة تمرد خطيرة فى جنوب تونس وبمنطقة الاوراس ومما زاد الامر سوءا ان الانحلال كان سائدا فى جزء كبير من الجيش البيزانطى وأمام

تلك الظروف العصيبة كان من حسن حظ جوستينيان ان يجد اثنين من اقدر القـادة لمعاونته وهما سولومون Solomon خليفة بليزاريوس القائد الاعلى السابـق للجيش ، وجرمانوس الذى حل محـل سولومون بصفة مؤقتة أثنـاء فترة التمرد العسكرى العصيبة · وفى عام ٥٣٩ استطاع هذان القائدان بما بذلاه من جهد فـي السيطرة على الخطر المحيق وبدا كـأن سلطة الامبراطور استتبت على الجيشـ والقبائل ·

ولم تدم فترة الصلح القلـقة الا خمس سنوات وكانت نهايتها بسبب حادث وقع في لبدة ، ذلك ان وظيفة دوكس Dux اى القائد العسكرى فـى طرابلس اسندت الى احد اخوة سولومون يدعى سرجيوس ، ولم يكن الرجل كفئا · وبعد ان وصـل سرجيوس الى لبدة بقليل ليتسلم مهـام منصبه ، تقدمت قوة من قبيلة لواته نحو المدينة معلنة الولاء الى القائد الجديد مقابل أن يعطيهم الهدايا التقليدية وشارة السلطة القبلية (وهى عبارة عن صولجـان مكسو بالفضة وقلنصوة من الفضة وعباءة بيضاء وحذاء ذهبى) · وبناء على نصيحـــة بودنشيوس بدأ سرجيوس فى تنفيـــذ التماس رجال القبيلة ودعى ثمانين مـــن رؤسائها الى حفل بداخل المدينة واعقبـه بمؤتمر · وأثناء المؤتمـر اتهم الليبيون البيزانطيين بسرقة غلالهم ، وعندما حاول سرجيوس ان ينسحب دون ان يجيب على شكواهم امسك احد شيوخ القبيلة به مـن كتفه ، فضربه جندى بيزانطى بسيفه ضربة قاضية واثناء الشغب الذى نجم عن هـــذا الفعل ، قتل باقى الشيوخ الثمانين عـدا واحد افلت من المجزرة · وما ان علم اهل القبيلة بتلك الكارثة حتى قاموا للهجـــوم على لبدة وقابلتهم الحامية البيزانطية خارج أسوار المدينة واستولت على معسكر العدو فى معركة بالايد · ولكن قبل ان ينقضـي اليوم قتـل بودنشيوس فى اشتباك جديد وانسحب سرجيوس الى لبدة ·

ومن الصعب ان نجزم فيما اذا كان قتل الشيوخ حادثا وليد الصدفة أو أنه كان مكيدة مدبرة ، لكنه ادى على أى حال الى اشتعال التمرد مرة ثانية من طرابلس الى الاوراس · وبعد فترة وجيزة من ذات العام (٥٤٤) سقط سولومون قتيلا فى موقعـــة تشيليوم Cillium (Casserine) وحل سرجيوس محله قائدا عاما · وبعد عام من الكوارث ازدادت أثناءه شوكة العصـاة قوة ، حل اريوبيندوس Areobindus وهو رجل مسن محل سرجيوس لكنه لـم يكن اكبر كفاءة عن سابقه ، وما برح ان سـقط ضـحية لمؤامرة دبرها جونتاريس Guntharis قائد نوميديا المتمرد وكان يأمل فى ان ينصب نفسه حاكمـا مستقلا على افريقيا وكان قيام رجـــل مغتصب للحكم ومستقر فى قرطجنة مـــن ناحية ، وسيطرة القبائل المتمردة على الجزء الاكبر من تونس من جهة اخرى كان يعنى ضياع افريقيا من يد جوستينيان · لكـــن ضابطا ارمنيا مخلصا اغتال جونتاريس بعد خمسة اسابيع ، وبعد ذلك بقليل وفـق

الامبراطور فى اختيار جون تروجـــليتا John Troglita حاكم طرابلس السابق وهو رجل ممتاز واسع الخـــبرة فى حرب الصحارى عينه قائدا عاما للجيش.

ووصل جون الى قرطجنة فى اواخر عام ٥٤٦ بينما كانت جيوش العصاة تتجمع على تلال بوسط تونس حيث انضمت الى قبائل نوميديا قوات من الايفوراس وقبائل لواتة والاستوريين من طربلس وتوقـــف جون فى قرطجنة فترة وجيزة ليجمع جيشا ثم بادر بالذهاب الى الجنوب حيث حـرر المدن الساحلية وهو فى طريقه • وفـــى أوائل العام التالى اشـتبك الجيش البيزانطى بجيش العـــدو الرئيسى بالقرب من سبيطلة Sbeitla وبعد محاولـــة فاشلة فى اقناع العدو على التفاهم، اشتبك جون معهم فى معركة انتصـــر فيهـــا البيزانطيون انتصـــارا باهرا • وتشتت شمل العصاة وعاد من بقى منهم على قيـد الحياة الى ديارهم • وكان جرنا Jerna أحد كبار شيوخ القبيلة وكاهنها ضمن من قتل بالمعركة وهو يحاول انقاذ جورزيـــل تمثال الاه قبيلة لواتة (الثور) وعاد جون الى قرطجنة حيث قوبل بالتهليل لانتصاره الا أن هذا التهليل كان سابقا لاوانـه فبعد بضعة شهور ، فى منتصف موســم الصيف من عام ٥٤٧ قامت حركـة تمرد جديدة فى طربلس حيث كان كـاركاسان Carcasan ملك الايفوراس قد جمع شمل فلول جيش جرنا وقام بجيش جديد يسانده النساموفيون والجرامنتيـــون • وبعد هجوم خاطف على ســواحل طرابلس توجه العصاة الى شمال شرقى تونســـــ وعندما وجدوا ان جون يسد عليهم الطريق عند الحدود بجيشه ، توجهوا الى الجنوب فى المناطق القاحلة التى تقع بين شطـــ الجريد والعرق الشرقى الكبير • وقـــام جون فورا فى اثرهم لكن جيشه الذى لـم يكن مدربا رفض ان يتغلغل الى قلـــب الصحراء فى قيظ الصيف فاضطر الـــى العودة على أعقابه • وتسلل رجال القبائل فى أثره ثم فاجأوا البيزانطيين فى جاالليكا Gallica على بعـد اربعين كيلومترا جنوب شرقى قابـــس وهزموهم شر هزيمة • وجمع جون فلول جيشه وتوجه الى لاريبوس Laripus حيث قضى الشتاء وهو يعيد تنظيم جيشه وعندما حل لربيع كان قد اعد العدة للعمل ثانية ، واضطر العصاة الى الدخول فـى معركة معه فى كامبى كاتونيس Campi Catonis وفى تلك المرة حالف النصر البيزانطيين على طول الخـط ، اذ سـقط كاركاسان قتيلا وانهزم اتباعه بصفـــــة نهائية ومن ذلك الحين وحتى الفتح الاسلامى عام (٦٤٣) لا يسجل التاريخ اية حـروب فى طرابلس •

وبعد أن استولى البيزانطيون مرة ثانية على افريقيا، كان عليهم ان يعيدوا تنظيم الجهاز الادارى • وكـــان نظام الادارة البيزانطى موضوعا على نفس الاسس التى وضعها ديوكليسيان وكان اقليم أفريقيـــا مقسما الى سبع ولايات بما فى ذلك ولاية طرابلس وعاصمتها لبدة وكان حاكـــم praefectus praetorio المقاطعـــة

منـــــدوبا رومانيـــــا مسئولا أمـــــام الامبراطور مباشرة اما الولايات الاخـــرى فالبعض كان يديرها وال praesides ويدير الاخرى بما فى ذلك طرابلســـــــس مشرف قنصلى rectores consulares ويعاون حاكم الولاية مجلس استشـــارى يتكون من خمسين عضوا . وكان اولعمل قام به جوستينيان عندما استرد البـلاد ان ارسل اثنين من الموظفيـــن مــــــن القسطنطينية لتقييم المقاطعة الجديدةوتقدير الضرائب التى ستفرض عليها . ويضـــاف ان الافريقيين وجدوا ان الذين قـامـــوا بالتقدير كانوا (متطرفين بدرجة لا تحتمل)

وابان حكم البيزانطيين بدت على مدن طرابلس ومضة اخيرة من الحياة . وسجل بروكوبيوس Procopius فى كتابه المسمى (المبانى) انباء عـــن النشاطـــ المعمارى الذى تم فى طرابلس تحت حكـم جوستينيان . واعيد تحصين لبدة ولو ان الاسوار الجديدة كانت تحيط بجزء صغير من المدينة الرومانية الاصلية بعد أن اندثر الجزء الاكبر منها تحت الرمال . بالاضافة الى ذلك خصص جوستينيان (معبدا جـميلا) الى العـــذراء وأقام اربع كنائس ، ورمم قصر سفيروس ويمكن القول ان معبـــد العذراء وقصر سفيروس هما ما يعرف الان باسم بازيليكة سفيروس التى حولـــها البيزانطيون الى كنيسة (ص ٦٧) ولم يجىء فى كتاب (المبانى) اى ذكر لمدينـة أويا ، ولكن من المحتمل أن بروكوبيوس كان يشير الى تلك المدينة عندما ذكر اعادة بناء الاسوار ، وبناء الحمامات العامة الـى غير ذلك من التحسينات التى ادخلت عليها ويذكر بروكوبيوس اعادة الاســوار حول صبراته واقامة (كنيسة كبيرة) بهـــا (ص ١٠٥) .

اما فى دواخل البلاد ، فلا يوجد مـــا يشير الى الاحتلال البيزانطى او الـــى تحصينات على الحدود وعلينا أن نستنتج من هذا أن سلطة البيزانطيين المباشـرة على البلاد لم تتجاوز الشريط الساحلى وعـــلى حـــــد ما ذكره بروكوبيـــوس ، قام البيزانطيون بنشاط ملموس لنشـــــــر الكاثوليكية بين القبـــائل ، وكان ضـمن الذين اعتنقوها الجدابيتانيون (وينتمون الى قبيلة لم تعرف على وجه الـــتحديد) وأهالى غـدامس ، وحتى الجرامنتيـــين فى فــــزان . ولم يكتشف بعـــــد ما يؤكد اعتناق اهالى فزان للمسيحية ولو انه يقال ان بعض اثارمسيحية تم الكشـــف عنها فى غدامس . والاهم من ذلك ان ثلاث كنائس من القرن الخامس ، فى دواخـــل طرابلس(الخضراء ،الاصابعة ،وخفاجى عامر) كانت مجهزة فى ذلك الوقت باماكن جديدة للتعميد بها احواض على شكل صليـــب بالفن البيزانطى ، ولعل فى ذلك اشـــارة الى تحول الاهالى من الدوناتية الى المذهب الكاثوليكى .

ومع ذلك فالبرغم عن الاصلاحـــات الادارية واعادة الكاثوليكية ، لم تتغلغل جذور الثقافة البيزانطية فى طرابـلس • فالمدن البيزانطية لم تكن الا واجهة خارجية كان الاهالي من خلفها يتدهورون بسرعـة الى ما كانوا عليه قبلا من حياة البـداوة والرعى • وفى ذلك الوقت ظهرت قبيلتـا البـربر الكبيرتان : نفوسـة وهوارة اللتان لعبتا دورا مريرا فى منازعة العرب على امتلاك البلاد • وبعد ان فتح عمرو بـن العاص مصر واجتاح الاراضى الطرابلسيـة انهارت الواجهة التى اقامها البيزانطيـون ولم يقف فى طريقـه الا مدينة أويا فى محاولة مقاومة لم تدم الا قليلا •

الجزء الثاني

دليل المواقع الرئيسية للآثار والنصب التذكارية

مدينة لبدة ..

(الارقام التى بداخل الاقواس تشيـــر الى المخطط بالصفحة المواجهة)

ملاحظات عـــامة

ان كل ما اكتشف من آثار لمدينة لبـــدة الفينيقية عبارة عن عدد من القبور تحـت منصة المسرح الرومانى ، (٢٥) اما المقبرة فتقع غالبا بخارج المدينـة الفينيقية التى كانت دون شك قائمة على احدى المرتفعات بين الميدان القديم (١٥) ومصب وادى لبدة وهى منطقة لم يتم الكشف عنها بعد .

وكانت المدينة الرومانية (لوحـــة ١) مشيدة طبقا للنظام الرومانى على هيئـــة مجمـوعات سـكنية مسـتطيلة insulae مجمعة بطريقة متناسقة (متناظرة) علـــى جانبـى شارع رئيسى يسمـى كـــاردو cardo . والكاردو بمدينة لبدة كان (طريق النصر) الذى يمتد الى الداخـل متجهـا نحو الجنوب الغـربى من الميدان القديم الذى كان مركز المدينـة الاصلى . ويمكن تتبع نمو المدينة السريع عن طريق تسلسل التواريخ المسجلة على مجموعة من المبانى وهى : السوق (٢١) واقيم عـــام ٨ ق.م والمسرح (٢٥) العام الاول ب.م والكالكيـــديكوم (٢٤) عام ١١ـ١٢ ب. م وقوس صغير باسم أوغوستا ســالوتاريس يقع بشمال قوس سفيروس مباشرة واقيم بين عامى ٢٧ـ٣٠ . وكانت المدينة الرومانية فى اول عهدها خالية من الاسوار الحجرية ولكن اكتشفت بقايا لتحصينات من قوالب اللبن تمتد فى خط بموازاة وادى رصيف ـ مونتيشيللى ـ سيـــدى بارقـــــو ربما كانت بقايا الاسوار التى كان الاهالى ـ علـى حـــد قول تاسـيتوس Tacitus يرتعدون من خلفها عندما اقـــــترب الجرامنتيون من المدينة فى عام ٦٩ ص ٣٥ .

وفى القرن الثانى امتدت مدينة لبـــدة الى الشرق والغرب ولم يتم الكشف بعـد عن البازيليكا والميدان العائدين لعهـــد تراجان اللذين جاء ذكرهما فى أحد النقوش ولعلهما موجودين فى الحى الغربى بالمدينة ، وهو الذى لم ينقب بعد فيه على نطـــاق واسع ، وكان يقع بموازاة الطريق الرئيسى الذى كان يمتد عرضـــا (ديكومانوس) الى البـــوابة الغربيـــة (٢٦) فى منتصـف ذلك القـرن . أما حمـــامات هارديان (٤) التى تم تشييدها فى عـــام ١٢٦ ـ ١٢٧ فقد بنيت على جانبى محـور جديد (يمتد من الشمال الى الجنوب) فى الزاوية التى تقع بين الحى الجنوبى بالمدينة فى القرن الاول من مولدها ، وبيـن وادى لبدة الذى أقيم له سد ليحمى المدينة من الفيضانات . وفى بداية القرن الثالث بعد ان استصلحت المساحة التى بشمال شرق حمامات هادريان ، والتى تقع بين المدينـة وحوض ا لوادى ، امتلات تلك المساحـــة

بمجموعه مباني سفيروس وتتكون مـن الشارع المعمدة (٧) (والنيـمفيوم) اى معبد الحوريات والميدان الجديـد (٨) والبازيليكا (٩) والميناء الذى تم تشييده فى ذاك العهد بشكل فخم (١٠) . والملعب والمسرح الدائرى (وهما غير مذكورين فى المخطط) قائمان بخارج المدينة ، شرقـي الميناء الذى يصلهما به خط من المبانـي على الساحل . اما امتدادا المدينة الى داخل البلاد فى عهد سفيروس فلم يحدد بعـد بسبب عدم التنقيب فى تلك الجهة . لكن المبنى الجنائزى المسمـى قصر شـداد (شـرق سيـدى يوسـف مباشرة) فلابد انه كان خارج المنطقـة السكنية بينما مفارق الطرق التى يحددهـا قوس سفيروس كانت بداخلها تماما وكانت مدينة سفيروس تمتد على اقل تقدير الـى حمامات الصيد (ليست مدونة بالمخطط).

وكانـت مدينة لبدة فى عهد سفيروســ مشيدة بطريقة غير عادية لاغراض سياسيـة (ص ٤٢) . وعندما انتهى حكم أسـرة سفيروس عام ٢٣٥ بدأ انهيار المدينة التى نستطيع أن نتخيل مدى اتساعها فى ذاك الوقت بالرجوع الى بقايا ما يسمـى بالاسوار الرومانية التى اقيمت فى عهـد متأخر فيما بين عام ٢٥٠ و٣٥٠ ، وكانت اول تحصينات تشاد حول المدينة بالحجر ، ولو ان حمامات الصيد التى خارج الاسوار كانت ما تزال تستعمل . ومع ان انـهيار المدينة توقف فترة فى عهد ديوكليشـيان وقسطنطين ، الا انه بدأ ثانيا بصـورة ملموسة بعد غزوات الاستوريين فى ٣٦٣ – ٣٦٧ (ص ٤٥) وبعد أن دك الواندال السور الرومانى المتأخر قرابة (٤٥٥) فى القرن التالى ، اصبحت المدينة معرضـة لزحف التلال الرملية التى كانت تهددهـا على الدوام وكل ما استطاع ان يفعله مـا تبقى من السكان فى تلك الظروف هو ان يحافظـوا على مداخـل منازلهم من زحف الكثبان الرملية بأن يسـدوا أبواب المنازل الجانبية ، وان يقيموا حواجز لصد الرمال وعندما احتل البيزانطيون لبدة فى عـام ٥٣٣ وجدوا الجزء الاكبر من المدينة مندثرا تحت الرمال لذلك كان السور الذى اقامـه جوستينيان لا يحتوى الا على عدد لا يذكر من المبانى بالاضـافة الى الميـناء وكل من الميدانين القديم والجديد .

ويمكن القول بصفة عامة ان لبدة كانت تحتوى على نوعين من حجارة المـبانى : الاول نوع صلد الى حد ما من حجر الجير البللورى ، لونه أصفر باهت أو رمادى فاتح وكان يستعمل فى اعمال النحت الدقيـق للزخرفة التى كانت طابعا مميزا لمدينة لبدة فى القرن الاول من تاريخها كما انه كـان يستعمل فى تغليف الجدران زيادة فـى فخامة المظهر ، او فى الاماكن التى تكثـر فيها الحركة لحفظها من الاستهلاك السريع . والنوع الثانى هو الحجر الرملى وكـان يستعمل بالاماكن التى ليست مطروقـة كثيرا . وكلا النوعين كان يستخرج غالبا من رأس الحمام على بعـد خمس كيلو

مترات بجنوب المدينة ، حيث يمكن مشاهدة المحاجر الكبيرة القديمة حتى الان . امـــا كتل حجر الجير والاردواز الضخمة التــي استعملت لبناء الميناء فيبدو انها اخذت من المحاجر القريبة بوادى لبدة وزناد ولــو ان موقع تلك المحاجر لم يحدد بعد .

وفى القرن الثاني انتشر استعمال الرخام فى الاعمال الزخرفية مثل القوالب المنحوتة والاعمدة والعوارض التى ترتكز من فوقها ، ولتزيين الجدران وتبليط الارض . وكــان الرخام يستورد خاصة من شرق البحـــر المتوسط ، على مختلف الالوان . ولتخفيف الحمولة كانت سيقان الاعمدة ورؤوسهــا الى غير ذلك من القطع الاخرى تقطع وتصقل نهائيا قبل الشحن ثم يــقوم بنــــاءون يونانيون بنحتها محليا .

أما البناء بالخرسانة والاجر الذى يتميز بها فن المعمار الرومانى فى ايطاليا ، فكان نادرا فى لبدة حيث كان البناء اقــــرب للنظام الاغريقى . وقد استعملت الخرسانة لتدعيم قبة المسرح وفيما بعد استعملــت لاسباب فنية فى بناء حمامات هادريـــان وحمامات الصيد . كذلك استعملـــــت الخرسانة المكسوة بالاجر فى حنيات بناء بازيليكة ســـفيروس ومعبـد الحـوريات

الحفائـــر

من المدخل (١) وحتى يصل الى مـــكان الحفائر ، يسير الزائر فى طريق يـؤدى الى سلم (مقام حديثا) وعند اسفله يجد نفســـه فى الطريق الرئيسى (كاردو) بالمدينة القديمة . وفى الزاوية الجنوبيــة الغربية عند اول مفرق بالطريق حيث يقطع الكاردو الطريق الرئيسى العرضى المسمـى ديكومانوس decomanus maximus يوجـد عامود مـــن حجـــر الجير يحمـــل نقوش بداية طريق الجبل (ص ١٢٠) وتسجل النقوش أيضا أن الطريق تم فى عهد نائب القنصل ل. ايليوســـ لاميـــــا Aelius Lamia (عـام ١٥ ـ١٦ ب.م.) وانه يمتد مسافة ٤٤ ميـلا رومانيـــا الى داخـــل البـــلاد . وفى تم فى عهد نائب القنصـــل ل. ايليــوس سفيروس (٢) ويبدو ان القوس (لوحة ٢) شيد بسرعة وربما كان هذا بمناسبـــة زيارة الامبراطور سبتيميوس لمسقط رأسه فى عام ٢٠٣ ب.م. والقوس رباعــــى الجوانب به ممران يتقاطعان بزوايا قائمــة وكانت ارضيته المرتفعة تحول دون مـرور العجلات من تحته . كان مشيدا بحجـــر الجير يكسوه غلاف من الرخام وزخـارف بارزة ، وعلى كل جانب من مدخله المقوس (لوحة ٢ « أ » ينتصب عامود مخـــدد كورنثى يرتكز فوق قاعدة ويحمل تاجا نصف هرمى على العرضة البارزة . امـــا العرضة الرئيسية للقوس فترتفع بمستوى التاج نصف الهرمى وترتكز فوق اربـــع اعمدة رباعية الاضلاع يستقر كل واحـدنها فى الزاوية الخارجة بالقاعدة ، وفوق

العرضة العليا بالقوس توجد عرضة اصغر باعمدتها (تكون طابقا ثانياً منخفضاً وبعلو الممر الذى تحت القوس قبة مجوفة من الخرسانة ٠

اما زخارف وصور النحت البارز التى كانت تزين القوس فقد نقلت الى متحف مدينة طرابلس بالقلعة ، والصور المنحوتة تنقسم الى مجموعتين تشتمل الاولى على اربع لوحات كبيرة مستطيلة الشكل كانت تحت العرضة العليا بالقوس وتمثل اللوحتان الاولى والثانيه مواكب النصر (لوحة ٣) اما الثالثة فتمثل منظر تقديم القرابين ، وتمثل الرابعة سبتيميوس سفيروس وهو يشد على يد ابنه الاكبر كركالا ومعهما ابنه الاصغر ، غيتا ٠ ويرمز المنظر الى اتحاد الاسرة الامبراطورية ٠ أما المجموعة الثانية فتتكون من ثمانى لوحات طويلة اصغر حجما كانت كل اثنتين تواجه احدهما الاخرى فى الاوجه الداخلية عند مدخل القوس ٠ أماموضوع اللوحات فيمثل المجموعات التقليدية من الآلهة ، فيماعدا واحدة منها شوهتها النيران الى حد بعيد وتمثل جنودا رومانيين يحاصرون مدينة شرقية ٠ كانت الاعمدة الخارجية الرباعية الاضلاع مزدانة بنقوش تمثل اسرى من البرابرة واسلاب وفى كل زاوية يحتويها كتف القوس تقف الهة النصر المجنحة عارية ممسكة بتاج وسعف النخيل (اللوحة ٤) بينما يقف أربعة نسور فوق كرات ، فاردة اجنحتها بحيث تكون منها زوايا تحت قبة القوس من الداخل ٠ اما اللوحات الكبيرة التى على الاعمدة الرباعية الاضلاع فكان يحليها رسوم لفروع الكرم تتخللها صور عديدة لكوبيد وطيور ، وتقف تلك الاعمدة فى اركان القوس الاربعة ولكن بعضها لم يتم نقشه ٠

وقد قام بصنع منحوتات هذا القوس كثير من العمال ينتمون لمدارس معمارية مختلفة ومما لا شك فيه أن الاعمدة رباعية الاضلاع التى فى اركانه ، وعناصر اخرى زخرفية، قام بنحتها عمال من آفروديزياس Aphrodisias بآسيا الصغرى وتلاميذهم من الاهالى المحليين ، وبعد ان انتهوا من عملهم فى القوس ، انتقلوا لينحتوا الاعمدة الرباعية الاضلاع لبازيليكة سفيروس (ص ٦٧) وعمل هؤلاء الصناع يختلف من حيث المهارة والطراز ٠ فبالاضافة الى اللوحات التى ما زالت تتسم بمتانة فن النحت الكلاسيكى نجد ان البعض الاخر ينساب فى رسومات اشبه بشبك مزخرف باللونين الابيض والاسود يحفها نحت عميق ، كذلك تشير مجموعة العوارض العليا الى تاثير الفن السورى والعراقى ، كما ان الطريقة التى استعملت فى نحت عجلة سبتيميوس سفيروس على اللوحة التى تمثل موكب النصر (اللوحة ٣) تعتبر مثالا جليا لاتجاه جديد فى الرسم بحيث تكون وجوه الاشخاص متلفتة جميعها نحو الرائى دون مراعاة الجهة التى يسيرون نحوها او العمل الذى يقومون به كذلك يلاحظ فى منظر القرابين اتجاه الفنان الى أن يوحد طول مجموعة افراد

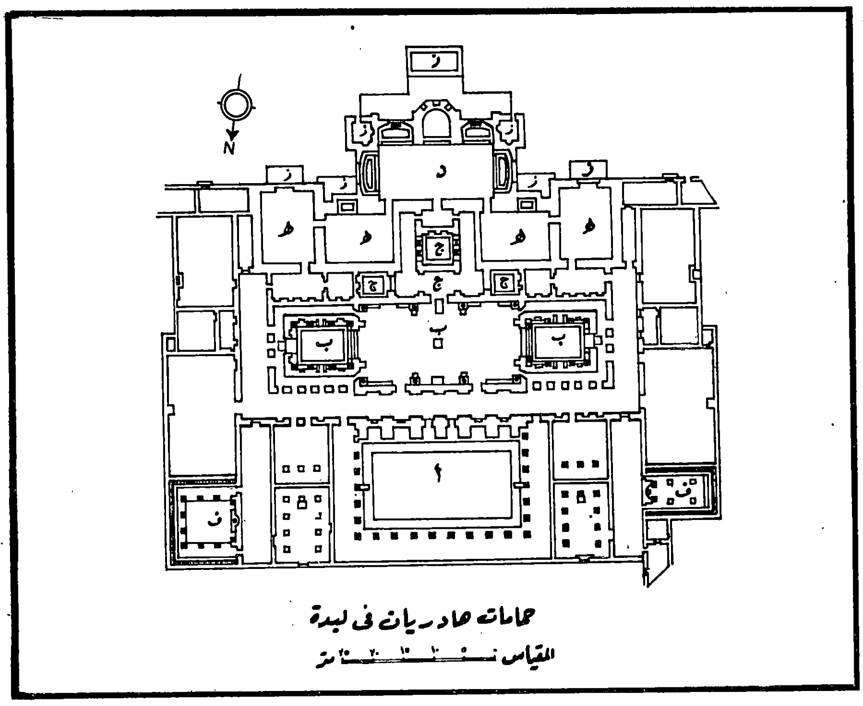
الصف الواحد الذين في مقدمة اللوحة ، ثم يكرر الصفوف بهذه الطريقة ليخلق مناظر متعددة متناسقة ٠ وعملية عرض الصور في مقدمة اللوحات ، والتكرار على نفس النمط اصبحا المبدأين الاساسيين في اواخر عهد الفن القديم و الفن البيزنطي ٠ وهكذا نراهما يمثلان بداية تحويل الفن الكلاسيكي الطبيعي الى نمط رمزي تقليدي ٠ وبالاضافة الى تاثير فن المدارس الشرقية ، نرى تاثير الفن الروماني على اللوحة التي تصور حصار المدينة وهي من حيث الموضوع الذي تمثله ومن حيث المنظر العام ، تعتبر شبيهة بالنحت ذي الطابع التاريخي الذي يحلي اعمدة تراجان وماركوس اوريليوس ، وبصفة خاصة قوس سبتيميوس سفيروس في ميدان مدينة روما ٠

وعندما يسير المرء شرق قوس سفيروس عبر الديكومانوس (الطريق العرضي بالمدينة) يحيد بعد ذلك في اول شارع على يمينه حيث توجد المنطقة الوحيدة التي نقبت ، والتي تؤدي الى الطرف الغربي للملعب الرياضة ـ باليسترا palaestra

(٣) والباليسترا عبارة عن مساحة مستطيلة في العراء مستقيمة الجانبين وطرفاها على هيئة نصف دائرة ، ويحيط بالملعب اروقة من الاعمدة الكورنتية سيقانها من حجر الشيبولينو ، ويمتد من شمال الملعب رواقان كبيران مستطيلان يحتويان على مساحات معمدة peristyle ومنحنيات في جدرانها الشمالية ٠

ومن جدار الباليسترا من الجهة الجنوبية ، تمتد حمامات هادريان (٤) في خط يتجه الى الغرب ، وهي الحمامات التي افتتحت غام ١٢٦ ـ ١٢٧ وقام الامبراطور كومودوس بترميمها وتعديلها (١٨٠ ـ ١٩٣) ٠ ومثلها مثل الحمامات المظيمة في روما ، كانت حمامات هادريان مقامة بطريقة متناسقة بحيث تكون القاعات الرئيسية في الوسط ، والحجرات الثانوية على الجانبين مواجهة بعضها بعضا (المخطط ٤) وفي اقصى الشمال بالجزء الرئسي يوجد حوض غير مسقوف للسباحة (ا) A يمكن الوصول اليه من باب في وسط الجدار الذي يحده من الشمال بينما يحيط به من الشرق والشمال والغرب بواكي باعمدة كورنتينة من الرخام الوردي (بريشيا) ويتاخم الجدار الجنوبي صف كتل ضخمة من الدعائم اغلب الظن انها اقيمت بتاريخ لاحق اثناء تعديلات كومودوس ٠ ويوجد بتلك الجهة اربعة ابواب اثنان في الوسط وواحد عند نهاية كل من الاروقة الجانبية تؤدي الى الممر الذي يحيط بالحمام البارد (الفريد جداريوم) ب ـ ويعتبر هذا الاخير (لوحة ٥) اهم مكان بالحمامات فهو عبارة عن بهو فخم يكسو ارضه وجدرانه الرخام وتعلوه ثلاث قباب من الخرسانة المتقاطعة ترتكز على ثمانية اعمدة كورنتية ضخمة من حجر الشيبوليغو وتوجد على الجدار الجنوبي حاليا بقايا من النقوش على الرخام تشير الى ان ترميم الفريدجيداريوم والجهات الاخرى بالحمامات وتجميلها بالاعمدة والرخام على يد روسونيانوس Russonianos

(القاضى المنتخب لخمس سنوات) الـذى حصل على موافقـة الامبراطور لتمويلهـا بالمبالغ المقررة لالعاب المصارعيـن (الجلادياتورى) وبعد وفاة كومودوسـى أزيح اسمه من اللوحـة واستبدل باسم سبتيميوس سفيروس ٠



المخطط (٤) حمامات هادريان ـ لبدة

وعلى جنبى البهو شرقا وغربا ، توجـد ابواب تعلوها اقواس تؤدى الى مغاطـس باردة وهذه المغاطس وما تبقى من زخارفها بما فى ذلك الاعمدة الكورنتية بدعائمـها المصنوعة من الجرانيت الاسود تعود الـى أواخر القرن الثانـى (اللوحة ٦) وفى وسط الجدار الجنوبى الاسود تعود الـى بوجد باب يقود الى التبيداريـوم ـ ج ـ (الحمام الدافىء) (٥) الذى كان فى أول الامر يتكون من حجـرة واحدة ، اما الحجرتان الجانبيتان فقـد أضيفتا باغلاق جزء من الممر الموجود جنوبى الفريدجيداريوم ٠ وعلى جانبى الحمـام الرئيسى يو جد ممران يحجبه عنهما عـلى الجانبين عامودان من الرخامالرمادىاللون، ويؤدى الممران الى حجرة صغيرة خلـف الحمام كانت بمثابة حاجز بين التبيداريوموالكلداريوم caldarium (الحمام الساخن) ج ـ C والكلداريوم حجرة ذات سقف وجدران معقودة تضيئهـا نوافـذ مـن

المعتقد أنها كانت من زجاج مصقول . اما الكوة الشبيهة بالمنحنى التى بوسط الجدار الخلفى والمغاطس الخمس، لكن التفاصيل الاولى غير معلومة على وجه فيرجع عهدها الى تاريخ تعديلات كومودوس التحديد . وتوجد فى تلك الحجرة بقايا لوحة رمادية اللون من حجر الجير ، تحمل نقوشا ، كانت اللوحة على واجهة المبنى الاصلى وتذكر النقوش أن بوبيليوس سيلير Popilius Celer مندوب نائب القنصل فاليريوس برسكوس Valerius Priscus دشن الحمامات باسم الامبراطور هادريان، ويوجد فى الطرفين الشرقى والغربى بالجدار الشمالى فى الكلداريوم بوابتان تؤدى كل واحدة منهما الى حجرتين متماثلتين أصغر حجما هـ هـ E E اصبحتا فيما بعد تستعملان لحمامات البخار (لاكونيكا) وكانتا تحميان عن طريق الهواء الساخن الذى يمر من تحت الارضية المرتفعة خلال القوالب المفرغة التى تكسو الجدران . وفى الجدار الشمالى لكل حجرة يوجد باب يؤدى الى حجرة صغيرة فى الممر الجنوبى الذى اغلق ثم يخرج المستحم منه مباشرة الى الفريدجيداريوم .

ولم يعرف على وجه التحديد الغرض من الحجرات الجانبية لكنها كانت قطعا تشتمل على حجرات لخلع الملابس apodyteria وعلى حجرات للعب الجمباز ، وربما كانت بها مكتبات ايضا . ويلاحظ وجود زوجين من القاعات الكبرى المعمدة متاخمتين لجانبى حوض السباحة أ - A اما الحجرتان الوحيدتان اللتان لا شك فى الغرض من وظيفتهما فهما قاعتا المراحيض laconica و F الواقعتان فى الركنين الشمالى الغربى والشمالى الشرقى بالمبنى وكانت هذه المراحيض مبنية على الطريقة الرومانية التقليدية بمقاعد من الرخام ومجار عميقة تحيط بها من ثلاث جهات اما الضلع الرابع من القاعة فتوجد به كوة لتمثال على جانبيها المدخلان وكان وسط قاعة المراحيض المشرقية مكشوفا للعراء وتستر الجالسين فيه اروقة تحيط به من ثلاث جهات مشيدة باعمدة كورنتية بقوائم من رخام البريشيا . اما قاعة المراحيض الغربية وهى اصغر حجما فيعلوها سقف يرتكز على اربعة اعمدة من الشيبولينو تستقر على قواعد ثابتة .

وخارج الحمامات بمحاذاة الجدار الجنوبى توجد اثار حجرات الافران والغلايات التى كانت تستعمل لتسخين الكلداريوم واللاكونيكا ز ز -G G وعلى بعد مسافة بسيطة من جنوب المبنى يوجد صف من الصهاريج لتخزين المياه وبالقرب منها نقوش تذكر أن كوينتوس سرفيليوس كنديدوس Quintus Servilius Candidus اكتشف ماء عام ١١٩ـ١٢٠ ورفعه وأوصله الى المستعمرة غالبا بقنوات مبنية على نفقته الخاصة .

ويتاخم الطرف الشرقى من الباليسترا ساحة متعددة الاضلاع وهى جزء من مخطط مبانى سفيروس بحيث تصبح المحور بين طريق كان قائما شرقى حمامات هادريان والشارع المعمد الجديد الذى سيأتى وصفه والذى يمتد نحو محور اخر ينحرف قليلا الى ما بعد الميدان السفيرى . ويحد تلك الساحة من الشمال الشرقى والجنوبى

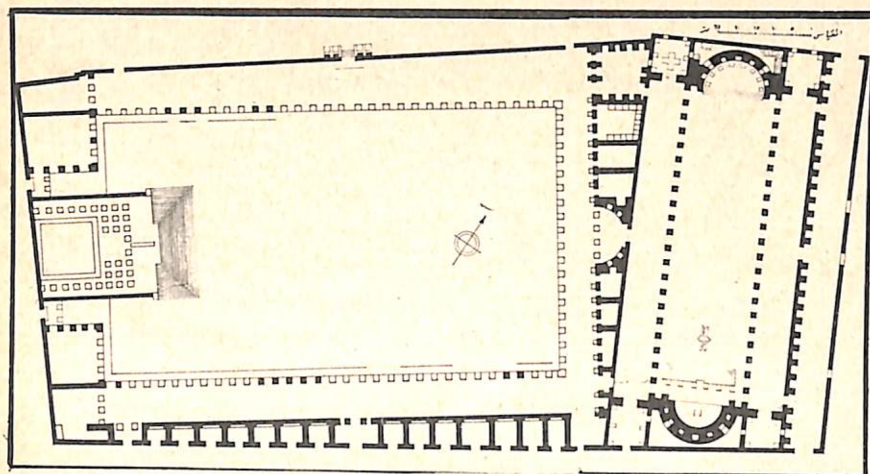
مداخل باقواس تؤدى الى هذين الشارعين وتوجد في الشمال الشرقى اثار لاحد الاروقة المقوسة لكن تلك الجهة من المدينة تأثرت الى حد بعيد بسبب اقامة الجدار البيزانطى عليها • وفى الجنوب الشرقى يربط النيمفيوم (٥) nymphaeum بين مدخلى الشارعين وهو عبارة عن وحدة معمارية ضخمة نصف دائرية الشكل تتكون من منحنى كبير يحتوى على حوض ونافورة يكتنفها جدار عال وقد تهدم نصف المنحنى الذى كان مبنيا بالخرسانة المكسوة بالأشلار وفى اول الامر كان المنحنى والجدران المحيطة بجانبيه مغلفا بطبقة بالرخام وكان البناء كله (مثل الجدار القائم خلف منصة التمثيل بالمسرح) مزدانا بصفوف مدرجة من الاعمدة الكورنتية كانت قوائم الاعمدة السفلى من الشيبولينو اما فى الصفوف العليا فكانت من الجرانيت الاحمر وتفصل بين قوائمها وقواعدها الواح مزخرفة بفروع الاكانتوس acanthus (شوك الجمل) كذلك توجد بين الاعمدة كوى للتماثيل لكن الطريقة التى عولج بها الطابق الثانى من المبنى لم تعرف بعد على وجه التحديد • اما الفاصل الحجرى المزخرف بصور هرمس الذى يواجه النيمفيوم حاليا فقد اقيم فيما بعد لكن المنطقة التى يحيط بها هذا الفاصل كانت مخصصة غالبا لتلقى الماء الفائض المنبثق من الصنابير السبع الرصاصية فى الحوض الامامى •

وعلى بضعة يردات من شمال الساحة، فى الزاوية التى بين الجدار الشمالى الغربى بالشارع المعمد وبين الجدار الجنوبى الغربى بالميدان السفيرى نجد اثار كنيسة (٦) وهى غالبا واحدة من اربع كنائس اصغر حجما اقامها جوستينيان بمدينة لبدة (ص٥٤) والمبنى مشيد على النمط البازيليكى فهو عبارة عن بهو مستطيل مقسم بالطول الى صحن الكنيسة وعلى جانبيه جناحان يفصل بينهما صفان من ستة اعمدة للصف الواحدة وينتهى بمنحنى فى الجنوب الشرقى من صحن الكنيسة • وعلى جانبى هذا المنحنى توجد حجرتان لخدمة الكنيسة يمكن الدخول اليهما عن طريق الجناحين وكان حوض التعميد على شكل صليب فى الركن الشمالى الشرقى • ويلحق بالكنيسة مقبرة تقع بالجنوب الغربى •

الشارع المعمد (٧) الذى يربط حمامات هادريان بالميناء ويحف بفورم سفيروس والبازيليكا كان الشريان الرئيسى لمدينة لبدة فى العهد السفيرى وهو شارع عريض لمرور العربات تحف بجانبيه اروقة معمدة مسقوفة ويعتبر نموذجا فخما للشوارع المعمدة مما وجد فى بلاد الشام فى العهد الرومانى ، وكانت اعمدة الاروقة ترتكز على قواعد مربعة ، قوائمها من الشيبولينو ، وتيجانها مزخرفة بنقش لزهر اللوتس والاكانتوس ويشتهر هذا الطابع من الزخرف بالطراز البرغامينى (١) Pergamene وبدلا من العرضة المسطحة المالوفة فى العمارة الكلاسيكية

---

١ ـ نسبة الى مدينة برغامو فى اسيا الصغرى ، من العهد الهلنستى (المترجمة)



مخطط ٥ فوروم وبازيليكة سفيروس بمدينة لبدة

تحمل الاعمدة الاقواس على تيجانها مباشرة وهذه الاروقة المعمدة بمدينة لبدة تعتبر من اقدم النماذج المعمارية الضخمة التى اكتشفت حتى الان وكان مقدرا لها ان تصبح ذات اهمية كبرى لفن المعمار الاسلامى والاوروبى ·

وعندما يسير المرء بالشارع المعمد فى اتجاه الميناء يصل بعد حوالى سبعين ياردة الى سلسلة من الابواب تفتح على الرواق الذى الى اليسار وكان الباب الاول (وهو مسدود الان) والاوسط ، والاخير عبارة عن مداخل تؤدى الى فوروم سفيروسى (٨ مخطط ـ ٥) · اما المداخل الاخرى فكانت تؤدى الى حوانيت (تابيرنه tabernae تكون مساحة على هيئة مثلث تتجه قاعدته نحو الشمال الشرقى بحيث تسد الفراغ بين الفوروم والشارع وان الفوروم السيفرى يشبه الميادين الامبراطورية فى روما بصفة عامة فهو عبارة عن مساحة مستطيلة غير مسقوفة تقدر بحوالى (١٠٠ × ٦٠ مترا) تحيط بها اروقة معمدة ويشرف عليها معبد عالى يمتد من الوسط الى الطرف الجنوبى الغربى وكانت قوائم الاعمدة بها من حجر الشيبولينو وتيجانها مزدانة بزهرة اللوتس والاكانتوس · والاعمدة مثل تلك التى بالشارع المعمد كانت تحمل اقواسا من حجر الجير فوق تيجانها · وبين تلك الاقواس توجد رؤوس من المرمر لميدوزا ونيريد Medusa and Nereid مثبتة بالتوالى فى الحجر (اللوحة ٧) وكان افريز العرضة يحمل نحتا جميلا من فروع الاكانتوس وقد امكن تجميع اجزاء من الاقواس والافاريز على الارض ، والاسوار

المحيطة بالفوروم مبنيـــة بالآجر والحجر فى الجهة الجنوبية الشرقية ومن الحجارة بالجهات الاخرى وكانت مكسوة بالرخام · والجدار الخارجى القائم بالجهة الشماليـة والغربية م شيد بكتل من الحجر مقامـــة على قاعدتها الضيقة ، وعوارضها من الطراز الدورى وهى تعتبر نموذجا رائعا لفـــن المعمار السفيرى · ولا يخفف مـن جدية المظهر الذى يحيط بالمبنى الا البوابةالمعمدة بالمداخل التى فى وسطه والمواجهة لشـارع هام يمتد من وسط المدينة ·

ولا نعلم لمن اقيم المعبد ولعله كان لشعب لبدة ، وهو مشيد على الطراز الايطالـــى مستقر فوق مصطبة معقودة يرقى اليه من الامام بسلم ذى ثلاث جوانب بينما يلتصق من الخلف مباشرة بسور الفـــوروم · والاعمدة التى تحيط بواجهة وجوانـــب التشيلا (الحجرة المقدسة) كانت بالطراز الكورنتى وقوائمها من الجرانيـت الاحمـر وعددها ثمانية من الامام وتسع بالجوانـب مع عد عامودى الزوايا مرتين) · كان امام المدخل ثلاثة صفوف من الاعمدة مع الغـــاء على ما يبدو ـ عامودى الوسط بالصفيـــن الثانى والثالث ، وكانت الاعمدة الثمانيـة بالصف الامامى قائمة على قواعد مربعة من الرخام تحمل نحتا محفورا لقتال بين الالهة والعمالقة · والتشيلا مربعة الشكل ويمكن رؤية بقايا ارضيتها التى كانت مبلطـــة بالرخام الاخضر ·

خلف الـــرواق الشمالـى الشرقـــى بالفوروم يوجد صف اخر من الحوانيـــت يمتد الى اضيق فاضيق وبذلك يسد الفجوة التى بين الفوروم والبازيليكا المتاخمة له · اما الدخول الى البازيليكا فكان اما مـــن الفوروم عبر باب فى منحنى نصف دائـرى فى وسط خط الحوانيت،او عن طريق بهو كبير معمد بطرف البازيليكا الشمال الغربى او من ممر ضيق يقع بالطرف الجنوبـــى الشرقى منها ·

البازيليكا السفيرية (٩) عبارة عن قاعة كبيرة مستطيلة تنتهى فى كلا الجانبيـن بمنحنى تعلوه نصف قبة ويقسم القاعـــة بالطول اعمدة من طابقين (لوحة ٨) الـى بهو رئيسى وأروقة جانبية وفوق تلك الاروقة تمتد ممرات خشبية على ارتفاع راس اعمدة الطابق الاول · وتخطيط الجزء الاعلى مـن المبنى غير معلوم على وجه التحديد واغلب الظن ان البهو الرئيسى كان اعلى من الاروقة الجانبية للاضاءة وايا كان شكل الطابـــق العلوى من المبنى فان كلا من الصحـــن واروقته كان مسقوفا بالخشب ·

كانت ارض البازيليكا مبلطة بالرخـام، كذلك كانت جدرانها مكسوة به ايضـــا بارتفاع الممرات العليا علـــى أقل تقدير وتدل المنحوتات الجيرية التى بالمدخل فـى طرفى الاروقة على ان النية كانت متجهة فى الاول الامر الى ترك هذا الجزء من البنـــاء عاريا كما ان التشطيبات الخشنة بالجدران الجانبية تشير الى ان تغيير المخطط الاول

تم قبل ان تشيد تلك الجدران وكانــــت الاعمدة الممتدة بالطول على الطراز الكورنثى بدعائم من الجرانيت المصرى الاحمر اللون وذلك فى كلا الطابقين ، وكانت العوارض بالطابق الاسفل تحمل كتابات تسجل وضع أساس المبنـــى بأمر مـــن سبتيميوس سفيروس واتمامه على يد كاركلا عام ٢١٦ ب٠م٠ وينتهى كل جدار بعامود رباعـــى الاضلاع ، من تلك الاعمدة يقف اثـــنان على جانبى المنحنى مباشرة واثنان موازيان لخط الاعمدة الطولى (لوحة ع ٩) وكل زوج منها بالاطـراف الخارجيـــة مزدانا بفروع الاكانتوس تبرز من ازهارها بعضـ الحيوانات اما الزوجان اللذان بوسط تلك الاعمدة فيحملان نحتا يمثل صورا ومناظر تمثل الاله ديونزيوس موضوعة فى فروع الكروم اما فى النهاية المقابلة فتمثل الشدائد التى عاناها هرقل ومن حوله شجرة كـرم لا تحمل عنبا وكان الآلهان ديونيزيوســـى وهرقل الحاميان لمدينة لبدة وسبتيميوس سفيروس ٠ ولا جدال فى ان تلك الاعمدة الرباعية الاضلاع كانت من عمل النقاشيـن الذين قاموا هم وعمالهم بنحت اعمـــدة قوس سفيروس الرباعية وكان عملهم يتسم بطابع فن مدرسة الافروديزية (ص ٦٠) ويلاحظ فى الاعمدة ذات الطابع الديونيزى اتجاه نحو تحويل النحت الى رسومـــات ملساء باللون الابيض والاسود يحددها حفر عميق فى الكتلة الحجرية وهذا الطابـــع يظهر بصورة اوضح فى هذه الاعمدة عمـا هو عليه فى القوس ، ومع ذلك فان الاعمدة التى تحمل صور هرقل ما زالت تتســـم بالطابع الكلاسيكى ٠

كانت ارضية المنحنيات اعلى من ارضيـــة الجزء الرئيسى من المبنى ، وجدرانهــــا مزدانة بواجهة من الاعمدة الدقيقة الصنع٠ وخلف كل منحنى يوجد فى الوسطـــ عامودان مرتفعان بالطراز الكورنثى بقوائم من الجرانيت الاحمر ترتكز على قواعـــد رخامية ذات ثمانية اضلاع واذا كان ترميم المنحنى الشمالى الغربى مضبوطا ، فـــان رأسى هذيـن العموديـن كانا يحمـــلان عرضة مسرفة بالزخارف مـــن ضمنهـا صورتان مجنحتان للعنقاء ٠ وعلى جانبـــى الاعمدة التى بالوسط يوجد طابقان مـــن ثلاثة أعمدة بكل طابـــق ، أقصر طولا ، ترتكز فوق قواعد مربعة ، قوائمها مـــن الجرانيت الاحمر وتيجانها بالطراز الايونى٠ وكانت العرضة البارزة من فوق رؤوس اعمدة الطابق الاسفل مثبتة فى فتـــحات مقوسة فى حائط المنحنى ٠ ويتضح مـــن وجود فتحتين من هذا النوع خلف الاعمدة الوسطى ، ان الغرض الاول كان يستهدف مد الطابقين المعمدين حول المنحنى كلــــه وبين الاعمدة توجد كوى كانت تحوى على تماثيل ٠ وعندما حول جوستينيان البازيليكا الى كنيسة اقيم الهيكل فى المنحنـــى الجنوبى الشرقى ، واضيفت منصة فـــوق ارضيته التى كانت اعلى من الرضية المبنـى ويحيط بالهيكل حاجز يتكون من ســـت قواعد اخذت من المنحنى الشمالى الغربـى وقطع من الاعمدة الرباعية الاضلاع التـــى كانت بالقوس السفيرى ٠ كذلك أخـذ

اثنان من تيجان اعمدة الزاويــة من ذات القوس ووضعها فوق اعمدة صغيرة بحيث تصبح منبرا فى صحن الكنيسة .

وعند نهاية الاروقة الجانبية توجــد مداخل معمدة تقود الى أربع حجرات على جانبى المنحنيات ملاصقة لجدار البازيليكا الخارجى . كانت الحجرتان الشماليـة والغربية مستطيلتين اما الجنوبية والشرقية فغير منتظمة الجوانب الى حد ما بسبب التصاق الجدار الخارجى بطرف البازيليكا مع الخط المنحرف للشارع المعمد . وفى اول الامر كانت جدران الحجرات الاربعـة مغلقة وارضها مبلطة بالرخام كما انها كانت مسقوفة بخشب مسطوح يرتكز فوق اربع اعمدة ترتكز فوق قواعد مربعة باركـان الحجرة الاربع . وكانت قوائم الاعمدة من حجر الشيلبولينو تزدان تيجانهـا بزهر اللوتس و الاكانتوس . وفى القـرن الخامس ، يبدو ان الحجرة الجنوبيـة تحولت الى كنيس يهودى وفى ذات الوقت اغلق باب كان يتوسط الجدار الجنوبـى الشرقى ويطل على الشارع بحيث يتحول على ما يبدو لنا الآن الى الكوة التى تودع بهـا التـوراة . وفـى القـرن السـادس أعـاد البيزانطيـون تسقيف الحجرات الجنوبية والشرقيـة والغربية بقباب من الحجر الرملى كـما حولوا الحجرة الغربية الى مقر للتعميـد (التنصير) وذلك بان حفروا حوضا على هيئة صليب فى ارضية الحجرة التى كانت ارتفعت بدرجة ملموسة عن مستوى ارضية البازيليكا وكانت ابواب الحجرات التـى بالاركان تقود الى مواضع مكشوفة تقع بين ظهر المنحنيات وجدران المبنى الخارجيـة . وكانت تلك المواضع تؤدى الى منحنيـات مرتفعة ومجهزة بسلم يقود الى الاروقة التى تعلو اجنحة البازيليكا . ويمكن رؤية هذه الاخيرة وما يحيط بها ، من اعلى السلـم الذى بخلف المنحنى الشمالى الغربى .

وبجانب البازيليكا من الاتجاه الشمالى الشرقى نجد ممرا مشيدا يربط بيـن الشارع المعمد والحى القديم بالمدينة مـن الشمال الغربى . ويحد كل طرف للممـر قوس ويحفه من الجنوب الغربى خط مـن الاعمدة يرتكز فوق قواعد مربعة الشكـل تواجه جدار البازيليكا . واذا توجهنـا يسارا من هذا الممر الى الشارع المعـمد وممرنا لمسافة مائة ياردة او اكثر بقليـل لوجدنا الى يسارنا منحنيا صغيرا نصف دائرى مـن عهد سفيروس ، تحول فيما بعد الى كنيسة صغيرة . وبعد مائة ياردة اخرى ينتهى الشارع المعمد عند الرصيـف الغربى بالمرفأ (٨٥) وكان هذا الاخير فـى أول الامر مجرد مصب لماء الوادى، تحميه من البحر ، الى حد ما صخور قائمة بالشمال والشرق ، حولت فيما بعد الى ارصفـة على ضفتيه . وفى العصر السفيرى أقاموا سدودا ضخمة تربط تلك الصخور ببعضها بحيث تصبح حواجز تحتضن الميناء مـن

الشمال والشرق لذلك كان الميناء غيرمنتظم الاضلاع يبلغ محيطه نحو ثلاثة ارباع الميل ويقع مدخله الضيق بالشمال الشرقـــي وكان يحميه جناح يمتد من الرصيـــف الشمالي . وقد امتلا الان حوض المرفـــأ بالرمال ، وفيما عدا الحاجز الشرقـــي اصبحت معالم الارصفة لا ترى الا لماما .

بعد ذلك يسير الزائر فى طريق ضيق محاذ للمرفا من الغرب فالشمال متتبـــعا خط الارصفة والمخازن . وبعـد أن يمر بالحفائر الجزئيـة لرواق باعمـدة من حجر الجير ترجع الى المائة الاولى ب.م تقطع طريقه بزوايا قائمة فجوة كانت فى الغـالب تعـين الحدود الشمالية الغربيـــة المالوفة للمرفا الســـابق لعهـــد سـيفيروس . وفى أقصى الشمال الشرقى منالرصيف الشمالي يرتفع المنار فوق قاعدة فخمة ، وهـــو عبارة عن برج مربع غالبا ما أنه ، على غرار المنارات الاخرى ، كان يتكون منعدة طوابق ترتفـــع الى أصغر فأصغر حتـــى تصل الى القمة ، حيثتـوجد الاضاءة . ولم يتبق من المنار الا الركن الجنوبـــي الغربى من قاعدة البرج والاساس الـذى كان قائما عليه . كان الطابق الاول منـه مستقرا على اساس منحوت ، يرى عـــلى جانبه الغربى احد الاقبية العالية التـــى كانت تحمل أرضية البرج . أما المدخل فكان بوسط الجانب الغربى وقد انهـــار منه قرابة نصفه، ويؤدى سلم صغـــير (قريب من حافته الحالية) الى مـمر او قاعة صغيرة يوجد فى وسط جدارهـــا الخلفى كوة لتمثال . ويمكن رؤية كتلـة ضخمة من بناء بالخرسانة سقطت فـــى البحر من اعلى البرج .

وباستثناء الفترة التى يحدث فى اثنائها فيضان الوادى ، يمكن الوصول الىرصيف المرفا الشرقى عن طريق الحاجز الرملـى الذى يسد حاليا مدخل المرفا . ويعتبـــر هذا المكان افضل بقعة يمكن ان يدرســـ بها النظام الذى اتبع فى اقامة الارصفـــة (اللوحة ٧) وارصفة المرفا ترتفع عـــن الماء على مستوييـــن : المستوى الادنى ، وهو المرسى الفعلى الذى ترسو عنده السفن وتربط حبالهـــا فى كتل الحجر التـــى بجداره الخلفى ، والرصيف الاعلى ويرقى اليه بمجموعات من السلالم من الرصيف الادنى وتوجد بـــه مستودعات البضائـع والمبانى الاخرى الخاصة بالميناء . وفـــى طرف الميناء الشمالى توجد اثار بـــرج مربـع أو سمافور برج الاشارة بداخلـــه سلم ، وآثار معبد صغير بالطراز الدورى (١٢) حـــــول فيمـا بعـــــد الى كنيسة . ويقوم المعبد فوق قاعــدة مدرجة تواجه الشمال وتمتد قاعدته بداخله من الامام الى وســط المبنى بحيث تصبح قاعدة للهيكل . ويقطع هذا المبنـــــى البسيط المستطيل الشكل جدار يقسمه الى حجرة مربعة ومدخل على جانبيـــه عامودان بالطراز الدورى اوبجانبيهمـــا اعمدة رباعية الاضلاع تتاخم الـــجدران

الجانبية من الداخل . ويحلي مدخـــل المعبد افريز دوري مزخرف بافريزميتوب وتريجليف (١) ينطلق اعلى المعبد كلـه . وهذا الافريز، مع كتل الحجر (الاورتوستات) المكعبة يجعلان المعبد قريب الشبه بالجدار المحيط بالفوروم من الجهة الشمالية (ص ٦٥) وتزدان القاعدة الهرمية باعلى المدخـــل بنحت بارز لاكليل من فروع الشجـــر تنساب منه شرائط تتموج في الـهواء . وبعد البوابة يوجد باب واحد يؤدى الـى حجرة بمؤخرتها رف لتمثال او تماثيـــل الالهة . اما الاله الذى خصص له المعبـد فغير معلوم . وبجنوب المعبد يمتد خط طويل من المستودعات خلف رواق معمد . وبمحاذاة الحافة الخارجية من المرفا توجد آثار الجدار البيزانطى الـذى استعملت في بنائه مواد كانت مستعملة من قبل .

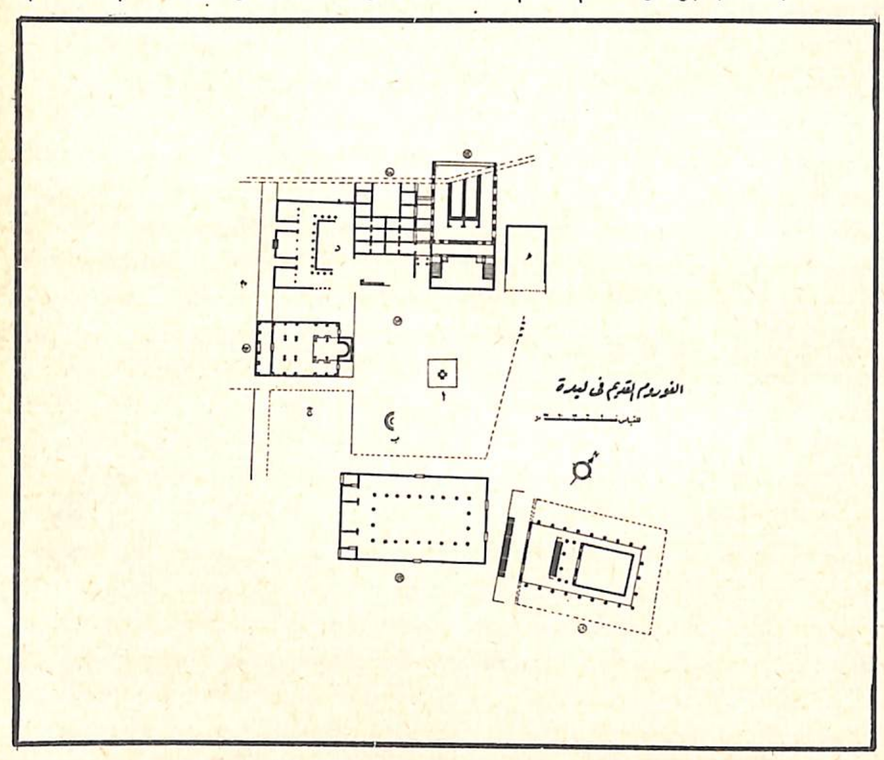
ان الناحية الجنوبية من المرفأ لم ينقب عنها الا جزئيا ويجدر بالزائر ان يمر بها عند زيارته لحلبة السباق circus (ص ٨٣) ويرد وصفها هنا حتى تكون الصورة كاملة . ان اهم ما يوجد بتلـــك الجهة معبد كبير (١٣) لم يكشف منـه الا الدرج الامامى والمدخل وقد وجد امـام المعبد هيكل للاله السورى جوبيتـــــر دوليكينوس Jupiter Dolichenus ويوجد امتداد طويل مـــن سلم يمر عند أسفل سلم المعبـد يشير الى الحـــدود الخلفية للرصيف الحنوبى الغربى الـذى كان عرضه يصل الى عشرين مترا في تلك البقعة ثم يضيق بامتداده الى الشـــــمال الغربى .

وعندما يرجع الزائر عبر فم المرفأ ويسير علـــى الارصفة الشماليـــة يصـــل الى رواق حجـــر الجيـــر المـذكور أعلاه ، يجد نفسه عند طريق ضيق يتجه يميـــنا الى منطقة الكوريا (١٤) Curia (مجلس شيوخ البلدية) وهى منطقة لم ينقب عنها بعد . وترتفع الكوريا فـــوق ساحة مستطيلة تولج من الطرف الجنوبى الغربى بسلم عريض تقسمه قواعد ويحيط بخلفه وجانبيه رواق مرتفع باعمدة مـــن الحجر الرملى . اما الكوريا بالـــــذات فعبارة عن مبنى مستطيل شبيه بالمعابـد وتستقر فوق قاعدة بها سلم امامى فقـــط ويتكون الرواق من ستة اعمدة كورنثيـة بسيقان من الشيبولينو اربع منها اماميـة وواحدة خلف كل من اعـــمدة الزوايا . وتؤدى ثلاثة ابواب الى حجرة ما زال بها اثار السلم العريض المنخفض حيث كانت توضع مقاعد القضاة . وغالبا ان تاريـخ هذا المبنى يرجع الى القرن الثانى ب. م.

---

(١) الميتـــــوب رســـم بداخـــل مســـاحة مربعـــة والتريجليف مساحة تتوسط اثنين من الميتوب قد تحمـــــل نقشا عميقا لخطوط مستقيمة او قد تترك عارية ، ويتكرر هذان النموذجان الواحـد تلو الاخر بطول الافاريز ذات الطـــــراز الدورى . (المترجمة)

وغرب الكوريا مباشرة نجد الفوروم القديم ـ ١٥ ـ وهو مركز نشاط المدينه (مخطط ٦) والفوروم القديم مساحة مكشوفة رباعية الجوانب مستطيلة فى الاتجاه الجنوبى الغربى لكنها بالجهة الشمالية الشرقية تنحرف الى زاوية حادة نحو الشمال · وفى وضعه الحالى يرجع تاريخه الى بداية العصر الامبراطورى: ويمكن رؤية آثار للتبليط الذى تم فى عهد الامبراطور اغسطس ، فى الركن الشمالى حيث يوجد المعبد الشمالى هـ - E الصغير بالفوروم الذى لا زالت بعض حجارته تحمل آثار كتابة بالبرونز المطعم باسم نائب القنصل كالبورنيوس بيزو (عام ٥ ق· م·



المخطط ٦ : الفوروم القديم بمدينة لبدة

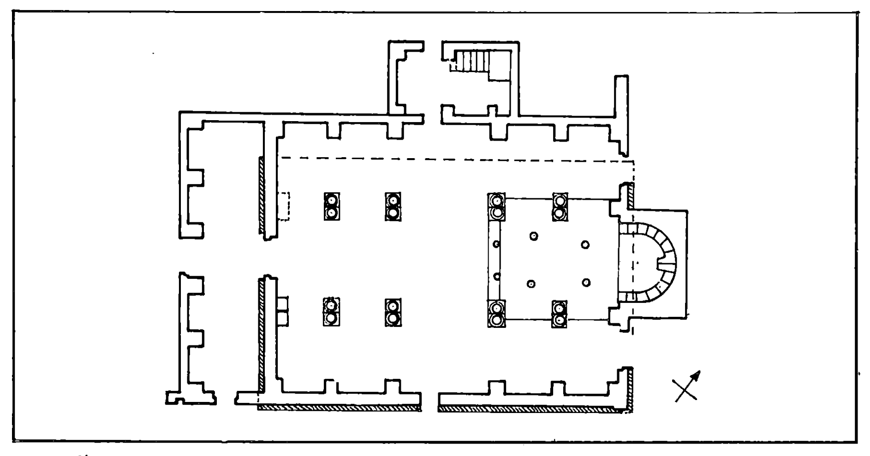
الى عام ٢ب·م·) ومع ذلك فالجزء الاكبر من الارض المبلطة يرجع الى عام ٥٣ـ ٥٤ ب·م· الذى شيدت اثناءه الاروقة بالجوانب الشمالى الشرقى ، الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى · وتشير نقوش باللغة اللاتينية ، والفينيقية الحديثة وهى واحدة من أربعة نقوش كانت على واجهة معبد روما واغسطس (١٩) ، تشير الى ان رجلا يدعى كايوس بن هانو Caius son of Hano دفع نفقات

تلك الاصلاحات تمجيدا لحفيده • وفي وسط الفوروم يوجد حوض بيزانطي للتعميد أ - A متصل بكنيسة الفوروم القديم (١٧) ، وبالجنوب يوجد منحنى صغير نصف دائرى من العصر السفيرى ب - B وبمواجهة الشمال الشرقى يوجد المنحنى تعلوه تماثيل كان يهيىء للمواطنين مقاعد ظليلة • وامام المنحنى على الارض يوجد رسم لرقعة للعب tabula lusaria .

كان يحيط بالفوروم معابد المدينة ومبانيها الرئيسية فبالجنوب الشرقي نوجد البازيليكا القديمة (١٦) التي كانت مقرا للمحكمة وللمصارف المالية • والتخطيط الاول الذى وضع قبل عام ٥٣ ب • م اتلفته الصواعق الى حد بعيد وكان ذلك غالبا في اواخر القرن الثالث • ومع ذلك فاعادة بنائه في عصر قسطنطين عام ٣١٢ كانت مطابقة للتخطيط القديم للمبنى • والبازيليكا عبارة عن بهو مستطيل يولج اليه من مدخلين رئيسيين بالطرف القصير الشمالى الشرقى او من مداخل ثانوية بوسط كل من الجانبين الطويلين • ومن الداخل كان صف من الاعمدة يقسمها الى مستطيل رئيسى يتوسط البهو الاصلى واربع اروقة جانبية • ويحتمل ان البهو كان أيضا يضاء بقمريات في سقفه • وفي طرف الجناح الجنوبى الغربى توجد ثلاث قاعات مستطيلة كانت مقرا للقضاة وكان يوصل القاعتين الجانبيتين بالخارج مباشرة طرقات صغيرة بالركنين الغربى والجنوبى وكانت أرض البازيليكا مبلطة بالرخام ، اما اعمدة الرخام الرمادية ، ذات التيجان الكورنتية - التى اقيمت ثانيا - فيرجع تاريخها الى عهد اصلاحات قسطانتين • كانت الاعمدة الاصلية التى من حجر الجير اكبر حجما وعلى ابعاد تختلف عن سابقاتها • واثناء الاصلاحات ملأ البناؤن الفجوات التى كانت القواعد القديمة مثبتة فيها بفسيفساء خشنة من الرخام •

وبالطرف الجنوبى من الضلع الجنوبى الغربى بالفوروم توجد اثار معبد صغير دشن باسم الام الكبرى كيبلي Magna Mater, or Cybele الالهة الفريجية وهو مستقر في ساحة خلف مدخل الفوروم • وبجانب المعبد ، بالجهة الاخرى من الكاردو ، نجد كنيسة الفوروم القديم (اللوحة ١٧) التي حلت محل تراجان وادمج فيها جزء كبير من قاعدته البارزة المنحوتة ، وعناصر اخرى متعددة ، من المبنى القديم • وتتبع الكنيسة مخطط البازيليكيا (مخطط ٧) • يقسمها صف من الاعمدة بالطول الى صحن واجنحة ، وتنتهى في الشمال الشرقى بمنحنى نصف دائرى من الداخل لكنه على شكل مستطيل من خارج المبنى • والاعمدة التى في صحن الكنيسة تتكون من أربعة أزواج كورنتية بدعائم من الجرانيت الرمادى ، تتقابل بزوايا قائمة تجاه محور المبنى الطويل ، و قبالة كل زوج من هذه الاعمدة يوجد عامود الخراسانة رباعى الاضلاع ملتصق بالجدار • وكانت الفواصل الوسطى التى بين اعمدة صحن الكنيسة وجناحيها اطول من فواصل الاجنحة اذ كانت تعادل عرض الصحن تقريبا • واذا كان السقف مقببا ، كما توحى بذلك الاعمدة المزدوجة والاعمدة الرباعية الاضلاع فأغلب الظن انه كان على هيئة قبتين كبيرتين مستطيلتين تتقاطعان بزوايا قائمة وتغطيان صحن الكنيسة والفواصل الوسطى بكلا الجناحين اما

الفواصل الباقية بالاجنحة الجانبيـــية ، فكانت فى تلك الحالة مسقوفة باربع اقبية ادنى ارتفاعا مستطيلة ، بموازاة المحـــور الطويل · ويستقر الهيكل تحت قبة صغيرة ترتكز فوق أربعة أعمدة قائمة على مسطبة تمتد بين فاصلين بصحن الكنيسة ، ووضع



المخطط رقم ٧ ـ كنيسة الفـــوروم القديم بمدينة لبدة (استعملت لها الجدران التى كانت بالمبنى القديم)

الهيكل فى صحن الكنيسة طابع تتسم به كنائس ما قبل العصر البيزانطى فـــى طرابلس · وكان للكنيسة خمسة ابـــواب واحد على كل جانب من المنحنيات ، وواحد بوسط كل من الجدران الجانبية ، وواحد فى الطرف الجنوبى الغربى · ويؤدى هذا الباب الاخير الى مدخل مسقوف (نارتكس narthex اقيم فوق شارع كان موجودا من قبل وكان يمتد بعرض الكنيسة كلها · وسقف هذا المدخل فى الغالب على شكل قبة وله باب يقابل باب الكنيسة وباب اخـــر بالطرف الجنوبى الشرقى · ويفتح بـــاب الكنيسة الشمالى الغربى على دهليـــــز مستطيل بـــه سلم يرقى منـــه الى حجرة

وبخارج الكنيسة ، عند شمـــــــال المنحنى مباشرة ، توجد مقبرة مسيحيـــة صغيرة بها شواهد قبور : واحد لطفلة فى الثالثة من عمرها تدعي ديميتريا ، وأخرى جوليانا عمرها سنة واحدة وثالث لسامباس وعمره ثمانى سنوات وثلاثتهم ابـــــناء ستيفانوس حاجب الكنيسة وقد توفـــى الاطفال الثلاثة خلال ايام متقاربة ، غالـــبا بسبب وباء · وتوفى لذات الرجل طفـــل اخر يدعى اونجينوس لم يعش الا اسبوعا واحدا ، وطفلة عمرها عاما واحدا اسمها أنا ، دفنت بداخل الكنيسة ؛

فى الزاوية الغربية بالفوروم يوجد رواق بثلاثة جوانب ، ارضه مبلطة بالرخـــام ، يرجع لمنتصف القرن الثانى د - D و ثلاث قاعات داخلية صغيرة تفتح علـــى جانبه الجنوبى الغربى ويشتمل الـــرواق على مقدس مدشن باسم الامبراطـــــور انتونيوس بيـــوس Antoninus Pius (١٣٨ ـ ١٦١ ب·م·) اما الطـــــرف

الشمالى الغربى بالفوروم فيوجد به ثلاثة معابد متراصة بجانب بعضها وفى اقصى الطرف الجنوبى يوجد معبد ليبرباتر Liber Pater (١٨) وهو أقدم المعابد الثلاثة ، يرجع تاريخه الى عهد الامبراطور اغسطس على الارجح ولم يتبقى من اثاره الا مصطبته المرتفعة وأسفل السلم الذى كان يقود الى مدخله . وكانت تلك المصطبة اشبه بحوض كبير به اساس صلد تحيط به من الواجهة والجوانب سلسلة من حجرات مفتوحة على بعضها ، منها ما يستعمل حوانيت (تابيرنيه) تطل على الشارع . أما قاعة المعبد (التشيللا) فكانت قائمة على الاساس الصلد ،ويمكن رؤية بقايا من الرخام الذى كان يبلط أرضها . أما الاعمدة التى كانت تحيط بالمعبد ولعلها كانت من صفين وربما كانت من ثلاثة صفوف عند الواجهة وصف واحد بالجوانب فكانت قائمة فوق جدران الحجرات .وقد قطع السور البيزانطى ظهر المعبد ، والسور بتلك الناحية يتجه الى الشمال الشرقى ناحية البحر . وكان المعبد اصلا مبنيا بحجر الجير لكن الجزء المرئى المتبقى منه كان قد اعيد بناؤه ، بالرخام فى اواسط القرن الثانى .

فيما بعد ربطت مصطبة معبد ليبرباتر بمصطبة معبد روما واغسطس المجاور له باقامة منصة ترتفع على اقواس مبنية فوق الطريق الذى يفصل بين المعبدين ، ومن الواضح ان قرار اقامة هذه المنصة اتخذ بينما كان العمل قائما فى بناء معبد روما واغسطس لان اقرب قوس للفوروم مغروس بالمصطبة بينما الاقواس الاخرى كانت ترتكز عليها فقط لذلك كانت تحجب الى حد ما النوافذ الصغيرة التى تضيىء داخل المعبد ، امـا الممر بالذات فقد سده السور البيزانطى. ويخترق هذا الاخير باب يؤدى الى برج مربع يبرز من خارج الجدار . والغرض من اقامة البرج حماية بوابة مقعودة بجانبه مباشرة بالجهة الشمالية الشرقية (بداخل القاعدة المهدمة لمعبد روما واغسطس). وارتفاع هذه البوابة الى ما فوق التبليط الذى يرجع الى المائة الاولى ب.م. يدل على درجة ارتفاع مستوى الارض عما كان عليه ابان العصر البيزانطى .

معبد روما واغسطس (١٩) تم تدشينه فيما بين عام ٤١ و١٩ ب.م. وكان مشيدا فى اول الامر بحجر الجير مثل معبد ليبرباتر الا ان واجهته حليت بالرخام فى القرن الثانى ، وكان مشيدا فوق مصطبة مرتفعة تمتد الى الامام على مستوى منخفض قليلا بحيث تكون مصطبة امامية او منصة للخطباء تشرف على الفوروم . وكان الوصول الى تلك المنصة rostrum عن طريق مجموعتين من السلالم تختفيان فى مداخل بجانبى المصطبة . ومن خلفها يوجد سلم عريض يوصل من المنصة الى مدخل المعبد . ونجد ذات النظام بالمعبد الذى اقامه قيصر للالهة فينوس جينيتريكس Venus Genetrix فى فوروم جوليوم فى روما ، وكان فى الغالب مصدرا لوحى

الفنان في لبدة • وفي اطراف جوانب المنصة توجد ابواب كانت تؤدى الى داخل المصطبة وهذه الاخيرة تنقسم الى عدد من القاعات ترتفع جدرانها من اساس المبنى • وقدهدم الجزء الاكبر من المصطبة حتى يمكن مـد السور البيزانطي الذى يتجه بانحـراف طفيف من الركن الشمالي بالمعبد – الـذى احتواه السور – الى بقعة في ركنه الغربى الذى ادمج في البرج البيزانطي السابـق ذكـره •

والمعبد مشيد على الطريقة الايطالية، له اعمدة بالواجهة والجوانب فقط ، وجدار بخلفه يمتد بعرض المصطبة كلها والاعمدة الاصلية كانت جميعها بالطراز الايونى من حجر الجير • وفي الزاويتين الاماميتيـن تحل محل الاعمدة التقليدية دعائم مربعـة ترتكز عليها أعمدة نصف اسطوانية مرتبطة بأوجهها الداخلية ، وحلت محل الاعمـدة التى بالزاويتين الاماميتين • وكان أحـد الاعمدة النصف اسطوانية قد ربـط بالجدار الخلفي في الطرف الخلفي مـن الجوانب • وفي القرن الثانـي ب•م• استبدلت كافة الاعمدة الفردية التى مـن حجر الجير ، وقاعدتا الزاويتين العاليتين، بأعمدة رخامية ، لكن احتفظ بالاعمـدة النصف اسطوانية التى خلف الاعمـدة الجانبية لانها كانت جزءا من الجـدار الخلفي ولعلها غلفت بالستوكو حتـى تتمشى مع المظهر العام للمبنى • وبالرغم من انهيار الجدار الخلفي ، فان هذيـن العامودين النصفيين هما كل ما تبقى من المبنى (محليا in situ) وتوجد نقوش طويلة باللغة الفينيقية الجديدة علـى العرضة التى كانت ترتكز فوق باب قاعة المعبد (نقلت الى الفورم) تشير الى ان المعبـد تم تشييده أثناء حكم الشوفيت بعليـاتون وبودملكـارت وبـه تماثيل للالهة روما ، والاباطرة اغسطس وتيبريوس ، وليفيا وأفراد آخرين مـن اسرة يوليوس كلوديوس Julius Claudian family وقد إكتشفت بقايا لتلك التماثيل بالقرب مـن المعبد مباشرة توجد حاليا بمتحف طرابلس •

ويربط جسر اخر بين معبد رومـا واغسطس ومعبد اصغر يقع بشمالـه هـ – E ولعله أقيم في عهد نائب القنصل كالبورنيوس بيزو عام ٥ ق•م الى ٢ ب•م اذ يوجد نقش باسـمه على لوحة مثبتـة بالارض امام المعبد •

وبعد أن يترك الزائر الفوروم القديم عن طريق الكاردو ويسير بين معبد (الاه الكبرى) Magna Mater (والكنيسة، يجد نفسه امام البوابة البيـزانطية (٢٠) وهى من اجود بوابات المدينة البيزانطيـة حالة • والبوابة فردية ، عالية ، يحـف جانبيها برجان مربعـان ملاصـقان للواجهة الخارجية من الجدار ويولج هذان البرجان من مداخل بأقواس خارج السور ، وبالقرب من البرج الجنوبى اثار سلالم تـؤدى الى المتاريس باعلاه • وقد دخلت فى بنـاء البوابة مواد مستعملة قبلا وكان من ضمنها

كتل تحمل نقوشا ، بمـا في ذلك أجزاء من كتابة تشير الى تدشـين صرح ، أغلب الظن انه قوس من عهد فسبازيان وقد تـم تجميع هذه النقوش على الارض بالقرب من هذه البقعة ·

ويسير الزائر بعد ذلك على الكـاردو من البوابة البيزانطية حتى يجد السـوق (٢١) على يمينه · وقد شيد السوق مواطن ثرى يسمى حنوبعل روفوس عام ٨٩ ق· م· وادخلت على السوق بعد ذلك تعديـلات كثيرة فكان في الاول يتكون من مساحـة مستطيلة مكشوفة يحيط بجوانبها الاربـع أروقة يتخللها كشكان (تولوس) tholos ومدخلها الرئيسى فى وسط الجانب الاطول الجنوبى الغربى ، اما الجدار الجنوبـى الشرقى فكان على هيئة اروقة مفتوحـة تتكون من اقواس صغيرة وكبيرة بالتوالى وبعد وقت وجيز من انشائه ادمج فى شارع يتبع تخطيط مختلف وضع خصيصا للمدينة النامية ، لذلك امتلأ الفـراغ المكون من المساحات ذات الجوانب الرباعية غيـر المنتظمة التى تجمعت من الفارق بين سور السـوق والشـوارع التى تحـده من الشمال الغربى ، والشمال الشرقـى ، والجنوب الشرقى ، امتلأت تلك المساحات بالحوانيت (تابيرنيه) · اما الشارع الذى يحد السوق من الجنوب الغربى ، فقـد تحـدد اتجاهه مراعاة لواجهة السـوق · أخيرا ، فى العصر السفيرى فتحت بوابة رئيسية جديدة بالجنوب الشرقى مـن السوق بمنتصف الحوانيت التى بهـذا الجانب وفى ذات الوقت حول جزء من خط الحوانيت المتاخمة للسور من الشمـال الشرقى الى بهو ضيق يفتح على ظهـر الرواق الشمالى الشرقى خلال أعمدته ·

كانت الجدران المحيطة بالسـوق مبنية بحجـر رملى مملط · ويوجـد امتـداد من الجدار الجنوبى الغربى ، اعيد بناؤه يحمل ترجمة منقوشة باللغة اللاتينية للتدشيـن الذى قام به حنوبعل روفوس السالـف ذكره · كان المدخل الاصلى للسوق عبارة عن فتحة بقوس تحـمل كادوسيـوس اى شارة عطارد اله التجارة ، منحوتة على حجر الزاوية بالقوس · ولكن عندما فتـح المدخل الجديد بالجنوب الشرقى مـن السور اغلق المدخل الاصلى والباب الصغير الذى كان بجانبه ، وحلت بدلا منهمـا مداخل باقواس على جانبيها اعمدة ايونيـة رباعية الاضلاع ما زال واحد منهما قائمـا بالقرب من طرف الجدار الجنوبى · فـى ذات التاريخ أعيد طلاء السور بأكمله بطبقة جديدة من الملاط (الستوكو) اختفت تحتها النقوش الاولى · كذلك يمكن ملاحظة طبقتين من الستوكو بواجهة السور الداخـلية ، وتحمل الطبقة الاخيرة اثار لرسم بالالوان يمثل كوبيد وتيجانا مجدولة ·

وفى الجهات الاخرى مـن السـوق تهدمت المعالم كلها فيما عدا الاساسـات السفلى · وقد اعيد بناء جزء مـن الاقواس التى كانت تحيط بجنوب شرق السـوق·

وخلف القوس الاوسط توجد اثار الدهليز السفيرى العريض الذى يودى بسلم لى الكاردو · وفي الشمال الشرقى يوجد سلم لثلاثة مداخل ، يؤدى اثنـان منهمـا الى الاضافات المعمارية السيفيرية خلف الرواق الاصلى الشمالى الشرقى · اما المدخـل الثالث فيقع بأعلى درج على هيئـة زاوية قائمة احد اضلاعها اطول من الثـانى ، وكان المدخـل يفتـح عـلى كل الاروقة بالذات · وبالطرف الجنوبى للاضافـات المعمارية السيفيرية على السـلم يرتفـع عامود وحيد بتاج من طراز غير عـادى (لعله فينيقى) ·

وما تبقى من اعمدة المدخل كانت علـى الطراز الكورنتى بسيقان من الجرانيت الرمادى وترجع للعهد السيفيرى · وكـلا الكشكين مبنى بحجر الجير ولكن فـى العصر السيفيرى عندما نقل المدخـل الرئيسى الى الجنوب الشرقى ، اعيد بناء التولوس (الكشك) الجنوبى الشرقـى بالرخام · ويتكون كل من الكشكين من جدار دائرى يحيط به رواق مثمن يستقر علـى قاعدة منخفضة مدرجة وتخترق الكشـك منافذ عالية باقواس مجهزة بعتبات عاليـة عريضـة تصلح لعرض السـلع · وأعمدة الرواق المثمن قواعدها على هيئة قلـب وتلتصق الاعمدة النصف اسطوانية عنـد الزوايا · وغالبا ما كانت جميع اعمـدة التولوس المقام بحجر الجير على الطـراز الايونى ، اما التولوس الرخامى فكانـت أعمدته النصف اسـطوانية ايونيـة ، لكن تيجان اعمدته الفردية كانت مزدانة بزهـر اللوتس والاكانتوس طبقا للنمط المتبع فى المبانى السيفيرية الاخرى وترتكز سقـف الاروقة فوق عروق خشبية يمكن مشاهـدة الفجوات التى كانت مثبتة بها فى بـدن الكشك الحجرى ·

وما زال عدد ملموس من دكاك العرض بالسوق قائما والحوانيت التى بيـن الكشك الحجرى والاعمدة تحمل اسمـاء المحتسبين aedlles (ص ٣١) ويحمل واحد منها كشفا للمكاييـل والمقاييس · وبخلف الرواق الجنوبـى الشرقى يوجد صف من دكاك العرضـ الرخامية الانيقة ، وبالقرب من الكشـك الحجرى توجد قاعدة لتمثال مبنية عـلى هيئة قوس باربع بوابات تحمل نقشـا بارزا لسفينتين تجاريتين وقد استبدلـت الكتابة القديمة التى كانت فوق القاعـدة باخرى من القرن الرابع احتفالا بصناعـة مجموعة عجلات تخليدا لشخص يدعـى بورفيروس سـبق ان اهدى أربع فيـلة حية للمدينة ·

وعندما يعود الزائر الى الكاردو يجـد نفسـه مباشرة أمام قوس تيبريوس (٢٢) الذى يبرز تجاه الركن الجنوبى مـن السوق · والقوس بسيط الشكل مشيـد بحجر الجير لا يزدان الا بتاج منحـوت وتشير نقوش مكررة على كل جوانبه الى

أن القوس شيد بمناسبة تبليط جميع شوارع المدينة ابان حكم نائب القنصل س · روبليوس بلاندوس (٣٥ ـ ٣٦ ب· م·) وتذكر النقوش أيضا أن التكاليف اخذت من ريع اراضى استردها نائب القنصل لصالح المدينة وان شروط التعاقد مع صاحب ارخص عرض انجزت باشراف م· اتريليوس لوبركوس مندوب نائب القنصل · ولعل الاراضى المذكورة كانت مما استولى عليه الجرمانتيون ابان ثورة تاكفاريناس · واكتشفت ايضا بقايا قوس ثان فى الشارع شمالى الرواق مباشرة ، خلف المسرح وتحمل هذه البقايا نقشا يطابق النقش الذى بالقوس الاول مطابقة حرفية ·· ولا شك ان القوسين شيدا عند حدود المنطقة التى تم تبليطها (حديثا) فى ذاك الوقت ·

واذ يستمر الزائر فى السير بالكاردو بعد قوس تيبريوس ويتجه للجنوب يصل الى قوس تراجان Arch of Trajan (٢٣) وهو من احدث المبانى التى اقيمت كلها بحجر الجير بالمدينة وهو كذلك من اكثرها اناقة (لوحة ١٢) يقوم القوس فوق مفرق طرق ، له أربع جوانب وممران للعجلات يتقاطعان بزوايا قائمة وجوانب متساوية الطول · وعلى جانبى كل فتحة يقف عامود مخدد فوق قاعدة مرتفعة تبرز من دعامة بجانبهما ، ويحمل العامود فوق تاجه الكورنثى امتدادا يرتكز فوق واجهة القوس اما بالداخل فتقف اربع اعمدة فردية ، واحد بكل ركن ، تحمل على رؤوسها قبة متقاطعة فوق ممر العجلات ويرجح أن بومبونيوس روفوس قام عام ١٠٩ـ١١٠ ب·م بتدشين القوس عندما رفع الامبراطور تراجان المدينة الى مستوى مستعمرة (ص ٣٠) ·

ويتصل قوس تراجان عند الزاوية الشمالية الشرقية بالكالكيديكوم (٢٤) برواق طويل يمتد من خلفه فضاء تحيط به اروقة ، ولعله سوق اخر · وكل من الكالكيديكوم والاروقة كان مبنيا على نفقة ايديبعل كافادا اميليوس ، وتم التدشين عام ١١ و ١٢ ب ·م) وكان الكالكيديكوم عند انشائه مشيدا بحجر الجير لكنه حلى بعد ذلك بالرخام · وارتفعت اعمدة الاروقة الى اعلى من مستوى الشارع وتوجد فى وسطها مصطبة بامتداد اربع اعمدة طولا واثنين عرضا ، يحف بها سلم عريض يوصل الى الداخل · وما تبقى من الاعمدة كانت سيقانها من الشيبولينو وتيجانها كورنثية ويرجع عهدها الى القرن الثانى او اوائل القرن الثالث ، لكن العرضة السفلى الاصلية المصنوعة من حجر الجير والتى تحمل ثلاثة نقوش بقيت بدون تغيير · والنقوش التى فى الوسط ، فوق الاعمدة البارزة تسجل اهداء الكالكيديكوم الى الامبراطور اغسطس· أما الموجودتان بالطرفين فتسجلان مكارم اديبعل بالتفصيل وخلف الاعمدة البارزة على هيئة مدخل كان بجدار

الكالكيديكوم الخلفى صف من الحوانيت فى وسطها كوة صغيرة لعلها كانت للالهة فينوس الكلكدية Venus Chalidica التى ورد اسمها فوق قاعدة لـتمثال اكتشفت بالقرب من الكوة ٠ اما الفراغ الذى بخلف الكالكيديكوم فيحيط به رواق من صفين لاعمدة بحجر الرمل ، الصف الاول بالطراز الايونى والصف الداخلى بالطراز التوسكانى والجنوب الغربى من هذا الرواق ادمج فيما بعد فى صهريج لبير لتخزين الماء ٠

بالجنوب الغربى من هذا الصهريج يمر شارع يقود الى المسرح (٢٥) وتدين لبدة الى حنوبعل روفوس باقامة هذا المسرح الذى تم تدشينه بين العامين الاول والثانى ب٠م وهو ذات الشخص الذى أقام السوق (ص٧٦) ٠ ويتكون المسرح من نصف دائرة مدرجة (كافيا cavea) للمتفرجين ترتبط بمبنى منصة التمثيل ويرتفع المبنى الى مستوى الكافيا ٠ وتزدان هذه من الخارج باعمدة رباعية قائمة على قواعد بسيطة المظهر اما جدارها فلا يوجد به الا سلسلة من البوابات المعقودة بمستوى الارض وتقود بعض تلك البوابات الى سلالم وممرات فوميتوريا vomitoria تؤدى الى مقاعد الجلوس ، وتقود الاخرى الى حجرات معقودة شبيهة بالمنحنيات كانت غالبا تستعمل لتخزين ادوات المسرح ٠ وفى طرفى نصف الدائرة ، بالقرب من منصة المسرح يوجد مدخل يؤدى الى الاوركسترا عبر دهليز بسقف طويل مقبى ٠ conformicato

مقر الاوركسترا « لوحة ١٣ » عبارة عن نصف دائرة يحيط بها سلم منخفض كانت تعلوه مقاعد للاعيان من المتفرجين ٠ وتوجد نقوش منحوتة على الحاجز المحيط بالاوركسترا وتتكرر النقوش على هيكل من ثمانى أضلاع مستقر بوسط السلم ، مسجلة ان كلا من السلم والهيكل (وربما الحاجز أيضا) كانت هدية من شخص يدعى كلوديوس سستيوس Claudius Sestius عام ٩١ — ٩٢ ب٠م ٠ وترتكز الصفوف السفلى من الكافيا فوق منحدر طبيعى بالارض ٠ الصفوف الوسطى تقوم على جسر من التراب والحجر اما الصفوف العليا فتستقر فوق اساس ضخم من الخرسانة والاقبية وقد شيدبعضها بمهارة ٠ وتنقسم المقاعد افقيا الى ثلاث مناطق بواسطة ممشيين وعموديا بسلالم بحيث تصبح تلك المقاعد مقسمة الى وحدات ضيقة القاعدة منفرجة القمة ٠ واختصر جزء من مقاعد طرفى المنطقة السفلى لايجاد مخرج من الاوركسترا وقد سجل باللغتين اللاتينية والفينيقية الحديثة على جوانبها سجل ذكر الكرم المجيد لحنوبعل روفوس Annobal Rufus كان الممر السفلى يولج من خمسة (مخارج) فوميتوريا تؤدى الى الشارع مباشرة وعند اخر طرفى المنطقة الوسطى حل محل المقاعد السفلى منصة

وعلى المنصة التى بالطرف الشمالى الغربى نقوش تسجل ذكرى اهداء المنصة من نائب القنصل كانينوس جالوس Caninus Gallus وثمة نقوش اخرى وجدت باعلى الكافيا واعيد تجميعها فوق المقاعد السفلى تسجل اهداء من سوفونيبعل Sophonibal ابن حنوبعل روسو Annobal Ruso الى الالهة سيريس أوجستا Ceres Augusta ويرجع تاريخ الكتابة الى عام ٣٥ - ٣٦ ب٠م ويبدو انها تشير الى هيكل صغير كان باعلى مقاعد المنطقة العليا ٠ وحول قمة الكافيا ، خلف اعلى صف من المقاعد ، يمتد رواق ، وما تبقى من اعمدته ذات السيقان الشيبولينو والتيجان الكورنتية ، التى يعود عهدها الى العصر الانطونيني ٠ وتحت الرواق دهليز داخلى يولج من الشارع ويوصل الى اعلى صفوف للمقاعد ، وما زالت اجزاء من هذا السلم سليمة ٠

كانت جوانب منصة المسرح pulpitum تحجبها عن النظارة حواجز من الحجر تنتهى بتماثيل تمثل ديونزيوس وهرقل الالهين الحاميين لمدينة لبدة ، وبموازاة مقدمة منصة المسرح توجد سلالم وكوى تحتوى على تماثيل للالهة كان يحلى

الجدار الخلفى scaenae frons بالمسرح ثلاث انظمة من الاعمدة تعلو بعضها بعضا بها ثلاث منحنيات كبيرة نصف دائرية فى كل واحد منها مدخل بارز معمد وغالبا ما كانت الاعمدة فى اول الامر من حجر الجير ثم استبدلت باخرى كورنتية من الرخام ابان حكم انتونينوس بيوس (١٣٨ - ١٦١ ب٠م) وفى ذات التاريخ غلف الجدار الخلفى ايضا بالرخام ٠ وجاء ذكر تلك التحسينات على واجهة دعامة نظام الطابق الاول من الاعمدة ٠ وبجانبى المسرح كان يوجد باجنحته (كواليسه) ابواب تؤدى الى حجرات استبدال الملابس ويمكن مشاهدة خندق تحت المسرح كان يسدل فيها الستار عند البدء فى التمثيل ٠ والمسرح اقيم فوق ارض كانت مقبرة قديمة فينيقية ٠

خلف مبنى المسرح يوجد رواق من اربعة جوانب غير متساوية porticus post scaenam له اعمدة كورنتية من الجرانيت الرمادى وجدران مبطنة بالرخام ويحتوى الرواق على معبد صغير للاباطرة الذين الهوا deified أقامه ايديبعل تاپابيوس Iddibal Tapapius احد افراد اسرة حنوبعل روفوس الثرية وكرسه ك ٠ مارشيوس باريا Q. Marcius Barea نائب القنصل عام ٤٣ ب٠م وما تبقى من اعمدة الجرانيت والرخام الذى يكسو الارضية يرجع الى القرن الثانى ٠ وضمن قواعد التماثيل التى اكتشفت فى المدخل المعمد واحد يحمل اسم سبتميوس اجريبا الممثل (ص ٣٤)٠

واذا مضى الزائر فى الشارع المتجه من الجانب الغربى للمسرح الى الجنوب الغربى والموازى للكاردو الرئيسى ، يصل الى الدكومانوس الرئيسى • وبعد أن يعبره بحوالى مائتى ياردة تجاه الغرب يجد البوابة الغربية (٢٦) وكانت هذه فى النصف الاول من القرن الثانى عبارة عن قوس كبير تحول فيما بعد الى بوابة محصنه فى الجدار الرومانى المتأخر • وكان القوس فى اول عهده ، بالقرن الثانى ، له ممر واحد للعجلات ، على جانبيه دعامتان ضيقتان تحملان قبة طويلة من الخرسانة ، وتلتصق بأطرافها الاربع قواعد عالية تحمل كل واحدة منها عامودا من الشيبولينو بتاج كورنثى تقابلها اعمدة رباعية الاضلاع ومخددة ، ملاصقة للدعامتين الضيقتين كانت بوابة القوس مكسوة بالرخام ومزدانة بنحت بارز • وقد نقل الى متحف طرابلس جزء من احد اركان تاجه الهرمى يمثل الهة النصر وجزء من درع عليه رأس ميدوزا Medusa لعله كان يعلو لوحة داخلية فى القوس وفى التحصينات الرومانية المتأخرة أصبحت فتحته الغربية بوابة وعدل خط الجدران بحيث يبقى الممر الباقى من القوس بارزا فى ساحة داخل السور وعلى جانبيه برجان لحمايته • وقد استعملت فى بناء السور الرومانى المتاخر مواد سبق استعمالها ، لذلك يحمل امتداد السور الذى بجنوب البوابة الغربية مباشرة بقايا معمارية كثيرة اخذت من صروح جنائزية مجاورة •

بعد ذلك يعود الزائر من البوابة الغربية عن طريق الديكومانوس حتى يصل الى قوس سفيروس ، ثم الى مدخل الحفريات أو يواصل السير اذا أراد حتى يصل الى حمامات الصيد • وفيما يلى وصف لها •

آثار بضواحى المدينة

ان ما يسمى بحمامات الصيد هو عبارة عن اثار تقع الى غرب أمكنة التنقيب الرئيسية ، فى منتصف الطريق ، بين السور الرومانى المتأخر ووادى رصيف ، على مرمى ما يقرب من مائة ياردة من البحر • والمبنى الاصلى لتلك الاثار يرجع غالبا الى اخر القرن الثانى ، ثم أدخلت عليه تعديلات ونما حجمه الى مساحة أكبر • وعندما تم الكشف عن المبنى كان فى حالة جيدة بحيث أعيد ترميمه الى أصله دون أى شك ، وهو يمثل ــ حاليا ــ نموذجا صغيرا فريدا للمبانى ذات الاقبية الخرسانية التى تميز فن المعمار الرومانى • ومثله مثل القصور والحمامات الرومانية الكبرى ، كان مشيدا بحيث يشتمل داخله على فراغ كبير ، كما يدل على ذلك التخطيط الخارجى الذى لا يتسم بالطابع الكلاسيكى •

لنصرف النظر ــ مؤقتا ــ عن المبانى الخارجية (وهى حاليا غير مسقوفة) ، وندخل بالزائر الى الجزء الرئيسى من المبنى عبر دهليز عند الفريدجيداريوم ،

وهو عبارة عن حجرة بسقف معقود طويل ومنحنيات تعلوها نصف قبة ، وبطرفى الحجرة توجد المغاطس • أما الحمام المربع الذى نعدوه قبة متقاطعة ، المطل على الشمال ، فلم يكن موجودا فى المخطط الاصلى للحمامات ، بل انه حل مكان حجرتين متجاورتين بسقف معقود موازيتين لدهليز مدخل الحمام • والنصف الجنوبى المحجزة الجنوبية كان لا يستعمل للاستحمام، وأصبح دهليزا اخر للدخول • وبوسط الناحية الجنوبية من الفريدجيداريوم منحنى به باب مسدود •

ويلاحظ فى زخرفة الفريدجيداريوم ثلاثة أدوار مختلفة • ففى أول عهده كانت الاقبية وأعالى الجدران تحمل رسما ملونا يحفه اطار من الستوكو ، بينما القباب النصفية التى تعلو المنحنيات ذات المغاطس كانت مكسوة بالفسيفساء • وتحمل فسيفساء المغطس الشرقى اثارا لحورية ترضع جديا ، ورأسا وكتفين لاحدى ألهة البحر ، ومنظرا للنيل به تمساح • وفى الفترة الثانية التى تلت بناء الحمامات اختفت الزخارف الاولى كلية تحت طبقة من الستوكو تزدان برسومات ملونة • أما أثناء الفترة الثالثة فقد غلفت الاجزاء السفلى من الجدران بالرخام ، والاجزاء العليا بصور ملونة لاشخاص ومناظر . ومن هذه الصور نجد منظرا بحالة جيدة لصيد الفهد على الجدار الجنوبى بالفريدجيداريوم ، ومنظرا اخر لصيد الاسد على الجدار الشمالى لكنه تلف الى حد بعيد • وتوجد بقايا لمناظر نيلية على جدران الحمام الشمالى وصورة نسر بالمنحنى الجنوبى •

بجنوب الفريدجيداريوم توجد حجرتان مثمنتان ، تعلوهما قبتان مثمنتان وبجنوبهما حجرتان مستطيلتان فوقهما قبة واحدة مستطيلة موازية لقبة الفريدجيداريوم ويؤدى باب بالقرب من طرف الجانب الجنوبى بالفريدجيداريوم الى المثمن الغربى • وفى حالتهما الحاضرة نجد كلا من المثمن الشرقى والحجرتين الجنوبيتين دون منفذ الى الخارج اذا ما ولجوا من المثمن الغربى ولكن فى أول الامر كان يمكن الوصول الى المثمن الشرقى مباشرة من الفريدجيداريوم خلال باب فى منحنيه الجنوبى ، أو خلال باب اخر فى منحنى بالجدار الشمالى من الحجرة الجنوبية المغربية • ويؤدى هذا الاخير الى المثمن الجنوبى ثانيا • ويظن أن الباب الموجود بين المثمنين فتح بالجدار بعد الغاء هذين البابين •

كانت الحجرتان الجنوبيتان الكلداريوم مجهزتين بحمامات ساخنة وأرضية وجدران تبث الحرارة خلال قوالب مفرغة • أما الحجرتان المثمنتان فكانتا أصلا تيبداريوم تدفأ أرضيتهما فقط ، وقد تم تحويل المثمن الشرقى الى كلداريوم ثالث بادخال القوالب المفرغة الى جدرانه ، وغالبا أنه أقيم فى عهد لاحق ، أثناء التغير المعمارى لنظام السير بداخل الحمامات واضافة فريدجيداريوم ومجموعة جديدة من الحجرات الساخنة

تفتح جميعها على المثمن الغربى ٠ وكان الفريدجيداريوم فى أول الامر صهريجا لتخزين المياه ، بارزا فى الجانب الغربى للمثمن وأقيمت مجموعة الحجرات المذكورة من خلفه الجنوبى مع ارتكازها على جدار الكلداريوم الغربى ٠ وكانت مجموعة الحجرات هذه تتكون من دهليز صغير بأرضية ساخنة وحجرتين صغيرتين جدا ، بأرض وجدران ساخنة ، أما الطرف بأقصى الجنوب فينتهى بحمام ساخن ٠

فى تاريخ لاحق أضيفت عدة مبان بسقف خشبية ، خارج الحمامات عند المبنى الرئيسى من الشمال والشرق ٠ أقيم أيضا رواق فى الجانب الشمالى من مجموعة الحمامات بمواجهة الشارع ، وكان بالرواق مدخلان يبدأ كل منهما بعدد بسيط من الدروج ٠ كان المدخل الشرقى يفتح على الطرف الشمالى من القاعة المستطيلة بداخل الحمام وكانت جدرانه مزدانة بلوحات مرسومة بجلود الحيوانات والصيادين على التوالى ، وربما كان هذا مقر رابطة الصيادين مما دفع على اطلاق هذا الاسم على الحمامات ٠ كان المدخل الغربى يفتح على الجانب الشمالى من قاعة مستطيلة يقطعها طولا الى نصفين صف من الاعمدة وأضيفت فيما بعد دكاك الى الجدران ، وبين الاعمدة ، مما يوحى بأن القاعة ربما كانت تستعمل لخلع الملابس (ابوديتيرييون) ٠

بالجهة الجنوبية من الحمامات توجد أفران ما زالت بحالة سليمة وأربع صهاريج كبيرة لتخزين الماء ٠

(حلبة السبق) السيرك circus تقع قرب البحر على بعد حوالى نصف ميل بشرق المرفأ ، ويمكن الوصول اليها دون جهد بالسيارة عبر طريق ممهد يتفرع من طريق خمس ـ مصراته الرئيسى عند جسر وادى لبدة مباشرة ، ويمتد مع الجزء الجنوبى للمرفأ (ص١٣٥) ، يرجع تأسيس السيرك غالبا الى أواخر القرن الثانى ومساحته ٤٥٠ × ١٠٠ متر تقريبا ، وهو من أكبر الملاعب المعلومة ٠ يوجد عند جانبه المستقيم الجنوبى الغربى صف من الاصطبلات (كاركارس carcares) التى يخرج منها المتسابقون ٠ مع أن هذه الاخيرة تلاشت الان ، الا أن فتحاتها المعقودة كانت قائمة فى القرن السابع عشر عندما رآها الرحالة الفرنسى دوران Durand. وبوسط نصف الدائرة الشمالية الشرقية كانت توجد بوابة كبيرة بقوس ـ بورتا تريومفاليس triumphalis ـ ذكرها دوران ـ ويحيط بباقى دائرة الملعب مقاعد حجرية كانت ترتكز فى الجزء الجنوبى فوق منحدر طبيعى ، أما بالشمال فكانت القواعد قائمة فوق أساس من الخرسانة مربوطة بالحجر ، وفى الفاصل الذى أمام المتفرجين أبواب تؤدى الى دهاليز بسقف مقبية تصل الى الخارج مباشرة أو الى سلالم داخلية تقود الى المدرج من عدة جهات ٠ وكان الحد الفاصل بالملعب يتكون من خمس أحواض spina (سبينا) ماء مستطيلة فى خط مستقيم تعلوه قواعد

منحوتة . وكان يفصل بين الحوض الثاني والثالث معبد صغير . وهذا النوع من السبينا يسمي – يوريبوسي uripus جاء ذكره في الادب والفن القديم ، لكنه لم يكتشف مثال له الا بمدينة لبدة التي تنفرد به . كانت السبينا مزدانة بتماثيل وزخارف معمارية مازالت اثارها مرئية للان وعند نقطة التحول بطرفي السبينا توجد – ميتا meta – وهي بناء صغير نصف دائري تعلوه ثلاث أعمدة مسلوبة تتوجها أقماع الصنوبر .

بجنوب السيرك نجد الامفيتياتر amphitheatre وفي المنطقة التي تقع بين الجنوب الغربي من هذا الاخير وبين طريق خمس – مصراته ، نجد اثارا لعدد من الاضرحة ومن أجودها حالة الضريح المسمى قصر الشداد ، ويمكن مراجعه (ص ١٣٦) التي يرد بها وصف أشكال من الاضرحة الطرابلسية .

على الضفة اليمنى بوادي لبدة ، جنوب طريق خمس – مصراته ، يوجد خزانان reservoirs كبيران بحالة جيدة . الاول على بعد حوالي ١٥٠ ياردة من الطريق، والثاني على بعد حوالي ضعف هذه المسافة . والخزان الاول الشمالي مشيد بطريقة مزدوجة فنيا ، بالاجر والحجارة وحجر الجير ، وهو أكبر حجما ، ويحتوي على خمس صهاريج مستطيلة بأقبية لتخزين الماء متراصة بجانب بعضها . كان يمكن الوصول الى كل واحد منها من باب في الاتجاه الغربي أي من ناحية الوادي . لكن هذه الابواب تم سدها فيما بعد لمد قناة تبدأ من الخزان الجنوبي ، والترتيب الداخلي للخزان الشمالي مماثل لترتيب الخزان الجنوبي الذي سيرد ذكره بعد قليل . ولتجميع ماء المطر ، طوقوا سطح الخزان بسور منخفض وحفروا أخاديد في الاقبية لتعجيل تصريف الماء الى الصهاريج ، ومع ذلك فكمية الماء المجمعة بهذه الطريقة كانت تملأ جزءا صغيرا جدا من الخزان ، أما المورد الرئيسي لتغذيته فلم يعرف بعد .

والخزان الجنوبي – وهو أصغر حجما – كان أيضا مبنيا بذات الطريقة المزدوجة باضافة واجهة بالاشجار في جانبه الغربي ، وبالواجهة هذه ثلاثة أبواب مناظرة للثلاثة صهاريج التي بالداخل وقد تم سد البابين اللذين الى الجنوب وحول الباب الشمالي ليغذى القناة التي سبق ذكرها . أما الخمس كوات التي تعلو الابواب الثلاثة فكانت لمجرد الزينة . ويمكن الوصول الى سطح الخزان بتسلق حلقات حديدية وضعت حديثا ، ومن هنا يمكن رؤية داخل الخزان بوضوح خلال كسر في قبته ويفصل بين الخزانات الثلاثه المتوازية اقواس مفتوحة ترتكز فوق اعمدة رباعية ، أما البروز الذى تحت بداية قوس الباكية مباشرة فكان يحمل ممرات خشبية للتفتيش . كان السقف مثل سقف الخزان الشمالي ، مزودا بحافة لتجميع الماء مع فارق ، ذلك أن الماء كان يوزع مباشرة على الحوض الذى أمام المبنى ومنه الى موصل قناة ثانية يرتكز على الجانب الغربي من الموزع الاول لكنه أدنى ارتفاعا . وكلتا القناتين مبنيتين على شكل أقسام قصيرة يقطعها سلم لاصق بها . وقد

أمكن تتبع أثر القناتين تجاه الشمال بالوادى الى نقطة قريبة من مجموعة كبيرة من الصهاريج جنوبى حمامات هادريان مباشرة (ص ٦١) ٠

وعلى بعد حوالى ربع ميل من تلك البقعة تجاه منبع الوادى ، توجد بقايا سد أقيم لتحويل وادى لبدة غربا الى وادى رصيف لاجتناب الترسبات فى المرفأ ، وغرق المنطقة التى يوجد بها حمامات هادريان والفوروم السيفيرى ٠ والسد عبارة عن مبنى عريض بالخرسان بدعائم من جهة مصب الوادى ، ويمكن رؤية بقايا جسر كان ممتدا من فوقه ٠ ويحمل السد اثار ترميمات متعددة لتدعيمه ٠ وتجاه الغرب بمسافة قصيرة ، فى طريق قناة التحويل (مونتيتشيللى) توجد بقايا جسر من الخرسانة كان يوصل بين الطريق الرئيسى من لبدة الى الدواخل ٠

أما الطرف الادنى من وادى كعام (سينيبس القديمة) حوالى اثنتى عشر ميلا شرقى لبدة ، فتوجد مبان كثيرة لحفظ ونقل الماء الى المدينة ٠ فعند شمال تقاطع طريق خمس ــ مصراته والوادى يوجد حوض صخرى ، اما أنه نحت فى الجبل أو تم توسيعه ، يغذيه مجرى ماء دائم يرتفع فوق سطح الارض بتلك البقعة ٠ وعلى مسافة تجاه مصبه توجد بقايا خزانات ضخمة من الخرسانة ٠ ويذكر سترابو جسرا فينيقيا وسدا فوق وادى سينيبس (كعام) ، ولكن لا يوجد بين أى من هذه البقايا أية اثار ترجع الى ما قبل العصر الرومانى ، ودون مسح شامل لايمكن اطلاقا التكهن بالطريقة التى كان يجرى بها عمل الخزان الرومانى بالتفصيل ، ولكن من الواضح أن هذه المساحة من حوض الوادى كانت عبارة عن خزان هائل كان يمون مدينة لبدة عن طريق قناة مغلقة تحت سطح الارض ٠ وكانت هذه القناة تقطع الوادى بانحراف ، ويمكن رؤية أجزاء طويلة منها على جانبى الوادى لكنها فى حالة أجود بالضفة اليسرى ٠ كانت هذه القناة عبارة عن ماسورة مبطنة بالخرسانة يوجد بها على مسافات ، دعائم من القوالب مكسوة بالخرسانة (فورامينا) foramina كانت توصل الى أعلى القناة لفحصها أو تنظيفها ٠ وتقف هذه الدعائم الان مثل المداخن فى الاماكن التى انهارت عندها أرض الجسر ، وقد أمكن تتبع خط القناة بأجمعها من وادى كعام الى مشارف لبدة ، لكن مكانها فى لبدة بالذات لم يكتشف بعد ٠

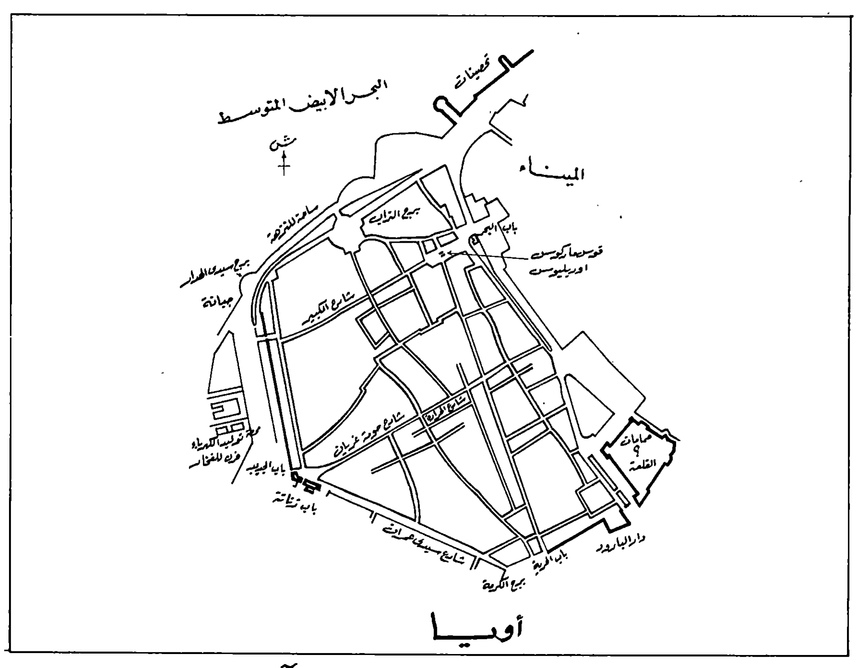
أويـا (طرابلس)

بعكس لبدة وصبراته ، كان موقع أويا ماهولا على الدوام منذ القدم ، حتى أيامنا هـذه وباستثناء قوس ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius تلاشت جميع مباني تلك المدينة تحت مباني طرابلس في القرون الوسطى والحديثة ، لذلك أصبح أمر التنقيب فيها مستحيلا ، ومع ذلك أسفر هدم بعض المنازل وعمليات البناء عن بعض كشوف في تواريخ متباعدة، كذلك يمكن استنتاج بعض أشياء من شكل المدينة الحالية (رسم ٨)

لم يمكن الوصول الى اثر لمدينة اويـا الفينيقية • ويظن أنها كانت في الجزء الشمالي الشرقي من المساحة التي تقوم عليها المدينة القديمة حاليا ، بالقرب من مرسى المرفأ الذي كان قائما على الصخور ثم أدمج بالمرسى الشمالي الغربي في الميناء الجديدة • ومازال تخطيط أويا على هيئة مستطيل ينعكس على تخطيط المدينة القديمة الحالية فيمكن أن نتعرف فيها على الكاردو وديكومانوس بقرب الشمال منها وذلك قياسا على الشوارع الطويلة التي تتجمع كلها عند قوس ماركوس أوريليوس من جنوب شرق باب الحرية وجنوب غرب شارع الكبير ، ثم نتعرف على ديكومانوس اخر أقرب للجنوب ، مازالت زنقة الحرارة بمكانه الاصلي • وقد اكتشف بالقرب من مقر برج التراب جزء من ساحة رومانية للنزهة تمتد بموازاة هذين الشارعين (الديوكوماني) •

كذلك ظهرت اثار بعض مباني رومانية في عدة أماكن بمنطقة المدينة القديمة وبجوارها مباشرة ، فقد اكتشف بين الباب الجديد والبحر منازل أرضيتها بالفسيفساء وجدرانها مزدانة برسم ملون ومبنى معمد بجانب شمال غرب ساحة لنزهة ، وبشمال غرب السراى مبنى ربما كان منزلا خاصا قبالة البحر بالشمال الغربي من السراى ، كما اكتشفت أفران لاوان من الفخار تحت محطة توليد الكهرباء وكشفت الحفريات تحت السراى بالذات عن اثار معقدة واسعة النطاق لجدران اساسات ومنصات من حجر الرمل ، وكشفت أيضا عن قطع كثيرة لبلاط من فسيفساء وأعمدة كبيرة كورنتية بسيقان من الشيبولينو • ويبدو أن هذه البقعة كانت مقرا لمبنى عام كبير ، لعله كان حماما •

ومن العسير تحديد المساحة التي كانت تقوم عليها المدينة الرومانية لكن المعتقد أن السور القديم كان يمتد على نفس الخط الذي قام عليه السور الاسلامي (وقد تهدم اغلبه حاليـا) وكان يمر من الباب الجديد الى برج الكرمة (حيث شارع سيدى عمران الان) ثم يتجه الى الشمال الشرقي الى (دار البارود) • ويظن الاثريون بكثير من الشك أنهم كشفوا عن بوابة رومانية بالقرب من باب الحرية • كذلك



مخطط ٨ طرابلس ، المدينة القديمة • يشـــار الى الآثار الرومانيـة بخط داكن

اكتشفت مقبرة من العهد الفينيقى الحديث، بالقرب من مقر برج سيدى الهدار السابق مما يدل على أن هـذه المنطقة لم يكن بها مبان ، ولو أنه من المؤكد أنها كانت بداخل نطاق السور •

قوس ماركوس أوريليـوس (لوحة ١٤) ويرتفـع فوق سـاحة بمواجهـة باب البحر والميناء بالقـرب من الطـرف الشمالى بالمدينة القديمة • وقد شـيد على نفقــة كايوس كالبورنيــوس سلسوس Caius Calpurnius Celcus وهو قاض من أبنـاء المدينة ، ودشـنه نائب القنصل سرجيوس كورنيليوس شـيبيو Cornelius Scipio ســالفيدييتوس أورفيتـــوس Salvidienus Orfitus ونائبــه أوتيــديوس مارتشـيللوس Uttedius Marcellus باســم الامبراطورين ماركوس أوريليوس ولوشيوس فيروس Marcus Aurelius فى عام ١٦٣ م • وبالاضافة الى صيغة التدشـين تشير الكتابة بأن القوس شـيد على أرض عامة • وكما سبق أن ذكرنا يتقاطع فى هذه البقعة الشارعان الرئيسيان بالمدينة القديمة لذلك جاء تصميم القوس بأربع جـوانب وممرين بأقواس يتقاطعان بزوايا قائمـة • ويشير فارق طول الجانبين الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى ، وهمـا الاكبر طولا ،

بأن الطريق من الميناء كان الاهم . والقوس بأكمله مشيد بالرخام وقد دون هذا بعناية ضمن النقوش . ويمكن الجزم بأنه من عمل صناع اغريقيين .

أما الزخارف التي على الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية فهي اساسا زخارف معمارية . ففي هذين الجانبين يحف بجانبي الممرات المعقودة أزواج من الاعمدة الفردية الكورنثية قائمة فوق قواعد عالية تبرز من قوائم القوس ، وتحمل الاعمدة على تيجانها العرضة الهرمية وواجهة القوس . وتنبثق من سيقان تلك الاعمدة المخددة أكاليل من فروع الاكانتوس . كانت الكوات التي في دعائم القوس تحتوى على تماثيل للاباطرة ، وقد اكتشف تمثال للامبراطور لوشيوس فيروس أمام واجهة القوس الجنوبية الغربية . أما الوجوه المنحوتة بشكل الايقونة فوق الكوات فلا يمكن التعرف عليها بسبب تلفها . ويملأ الفراغ بين تيجان الاعمدة الرباعية عدد من الكوبيد ممسكين بأكاليل . أما زوايا أكتاف القوس فتحمل الهة نصر مجنحة . وتحت هذه ، بالناحية الجنوبية الغربية نجد شعارات أبوللو ومينرفا الالهة الحامية لمدينة أويا وتتكون هذه الشعارات من شوكة ذات ثلاثة أسنان – تريبود tripod وغراب للاله أبوللو على اليسار ، وخوذة ودرع ورمح وبومة على اليمين للالهة مينرفا .

وكانت الجوانب الممتدة بالشمال الغربي والجنوب الشرقي شبيهة ببعضها الى حد بعيد بقدر ما أمكن فحصها مع التلف الذي أصاب جهة الجنوب الشرقي . وهذان الجانبان من القوس عولجا بطريقة معمارية أكثر دقة ، فالاعمدة الرباعية منقوشة بحفر بارز بصور لاسرى البرابرة متجمعين عند أسفل الاسلاب الحربية . وبزاوية الكتف الايسر من القوس يسوق أبوللو عجلة يسحبها زوج من الجريفن المجنحين وتحتهما يمكن رؤية شعائر الالهة وهي : قيثارة وقوس صيد ، وفرع من الغار . ويقابل ابوللو بزاوية الكتف الايمن رسم للالهة مينرفا في عجلة أخرى يسحبها سفنكس (أبو الهول) مجنح وترى شعائرها من تحتها على الارض وهي : خوذة تقف فوقها بومة ودرع ، ورمح ، وفرع من شجرة الزيتون .

أما واجهة القوس فليست بحالة جيدة وتحمل صيغة التدشين المكررة بالجهات الاربع . ومن الواضح أن فكرة تسجيل التدشين على واجهات القوس جاءت لاحقة ، نظرا لان النقش الذي كان يزين العرضة السفلى من الواجهة والرسم الذي كان على الافريز شطبا ليفسحا مكانا للنقوش ، كذلك لم يبق أي أثر للطابق الاوسط attic بالواجهة . ويعلو القوس قبة بثماني أضلاع ، مكونة من ثلاث حلقات فوسوار voussoirs (كتل صغيرة من الرخام مسلوبة مخروطة ومتراصة جنبا الى جنب بحيث تكون خطا مقوسا) تغلقها عند القمة دائرة من ثماني

أضلاع أيضا . وأمكن الربط (معماريا) بين التخطيط الرباعي للقوس وبين تقسيم قبته الى ثمانية أضلاع عن طريق كتل ترتكز فوق الاطراف القصيرة .

وأثناء التنقيب بحثا عن الشارع القديم بجوار القوس اكتشفت أجزاء من تاج الواجهة الهرمي لمعبد صغير ، وهي معروضة حاليا بالشمال الغربي من ساحة النزهة . وتشير كتابة التاج بأن ل.أميليوس فرونتينوس دشن المعبد عام ١٨٣-١٨٤ب.مباسمجينيوس Genius الروح الحامية لمستعمرة أويا ، وتوجد أربع من خمس صور على التاج الهرمي تمثل الوسطى منها صورة لامرأة تتدثر بعباءتها الى مافوق لباس رأسها الاسطواني الشكل ، والمرأة تمثل في الغالب تيكه Ty che التي تجسب الحظ السعيد لمستعمرة أويا . على جانبي المرفأ يقف ابوللو ومينرفا الالهان الحاميان للمدينة . ويقف ابوللو على يمينها ممسكا بفرع من الغار ويتكيء على تريبود دلفي (شوكة) tripod تلتف من حوله أفعى البيتون ، وتقف مينرفا مرتدية خوذتها وتمسك رمحا ودرعا . بالقرب من ابوللو يرى أحد الديوسكورى Dioscuri (أبناء جوبيتر وليدا التوأم) Jupiter and Leda وهو يسرج جواده بينما أخوه كان غالبا يشغل الركن الاخر من التاج الهرمي .

وأهم ما يستلفت النظر من اثار الصروح المتناثرة بضواحي أويا ، ضريح لاثنين من أتباع متيرا Mithra ويقع على بعد حوالى مائتي ياردة بجنوب الطرف الغربي من واحة قرقارش ، ويمكن الوصول اليه عبر مدق خشن يمتد على يسار طريق طرابلس - زوارة لمسافة خمسة أو ستة كيلومترات . ونظرا لان الضريح مغلق يجب على من يرغب رؤيته أن يحصل على تصريح بذلك من مصلحة الاثاربطرابلس. ويرجع تاريخ هذا الضريح الى القرن الرابع ب.م وهو محفور بسطح تل منحجر الرمل اللين الذى مازالت له محاجر متعددة بالمنطقة ، ويوجد بوجه التل من الجهة الجنوبية وقد قطع فيه بشكل خشن ، ممر ضيق يؤدى الى حجرة رباعية الجوانب مستطيلة غير منتظمة الجوانب كانت في بادىء الامر بئرا بمحجر أهمل . وكانت الحفرة غائرة الى خمسة أمتار أعمق من مستوى أرضية الضريح الحالية وفمها تجاه السماء فيما عدا الجزء الشرقي منها حيث ترك الصخر الاصلي معلقا من فوقها. وعندما حولت تلك الحفرة الى حجرة للدفن رفعت أرضيتها الى المستوى الحالي باضافة التربة ، ثم أقيم لها سقف لم يعد له الان أثر . وقد أقيم سقف جديد بدلا منه لصيانة الضريح ، وأعمدة رباعية لتحمل السقف الحجرى المعلق .

وعلى الجدار الشمالي بالغرفة يوجد الان منحنيان مستطيلان يحتوى كل منهما على قبر مبني على شكل تابوت وكان قبر ايليا اريسوث Aelia Arisuth

وهو أهم القبرين ، يواجه المدخل ، وقد سجل اسم صاحبته بالالوان على لوحة مستديرة بالجدار يحملها فوق المنحنى جنيان مجنحان • وعلى الجدار الخلفى من لمنحنى صورة دقيقة لاريسوث بداخل اطار ملون جميل من فروع شجر مجدولة تحمله فتاتان صغيرتان من أتباعها • وتذكرنا ملامح صاحبة القبر المعبرة بصور المومياءات المصرية المعاصرة لها ، وعلى الجدارين الجانبين بالمنحنى صورة جنى متكئا على مشعل مقلوب على رأسه رمزا للحياة التى خبت • أما السقف فكان مرسوما بطاووس وكروم من فوقه طيور اشارة الى الابدية والبعث بعد الموت • وعندما اكتشف الضريح فى أوائل القرن الحالى كان الجبس الذى يكسو غطاءه سليما وعليه رسم لبؤة تحتها جملة Quae Lea Jacet أى هنا ترقد لبؤة • وكلمة أسد تعتبر احدى الدرجات السبع فى طقوس التلقين لاسرار الاله الفارسى ميترا Mithra وكانت عبادته انتشرت فى الامبراطورية الرومانية كلها عن طريق الجيش الرومانى • وقبل اكتشاف ضريح قرقارش كان المعتقد أن النساء كن محرومات من اسرار هذه العبادة ، لكن وصف اريسوث بلقب لبؤة يعنى أنها كانت ممن لقنوا هذه المعتقدات بطريقة ما • ومن الناحية الغربية لغطاء القبر عند النقطة التى يرتكز تحتها رأسها توجد بقايا اناء من الجبس بثقب فى قاعه ، كانت تصب فيه القرابين السائلة ، وعلى جانبى المنحنى يوجد تابعان يرتدى كل منهما ثوبا دلماسيا Dalmatic ويحملان شموع مشتعلة • أما مقدمة التابوت والجدار الملاصق له فكانت برسم ملون لمنظر من السيرك – حلبة السباق – (راجع ص٣٦) والسباق هنا ممثل بنقطتى التحول (ميتا meta) فوق كل واحدة ثلاث أعمدة مسلوبة ومخروطة • وبالصورة أيضا أربع عجلات ، تتنافس ، عجلة لكل لون من ألوان السبق ، وكان الازرق فى المقدمة والابيض أصيب بحادث والاخضر يشد اللجام ليجتنب السقوط والاحمر فى المؤخرة • وبين عجلتى الاحمر والاخضر ، يرى مناد أزرق يحمل كأس الانتصار الى الفائز • وغالبا أن اللون الازرق كان هنا يمثل اريسوث التى همت وكسبت قصبة السبق فى جولة الحياة •

أما المنحنى الثانى فى ذات الجدار فيحتوى على نعش ايليوس Aelios ابن يوراتانوس Juratanos وغالبا انه زوج آريسوث وتأبينه الملون مسجلا فى المنحنى فوق لوحة على جانبيها طاووس • وعلى الجدار الخلفى صورة ايليوس مرتديا ثوبا دلماسيا وهو مستلقيا فى الجنة التى تتمثل هنا فى شكل شجرة وأزهار ، وعلى كل من الجانبين جنى متكىء على مشعل مقلوب على رأسه ، وبالسقف كرمة عنب وعصافير ،

وسلة بها فاكهة تتدلى من أزهار مجدولة . وكان غطاء التابوت سليما مثــس تابوت اريسوث ومزودا باناء للقرابين الســـائلة وملونا برسم لاسد عليه جملة Qui Leo Jacet أى هنا يرقد أسد .

بالجهة الشرقية من الجدار الجنوبى يوجد محنى بقوســين متماثلين يحتوى على مكانين أعدا للدفن لكنهما لم يستعملا أبدا ، على مايبدو .

صبراتـــه

ملاحظات عامة

لقد اكتشفت اثار أقدم مقر استيطان فينيقى فى صبراته تحت المدينة الرومانيـة فى المساحة التى بين الفوروم (٥) والبحر ٠ وتحت أقدم منازل مستديمة ظهـرت عـلى التوالى ارضـيات ممهدة لاكواخ مؤقتـة وطبقات من رمال حملتها الرياح ، مما يدل على مرور فترة طويلة كانت هـذه البقعة خلالهـا مقرا يأتى اليـه التجار الفينيقيون فى مواسم معينـة (ص ١٣) وكشفت أرضية الاكواخ عن أوانى اغريقية من الفخار ترجع الى القرن السادس وأوائل القـرن الخامس ق٠م ٠ وغالبـا يرجع تاريخ أول استيطان دائم الى أواخر القرن الخامس ق٠م وكان عبارة عن مجموعة مساكن صغيرة من حجر مبنية جزئيا بقوالب اللبن يحيط بها سور عريض اكتشف أساسه تحت الجانب الشمالى من سـاحة معبد ليبرباتر (٦) ٠ وخلال القرنين التاليين امتدت المساكن الى ماوراء ذلك السور ٠ وقـد اكتشفت اثار مساكن فينيقية مترامية الى جنوب المعبـد الانطونينى ٠ (٤) ويبدو أن ميدان السوق بالمدينة الفينيقية كان فى المنطقة التى شهد بها ـ فيمابعد ـ الفوروم الرومانى ، اذ وجد تحت هذا الاخير بقايا مبنى عام كبير وعدة منازل ٠ ومخطط المدينة الفينيقية غيـر منتظـم ولم يتغير بمرور الزمن بالرغم من قيام الرومان باعادة المبانى عند شمال معبد ليبربائر ٠

وبدأ تحول البلدة الفينيقية الى مدينة رومانية (لوحة ١٥) قرابة نهـاية القـرن الاول ق٠م ٠ لكنها على العكس كانت أقل من لبدة سرعة فى النمـو ٠ ويتكون قلب المدينة القديمة الامبراطورية من الفوروم ومعبدى ليبرباتر وسرابيس (٩) ومن هذه البقعة امتدت المدينة الى الداخل فى نطـاق مستطيل رباعى الجوانب شبه متساوي ٠ ولم تحدد بعد الحدود الجنوبيـة للمدينـة الامبريالية القديمة ٠ وشـاهد النصف الاخير من القرن الثانى مولد حى جـديد قرب البحر بشرق المدينة الحالية ٠ والحى الجديد وضع طبقا لمخطط مستطيل بحيث يقود من البحر الى المسرح (١٨) الذى يعتبر اهم معالم المدينة ، لذا كان محـور الحى الرئيسى بزوايا قائمة على طريق الشاطىء الذى أدمج فيـه باعتباره أهم الشـوارع التى تقطعه عرضا ٠

وبعكس لبدة ، لم تفتخر صبراتـــه بالخطوة الامبراطورية بحيث تدفعها للافراط

فى العيش فوق امكانياتها ، كذلك لم تتأثر بالانهيار السريع الذى عانت منه لبدة فى القرن الثالث والرابع ، وضم معبد ايزيس (١٧) الذى كان باطراف المدينة الى داخل الجدار الذى شيد قرابة ذلك العهد يوحى بان صبراته لم تكن بعد قد انكمشت الى حد كبير، على الاقل تجاه الشرق. فى أواخر القرن الرابع بدت على المدينة اثار نشاط جتماعى ملموس ويستدل على ذلك من اعادة بناء المبانى العامة بعد كارثة اصابتها غالبا على يد الاستوريين (ص ٤٦) . أما الانهيار العصيب فقد حدث فى القرن الخامس تحت حكم الوندال وادى الى اهمال حى المسرح باكمله باستثناء الكنائس (١٥ + ١٤) ومساحة كبيرة من المدينة الامبراطورية القديمة .. ويحتوى السور البيزانطى جزءا فقط من المساحة التى كانت تمتد عليها جزءا فقط من المساحة التى كانت تمتد عليها صبراته وهى فى اوج مجدها .

ان الخامة الرئيسية التى استعملت فى تشييد مبانى صبراته نوع قابل للكسر من حجر الرمل اخذ من المحاجر التى على المنحدرات الجنوبية عند حافة الشاطىء . وكان الجزء المكشوف من الحجر يغطى بطبقة من الستوكو الابيض المتين ليحميه من التفتت كما انه ملائما للنحت والتلوين مما يساعد على ض والحمة فة شثل د٤ بص مو مما يساعد على وضع التفاصيل الدقيقة اللازمة على تيجان الاعمدة والقوالب المنحوتة ويبدأ الرخام فى الظهور بشكل مطرد من القرن الثانى فما بعده لكنه لم يستعمل ابدا بنفس البذخ كما حدث فى لبدة ، وفى الواقع يمكن ملاحظة الاقتصاد فى استعماله حتى فى مبان عامة هامة مثل معبد الفوروم الجنوبى (٣) والمعبد الانطونينى اللذين اقتصر استعمال الرخام فى تزينهما على الواجهة بينما الخلف والجوانب كانت مطلية بالستوكو .

ان التنقيب فى صبراته على غير ما حدث فى لبدة ، اسفر عن عدد كبير من المنازل الخاصة تساعدنا على تكوين فكرة عن الحياة العائلية بتلك المدينة . كانت المنازل فى اغلب الاحيان ضيقة لكن كثيرا منها كانت ذا طابقين كما يتضح لنا من الحفر التى بارضها وما تبقى من سلالم . وكان كثير منها مهيئا بصهريج تحت الارض لتخزين ماء المطر من السقف . كذلك كانت الارض المكسوة بالفسيفساء منتشرة وكثيرا ما كانت الجدران الداخلية والسقف مزدانة كلها بزخارف ملونة على الجدار وما زالت بعض الرسومات الملونة والفسيفساء بمكانها لكن اجود القطع نقلت الى المتحف . ويوجد بهذا الاخير مجموعة كبيرة اكتشفت بالمنازل لاشياء صغيرة مما يستعمل فى الحياة اليومية مثل اوانى فخار وزجاج وادوات من البرونز والسخ .

الحفائر :

يقع المدخل (١) الى الحفائر على الكاردو مباشرة ، اى الشارع الرئيسى بالمدينة القديمة السابقة ويقود الى شمال غرب الفوروم . وبعد ان يمر الزائر على تقاطع الطرق وعلى منزل خاص كبير به حمام (على اليسار) يصل الى البوابة البيزانطية (٢) . ومثلها مثل كافة التحصينات البيزانطية كانت البوابة مشيدة بخامات سبق ان استعملت فى مبان اخرى . وفى أول عهدها كانت تتكون من برجين مستطيلين بزوايا قائمة على جانبى ممر ضيق مازالت عتبته التى بحجر الجير بمكانها in situ وكانت واجهتها البرجين الخارجتين تقريبا بمستوى جدار السور . ولا يتبقى منها بحالة سليمة الا الجزء الاسفل ولو ان البرج الشرقى يحمل اثارا لحجرة الحرس . ويؤدى سلم اقيم حديثا بالداخل ال اسفل حتى الشارع الرومانى الذى كان مستواه ادنى بكثير عن مستوى الشارع البيزانطى . وفى تاريخ لاحق اقيم باب جديد بجنوب المدينة القديمة وذلك باضافة كتلة مستطيلة الى الواجهة الخارجية فى كل من البرجين . فى تلك الفترة كان مستوى الارض قد ارتفع مرة اخرى بدرجة كبيرة فرفعت البوابة الجديدة باضافة عامود من التشيبولينو شق بقواعد لتماثيل فى الوسط والزوايا بالطول .

وبعد ان يسير الزائر بالكاردو الذى يحف فى تلك البقعة بالجانب الغربى لحى سكنى مبرز ، يصل الى معبد الفورم الجنوبى (٣) على اليسار . وتدشين المعبد مجهول ويرجع تاريخه الى اخر خمسينات القرن الثانى ب . م . يواجه المعبد جهة الشرق ويقوم بخلف ساحة رباعية مستطيلة تولج ه مداخل فى منتصف الجوانب الشرقية والجنوبية من السور المحيط بها . كانت واجهة وجوانب الساحة محاطة باروقة ترتفع عنها قليلا أما الاطراف الغربية من الاورقة الجانبية فكانت تنتهى بمنحنيات من نصف دائرة . كانت اعمدة الرواق المعمد بالطراز الكورنتى وسيقانها من الشيبولينو . واستعمل الرخام فى تبليط ارضية الاروقة الثلاثة وتزيين جدران الاروقة الجانبية ومينحنياتها لكن جدار الرواق الشرقى الذى كان متواريا الى حدما اكتفى بطلائه بالستوكو وتزيينه باعمدة رباعية الاضلاع بالستوكو ايضا . امام المعبد كانت الساحة كلها مبلطة بالواح من الرخام . اما بالاماكن الاخرى فكانت ارضيتها مكسوة بقطع صغيرة مستطيلة من الرخام مصففة على هيئة (رقم سبعة) وكان بداخل الارضية مصارف لتجميع مياه المطر . والمعبد ملتصق مباشرة بالجدار الخلفى من السور وقائما فوق مسطبة عالية بمقدمتها سلم من الرخام . ويستدل من قطعة رخام كانت جزءا من واجهة هرمية بأن الواجهة المرتفعة من المعبد كانت مصنوعة من الرخام ، وقطعة الرخام هذه موجودة حاليا على السلم الامامى ويبدو أن جوانب المعبد كانت بالستوكو .

الى شمال معبد الفوروم الجنوبى يتسع الكاردو بحيث يتحول الى ساحة صغيرة رباعية الجوانب يوجد فى جانبها الشرقى مدخل فخم يؤدى الى فناء المعبد الانطونينى (٤) ويستقر المدخل المعمد ، الى أعلى من مستوى الساحة ، فوق سلم من خمس درجات عريضة ، ويتكون من صف لخمس اقسام متصلة ومبلطة بالرخام يمتد دهليز مستطيل يتوسطها يطل على الساحة مباشرة من الامام وينفذ الى الفناء من الخلف خلال زواج من أعمدة بقوائم من اشيبولينو . وبطرفى هذا الدهليز توجد حجرة مستطيلة تفتح على قاعة أكبر ملاصقة لها من الخارج . والقاعتان تفتحان الى الداخل على الفناء خلال زوج اخر من الاعمدة بينما تبرز جدرانها الخلفية بحيث تكون أجنحة تحدد جانبى واجهة المبنى الخارجية . المعبد (لوحة ١٦) يرتكز على الجدار الخلفى بالفناء وكان يحيط بجوانبه الثلاث الاخرى أروقة بأعمدة كورنتية سيقانها بالشيبولينو . وكانت المسطبة العالية التى يعلوها المعبد تحتوى على سردابين معقودين يولجان خلال باب بالجهة الشمالية من المسطبة . وأمام هذه الاخيرة يوجد سلم يؤدى الى المدخل . اما السلم الحالى فقد أقيم حديثا ولم يتبق من السلم القديم الاقطعا قليلة . كان بالمدخل ستة اعمدة كورنتية ، اربعة الى الامام وعامودان بالجوانب باحتساب عامود الزاوية مرتين . وكانت الاعمدة والواجهة والتاج الهرمى جميعهم بالرخام وتشير بقايا نقوش على العرضة التى بأسفل الواجهة الى أن اكيليوس جلابريو ، وهو غالبا نائب القنصل بافريقيا قام بتدشين المعبد باسم الاباطرة ماركوس اوريليوس ولوشيوس فيروس بين عامى ١٦٦ و ١٦٩ ب . م . كانت التشيللا (حجرة المعبد) تحتل عرض المسطبة كلها وكانت مزدانة من الخارج باعمدة رباعية مخددة منها اثنان مناظران لاعمدة المدخل بالرخام اما الاعمدة الباقية والجدران المتداخلة فيها فكانت من الستوكو وتولج التشيللا من المدخل خلال باب واحد . وقد اصابها تغيير جسيم عندما حولت الى حجرة لدفن الموتى بتاريخ لاحق وفى أول عهدها كانت تزدان بأعمدة رباعية ملاصقة للجدار .

وبعد ان يعود الزائر الى الساحة يمر على اثار نافورة الى يمناه وهى على شكل مربع بقواعد لتماثيل فى الوسط والزوايا وغالبا كانت النافورة واحدة من الاثنى عشر نافورة التى اهداها رجل يدعى فلافيوس تولوس فى اواخر القرن الثانى ب . م . والنافورات الاثنى عشر كما يستدل من نقوش اكتشفت كانت مغلفة بالرخام ومزدانة بالتماثيل ، كذلك قام فلافينوس بدفع نفقات توصيل الماء اليها والمواظبة على ذلك بصفة مستديمة .

والى غرب النافورة يوجد مدخل ضيق يعلوه قوس ويسبقه مدخل معمد بسروج

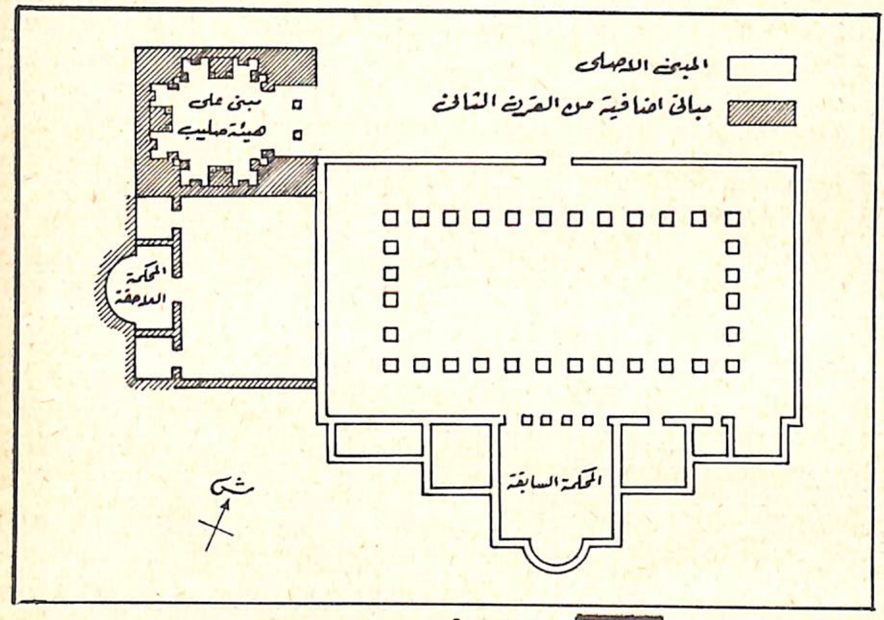
اعمدة كورنتية من الرخام الابيض يقود من الساحة الى الفوروم (٥) ٠ والفوروم الاصلى يرجع الى اوائل العصر الامبراطورى وكان على (هيئة مستطيل مكشوف يحد جانبيه المستطيلين صفوف من التابيرنه tabernae (حوانيت) تصل الى مؤخرة معبد ليبرباتر Liber Pater وفيما بعد هدمت هذه التابيرنة واستبدلت تلك اللاتى كانت قبالة واجهة الفوروم بالمداخل المعمدة الجانبية التى مازالت اثارها باقية وهى باعمدة من الجرانيت الرمادى بتيجان كورنتية اقيمت غالبا فى اواخر القرن الثانى ب ٠ م ٠ (اللوحتان ١٧ و ١٨) ٠ رواق الفوروم الشرقى ويرجع لتاريخ لاحق هو ايضا بأعمدة على الطراز الكورنتى وتدل أرضيته التى تكسوها فيسيفساء خشنة الصنع انها صنعت فى فترة اعادة البناء عقب الكارثة التى اصابت المدينة فى الربع الثالث من القرن الرابع ب٠ م٠

حل محل التابيرنه المقابلة لمعبد ليبرباتر (٦) رواق معمد مزدوج كان هو ايضا يمتد حتى مؤخرة المعبد بحيث يكون فناء مثلث الجوانب ٠ كانت الاعمدة الداخلية ايونية بسيقان ملساء ، والاعمدة الخارجية توسكانية ٠ وكلا النوعين كان بحجر الرمل المطلى بالستوكو ٠ ويمتد خط مستمر من السلالم من أسفل المداخل المعمدة حتى المستوى الادنى الذى يوجد به الفناء المكشوف المحيط بالمعبد مباشرة ٠

وكان المعبد قائما (لوحة ١٩) فوق مسطبة منحوتة ينحدر سلم من طرفها الغربى المقابل للفوروم ٠ والتشيللا (حجرة المعبد) محاطة باعمدة فردية ، ستة منها بالاطراف وثمانية بالجوانب مع احتساب عامود الزاوية مرتين وقد أعيد جزئيا اقامة الاعمدة التى بالجنوب وهى كورنتية بسيقان مخددة ،وكانت مصنوعة بحجر الرمل مثل باقى المبنى وتحمل زخرفة بالالوان ٠ وبداخل المصطبة يمكن مشاهدة اثار مبنيين سابقين ، كان الاول فى الغالب منزلا مبينا فى اتجاه مخالف لاتجاه الفوروم ويرجع تاريخه الى ما قبل فترة التخطيط النهائى للمنطقة والمبنى الثانى كان معبدا فى نفس الاتجاه لكنه أصغر وله أعمدة فى مقدمة وجوانب التشيللا فقط ٠ وما زالت اثار مؤخرة مسطبة موجودة بمكانها بداخل الزاوية الجنوبية الشرقية من المسطبة اللاحقة وكثير من كتل بحجر الرمل المطلى بالستوكو التى كانت فى اجزائه السفلى استعملت عند وضع أساس السلم والمدخل والمعبد التالى وتحمل بعض هذه الكتل اثارا كثيرة بالوان متعددة ٠

لقد شيد المعبد الاول غالبا قرابة بداية المائة الاولى ب ٠ م ٠ وشيد المعبد الثانى قرابة اخر القرن ذاته ٠ويستدل على تدشينه باسم ليبرباتر ، وهو ديونيزيوس الفينيقى من نقوش يقال انها اكتشفت بالمعبد ٠ وتسجل هذه النقوش اصلاح (معبد ليبرباتر) فيما بين عامى ٣٤٠ و ٣٤٠ ٠ م ويظن بحق ان المعبد كان اطلالا عندما شيد

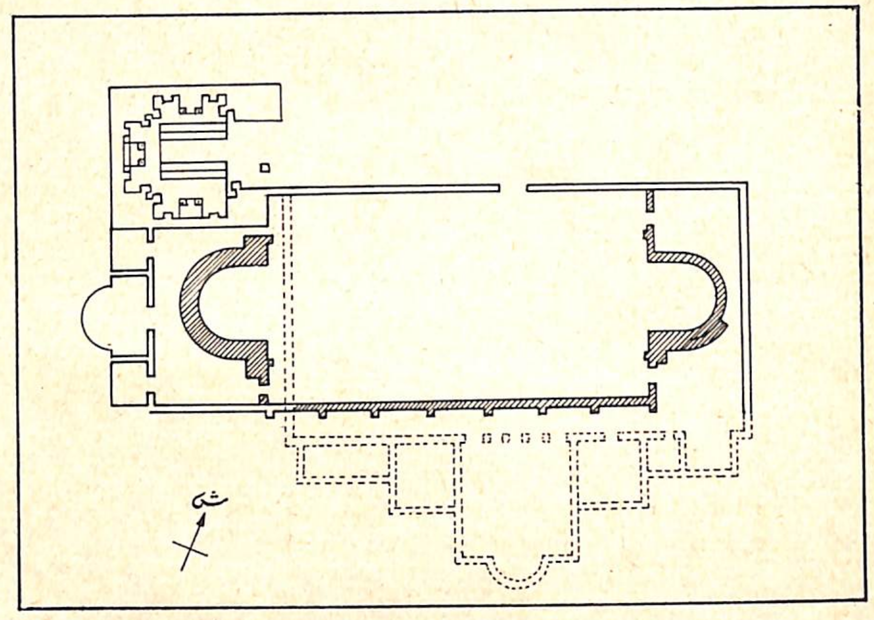
الرواق الشرقي بالفوروم عبر واجهته في اواخر القرن الرابع ٠



مخطط ٩ — البازيليكا الامبراطورية القديمة ـ صبراته

كانت البازيليكا (٧) تحتل الضلـــع الجنوبي من الفوروم وتشير اثارها الى ثلاث فترات معمار مستقلة : في اول عهدهـــا (مخطط ٩) أي حـــوالى منتصف المائة الاولى ب ٠ م ٠ كانت البازيليكا بشكـل بهو مستطيل كبير يولج من مدخل بوسط جانبها الطويل الشمالي الذى قبالة الفوروم وكان يحيط بجوانب البهو الاربعة مـــن الداخل صف من الاعمدة مازال أثر قواعدها الضخمة مرئيـا للان ٠ وكانت الاعمـــدة غالبا تحمل فوق وســط التشيللا سـقفا من الخشب بنوافذ لاضاءة المعبد ويرتفع الى أعلى من السقف المحيط بجوانبهـــا ، كان الجانب المناظر للمدخل يفتح على صف من التقاسيم في مجموعات سيمترية بوسـطها اكسيدرا يقف على مدخلها اربع اعمـــدة كورنتية ، وفي جدار الاكسيدرا الخلفـــي منحنى نصف دائرى apse ٠ وقـــد اعيد حديثا بناء ثلاثة من تلك الاعمـــدة على قوائم جديدة، وكانت الاعمدة اصـــلا مصنوعة من حجر الرمل والستوكو مثـل باقي المبنى ٠ كان في الاكسيدرا منصـة

للقضاة ويظن ان ايوليبيوس المادورى حوكم أمامها عند امتهـــامه بمزاولة السحر . ومع ذلك يستدل من اكتشاف مجموعـــة لتماثيل امبراطورية ترجع للماية الاولـــى ب٠م . يستدل منها ان المنصة كانـــت تستعمل ايضا كمحراب لعبادة الاباطـــرة الرومان والجمع بين القضاء والعبادة على ذات المنصة تقليد اتبع فى بازيليكا مماثلة شيدها المهندس المعمارى فيتروفيوس . Vitruvius بمدينة فانوم Fanum فى عصر الامبراطور اغسطس .



المخطط ـ ١٠ ـ بازيليكا ترجع الى القرن الرابع

مبان سابقة ألغيت

مبان سابقة بقيت

مبان جديدة (الاجنحة والاعمدة غير مرسومة)

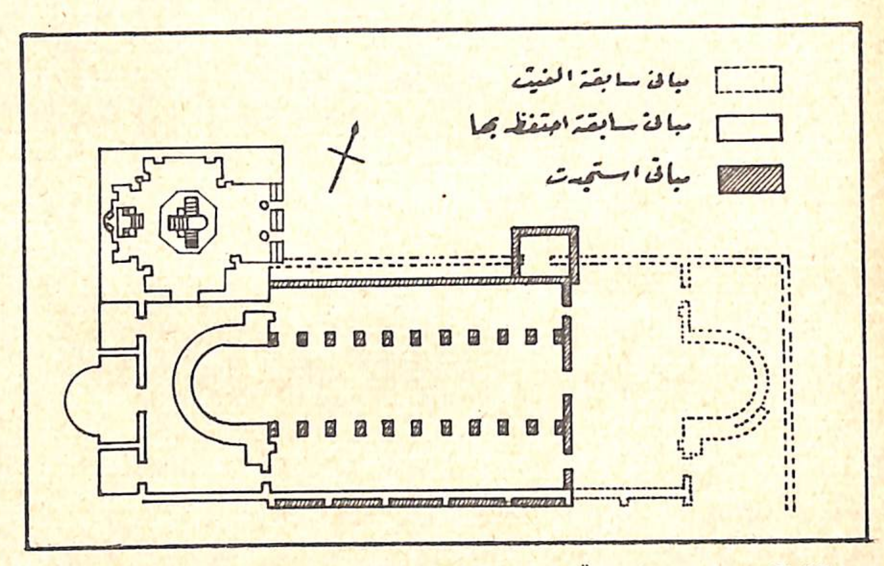
فى النصف الثانى من ثانـى قرن ب٠م الفى المنحنى الذى بداخل الاكسيدراليوسع مجالا لفناء معبد الفورم الجنوبى لكـــن الاكسيدرا بقيت مستعملة ، عـلى أى حال لفترة ما وكانت ارضها وباقى ارضـــ البازيليكا مبلطة بالرخام قرابة ذاك التاريخ ولكن من الواضح انها اصبحت غير ملائمة للغرض الذى شيدت من اجله ، لذلـــك اقيمت مسطبة اخرى بطرف البازيليكـــا الغربى كانت عبارة عن امتداد ينتهـــى

باكسيدرا يعلوها قوس يحف جانبيهـــا حجرتان رباعيتان بجوانب مستطيلة· وبعد توسيع واعادة تحديد اتجاهاتها ، بقيـت البازيليكا متعملة على هذه الصورة الى ان دمرت اثناء الكارثة التى اجتاحت الـفوروم في الربع الثالث من القرن الرابع ب· م·

عندما اعيد بناء البازيليكا في اواخـر القرن الرابع كان المخطط الجديد (اللوحة ١٠) كبير الشبه بالبازيليكا السفيرية بمدينة لبدة وكانت تتكون من بهو مستطيل يقسمه صفان من الاعمدة الى صحـــن وجناحين وينتهى صحن البازيليكا بمنحني نصف دائـرى فـــى كلا الطرفيـــن · والبازيليكا الجديدة أصغر حجما مـــن سابقتها بحوالي اربعة امتار ونـــظرا لان الجدار الشمالي فقط ظل قائما احتـــاج الامر الي بناء جدار جنوبى جديد · كانت البازيليكا ايضا اقصر بكثير من الاولـــى (بعد توسيعها) فزحف المنحنى الشرقـى الى الداخل واحتل المكان الذى كانت بـــه الاعمدة الشرقية الاصلية ، كذلك كـــان منحنيه الغربى بداخل الجدار الذى شيد لتوسيع البازيليكا السابقة وعلى كل مـــن جانبى المنحنى الغربى يوجد باب يـــؤدى الى المنصة الغربية السابقة والحجـــرات التى تحفها من الجانبين والتى احتفظ بهـا ولو ان الغرض من الابقاء عليها بالرغم من انها خارج نطاق البازيليكا بالذات لم يعرف للان · واستعمل ما تبقى من رخـــام الارضية القديم لتبليط المبنى الجديـــد وملئت الفجوات بفسيفساء خشنة مثـــل التـــى اســـتعملت فى الـكوريا (١٠) وفى رواق الفـــورم الشـــرقى ، ويوحى السلم الذى بخلف المنحنى الشرقى بـــان ثمة دهاليز كانت فوق الاجنحة مثل تلـك التى كانت فى البازيليكا بمدينة لبدة ·

ولـــم تعمـــر البازيليكـــا ذات المنحنـــيين طويـــلا ، فقـــرابة عـــام ٤٥٠ ب·م· حلـــت كنيســـه محلهـــا (لوحة ١١) ومرة أخرى انكمش عرضها وذلك عند بناء جدار شمالى جديد الـــى جنوب الجدار الاول بحوالى مترين بينمـا احتفظ بالجدار الجنوبى الموجود · وهكذا أصبح جانب البازيليكا الغربى ومنحنيه جانبا غربيا للكنيسة ولكـن شيد لهـا جانب شرقى جديد مع الغاء المنحنـــى الشرقى وثلث الجزء الرئيسى من المبنـــى القديم · كذلك اغلق المدخل الرئيســـى السابق باقامة حجرة صغيرة مستطيلـــة تبرز فى الركن الشمالى الشرقى بالكنيسة وكانت الكنيسة تولج من الطرف الشرقى خلال ثلاث بوابات باقواس وكان يقسمها الى صحن واجنحة اقواس مستمرة فـوق ازواج من الاعمدة ترتكز على قواعد · وقد اخذت تلك الاعمدة من مبان اخرى سابقة، وهى بالطراز الكورنتى المطعم بالايونـــى وأغلبها بســيقان من الشـــيبولينو · وفى العصر البيزانطى ، هذا اذا لم يكن مـــن

قبله كانت السبع فتحات التى بين أعمدة صحن الكنيسة محاطة بحاجز فاصل بــه فتحة على جانبيها قواعد اعمدة فى الطـرف الشرقى ، وكان الهيكل فى الوسط خلف هذا الفاصل ، ومن فوقه سيبوريوم(مظلة صغيرة) يرتفع فوق اربع اعمدة اثنان من الشيبولينو واثنان من البرشيا بتيجان كورنتية · وكان الهيكل الاصلى مصنوعـا فى الغالب من الخشب لكن ماتبقى مـــن اثار يرجع الى هيكل من الرخام اقيـــم اثناء الاصلاحات فى العصر الــبيزانطى · كان مستوى الارضية (وتتكون مـن الواح من حجر الجير الرمادى وشرائح من اعمدة بالشيبولينو قد اختفى أغلبها) وكان أعلى من مستوى ارضية كنيسة القرن الخامس لذلك رفع الهيكل الجديد فوق منصـــة مكونة من تسع قواعد لاعمدة قلبت على وجهها ومن كتلة عريضة كانت فى عرضة



المخطط ـ ١١ ـ كنيسة على موقع البازيليكا ـ صبراتة

قوس قديم · والكتلة التى وضعت كاساس للهيكل ذاته توجـد بها ثقوب محفورة لتماثيل صغيرة كانت تحمل قمة الهيكـل وبها ايضا تجويف مستطيل توضع بـــه المخلفات المقدسة · وبالطرف الغربى مــن صحن الكنيسة يوجــد سلم يؤدى الى المنحنى الغربى الذى اصبح سكنـــــا للقساوسة وكان السلم فى أول الامر مصنوعا من حجـــر الرمل لـكنه أصبح مكسوا بالرخام فى العصر البيزانطى · ومن تحته يمكن رؤية بقعة من ارضية بالفسيفســـاء البيضاء خشنة الصنع، كانت فى البازيليكا اللاحقة ، ويوحى الشـبه الذى بين هـــذه الفسيفساء وتلك التى تكسو أرضية المنحنى

التى رفعت الى مستوى أعلى ، بأن الفتـــرةالتى انقضــــت بين بنــــاء البـــازيليكا اللاحقة والكنيسة كانت فترة وجـيزة ٠كان بأعلى السلم عامودان رباعيان بتيجان أيونية كورنتية متاخمـــان لجانبى مدخل المنحنى ما زال احدهما موجودا ويحمل على وجهه الامامى زخارف لولبية لفـــــروع الاكانتوس تتخللها الطيور والثعابـيـن ٠ ويظن ان هذين العامودين كان يربطهمـــا بجانبى المنحنى كتل من الحجر كمـــــا يربطهما ببعضهما قوس وكل هذهالمجموعة تسند حاجزا يكتنف قمة المنحنى ٠

بجنوب المنحنى يوجد ممر يؤدى الـــى مساحة كانت غالبا غير مسقوفة فـــى ذاك الوقت تقع بين مؤخرة المنحنى والمنصـــة الغربية للبازيليكا بعد توسيعها ٠ وفى القرن الخامس حول البناءون المنصة الـى حوض للتعميد وذلك ببنـاء حافة مستطيلة بداخل الجدار الخلفى بالمنحنى ٠ وفـــى العصر البيزانطى اقيم حوض جديــــد للتعميد فى المبنى الملاصق لزاوية الكنيسة من الشــــمال الشرقى (راجــع ما يلى) وملىء الحوض الذى بالمنصة الغربيــــــة واستبدل بهيكل تحت مظلة صغيرة ترتكز فوق اربع اعمدة مخددة ٠ فى ذات الوقـت فتح ممر صغير بالجانب الشمالى بالمنحنـى يقود مباشرة الى حوض التعميد الجديد٠

والمبنى الذى حوله البيزانطيون الـــى مقر للتعميد يتاخم الجزء الشمالى مـــن الامتداد الغربى للبازيليكا الاولى ٠ وكـان هذا الامتداد مربعا من الخارج اما مــن الداخل فكان على هيئة صليب وتعلوه قبـة متقاطعة من الخرسانة ٠ ويمكن ملاحظـة العصور الثلاثة التى مر بها المبنى بمراجعة شكله من الداخل فكان فى اول عهـــده (مخطط ٩) بمدخل واحـــد فى الذراع الشرقى من الصليب وكان المدخل بيـــن زوج من الاعمدة بالطرف الغربى من مدخل الفوروم الجنوبى المعمد ٠ ومن الجــــدار الخلفى لكل من المنحنيين الاخرين تبـــرز مسطبة مستطيلة يقوم من فوقها زوج مـــن الاعمدة يحملان عرضة ما زالت بعض آثار افريزها باقية وقد جمعت على الارضـــ ، وتحمل تلك البقايا نحتا لفروع لولبية من الاكانتوس يتخللها عدد من صور الكوبيـد Cupid وهم يصيدون الحيوانات ٠ اما ارضية وجدران الحجرة فكانت مكسوة بالرخام ويرجع تاريخ اقامة هذا المبنـــى الى ما بعد منتصف القرن الثانى لكـــن الغرض من اقامته غير معلوم ٠

وفيما بعد (مخطط ١٠) حول المبنى الى قاعة للاجتماعات بها منصة مرتفعـة للرئيس فى الطرف الغربى بمواجهـــــة المدخل ، ومقاعد او دكاك فى صفـــوف مدرجة يواجه بعضها بعضا ٠ وحتى يتاح هذا الترتيب رفعت ارضية شمال وغـرب وجنوب المنحنيات الى مستوى المسطبـــة ووضعت سلالم عريضة بالجانبين الشمالى والجنوبى تربط الجزء الذى بقى هابطـــا الى وسط المسطبة ٠ واختفت المسطبتان

الشمالية والجنوبية نتيجة لهذا الترتيب لكن الاعمدة وانظمتها التى كانت تعلوهما بقيت قائمة • كذلك رفع مستوى المسطبة الغربية بحيث تصبح مقعدا للرئيس •
وبهذه الصورة كان داخل المبنى كبير الشبه بالكوريا (١٠) التى أقيمت فى أواخر القرن الرابع ، وغالبا أنها شيدت فى تاريخ معاصر ومع ذلك لم تتضح الصلة (عمليا) بين المبنيين •

واخيرا عندما حول البيزانطيون المبنى الى مقر للتعميد (المخطط ١١) وضع بوسط الارضية حوض للتعميد فى اطار بثماني ضلوع ورفعت الارضية بحيث تصبح مستوية ، وخلعت الانظمة المعمارية التى بالمنحنيات ، وفتح بالجدار الخلفى من المنحنى الجنوبى باب مناظر للباب الجديد بالجانب الشمالى من منحنى الكنيسة وفى المنحنى الغربى اعيد بناء بعض العناصر المعمارية التى كانت موجودة فى بادىء الامر وحولت الى مسطبة بمظلة للعرش الاسقفى ومن خلفها كوة فى جدار المنحنى •

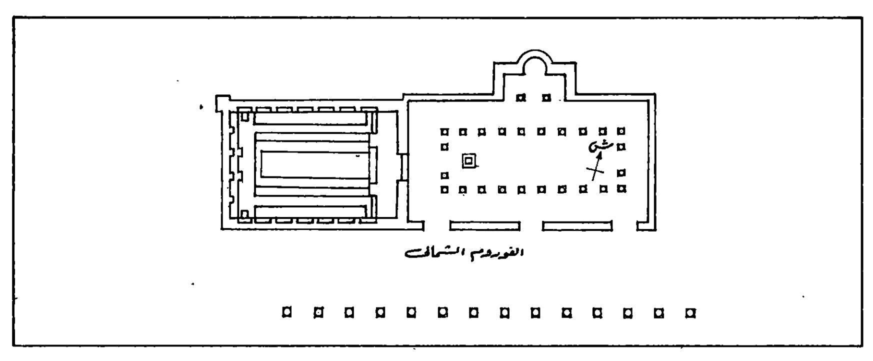
كان بالجانب الغربى من الفوروم معبد يظن فى الغالب انه الكابيتوليوم (٨) اى معبد الهه الكابيتول الثلاثة Capitoline Triad وهم : جوبيتر وجونو وميترفا Jupiter, Juno and Minerva • يرجع تاريخ المعبد الاصلى الى النصف الاول من القرن الاول ب•م • وكان مبنيا بالستوكو من حجر الرمل ، لكن الجزء الاكبر منه غلف بالرخام فى النصف الاخير من القرن الثانى ب•م• لذلك امتدت مقدمة المسطبة العالية التى كان المعبد قائما عليها بحيث اصبحت منصة للخطباء وكان على جانبيها سلمان عريضان يؤديان الى الفوروم ، وقد اعيد بناء السلم الجنوبى والمنصة التى يوجد خلفها سلم بعرض المسطبة كلها يؤدى الى المعبد بالذات • ويمكن مشاهدة السلم الاصلى الذى تحت السلم الرخامى المتاخر العهد • وتوحى الاثار المتبقية من اسفل الجدار بان المعبد كان مشيدا بالطراز الايطالى فكانت واجهة التشيللا وجوانبها فقط محاطة بالاعمدة بينما يبرز ظهرها فى جدار يمتد بموازاة عرض المسطبة • وغالبا ما كان يوجد ستة اعمدة بمقدمتها واربع بالجوانب مع احتساب اعمدة الزوايا مرتين وعدم احتساب الاعمدة النصف اسطوانية والرباعية الجوانب المتاخمة التى كانت غالبا مناظرة للاعمدة الجانبية لها بالجدار الخلفى • ويوجد ضمن بقايا الزخارف الرخامية التى حلت بدلا من الستوكو فى اواخر القرن الثانى — يوجد ضمنها — تاج كورنثى وكتلة ضخمة من راس التاج الهرمى وكلاهما معروضان حاليا فوق منصة الخطباء • وكان المدخل المعمد طويلا بحيث يمتد حتى منتصف المسطبة التى يقوم عليها الكابيتوليوم ، وهو مطابق لمخطط المعابد الايطالية •ويوجد فى التشليلا ثلاث بوابات ما زالت

اعتابها باماكنها الاصلية وتشير تقاسيم ما تبقى من أسفل الجدران بأن داخل التشيللا كان هو الاخر مقسما الى ثلاث حجرات خصصت كل واحدة منها لاحد أفرا الالهة الثلاث ، كذلك كانت كل حجرة من تلك الحجرات يقسمها جدار الى جزء داخلي واخر خارجي ، كانت ارضية التشيلا ترتكز فوق عوارض خشبية ويمكن رؤية اثر الحفر التى كانت تلك العوارض مثبتة فيها حول قمة جدار المسطبة • كانت الحجرات الاربع الشمالية متصلة ببعضها وقد اقيم حديثا سقف زجاجي من فوقها حيث أنها تستعمل الان مخزنا لمجموعة كبيرة من كسر وبقايا معمارية رخامية وكتابات ونذور اكتشفت جميعها فوق المسطبة حيث ألقي بها قديما باعتبارها نفايات عقب تهدم منطقة الفوروم في اواخر القرن الرابع • وكان ضمن هذه البقايا تماثيل نصفية من الرخام واحد للاله جوبيتر واخر لالهة الوفاق كونكورديا وتمثال صغير من الرخام للالهة شلستس Celestes وقد نقلت ثلاثتها الى المتحف

وبشمال الكابيتوليوم ، خلف الركن الشمالي الغربي من الفوروم توجد اثار معبد سيرابيس – ٩ – وقد اعتمد تعيين المعبد على اكتشاف راس هذا الاله الاسكندري بين اطلاله ، والمعبد من اقدم مباني المدينة الرومانية ويرجع غالبا الى ما قبل التخطيط النهائي لمنطقة الفوروم ، وهو لا يتبع هذا التخطيط تماما • يرتفع فناء المعبد عن مستوي الشوارع المحيطة به ، وله ثلاث مداخل في جانبه الشرقي مقابل واجهة المعبد • واعمدة الرواق الرباعي الجوانب الذى يحيط بالفناء كانت اصلا من حجر الرمل المطلى بالستوكو •أما الاعمدة التى بالواجهة والجوانب فقد استبدلت فيما بعد بأخرى من حجر البريجا الرمادى بتيجان كورنتية • ويوجد منزل بيزنطي متداخل في الرواق الشمالى • وطبقا للنظام الاغريقى ، كان المعبد في وسط الفناء لكنه يرتفع فوق مسطبة بها سلم من الجهة الشرقية فقط وقد غلف فيما بعد السلم الاصلى بالرخام ولا شك ان الواجهة باكملها اعيد بناؤها بالرخام قرابة نفس التاريخ • ويظن أن مدخل المعبد كان من اربعة اعمدة ، اما التشيللا التى تحتل عرض المسطبة فكانت مزدانة من الخارج باعمدة رباعية متاخمة مطلية بالستوكو • وكان المعبد يولج من الداخل المعمد خلال ثلاثة ابواب ما زالت اعتابها موجودة وقد اختلت معالم الترتيب الداخلى الى حد بعيد بسبب الاقامة فيه فيما بعد كمسكن •

وخلف رواق الفوروم الشمالى توجد اثار الكوريا اى مجلس شيوخ البلدية وقد اقيم في أواخر القرن الرابع بدلا من مبنى سابق تهدم – على مايظن – بيد الاستوريين• وتتكون الكوريا (مخطط ١٢) من قاعة جلسات مستطيلة تواجه من الشرق احد

اطراف فناء مستطيل وكان الوصول من الفوروم مباشرة عن طريق الفناء فقط خلال بابين في جانبه الجنوبي الطويل ، احدهما بوسط الجدار والثاني بقرب الركن الجنوبي الغربي ويستدل عليهما من الثقوب التي كانت مثبتة فيها وبقايا مفصلات واغلب الظن انه كان هناك باب ثالث بقرب الركن الجنوبي الشرقي • كان داخل الفناء محاطا برواق رباعي الاضلاع باعمدة كورنثية تحمل اقواسا مستمرة اعيد بناء احدها بالطرف الغربي • كانت الاعمدة تتكون من عناصر اخذت من مبان سابقة متعددة بما في ذلك قوائم من الشيبولينو والجرانيت الرمادي • وخلف وسط الرواق الشمالي توجد اكسيدار مستطيلة بعامودين على عتبتها وكوة من نصف دائرة في جدارها الخلفي • وتحمل فسيفساء الرخام الابيض الخشنة الصنع التي تكسو



مخطط ـ ١٢ ـ الكوريا ـ صبراتة

ارضية الاكسيدار والاروقة ـ تحمل الطابع الذي اتسمت به صبراته في اواخر القرن الرابع • واهم المعالم البارزة في تخطيط الفناء هي الشبه العجيب بالتخطيط الاول للبازيليكا (ص ٩٧) الذي يوحي بان الرواق كان يستعمل لنوع من النشاط خصص لاجله ، هذا بالاضافة لكونه مجرد ساحة او فناء يؤدي الى الكوريا •

وبالطرف الغربي بالفناء يوجد باب يؤدي الى الكوريا ، وهو مستطيل بسيط المظهر مشيد من ستوكو حجر الرمل تحيط جدرانه الخارجية بمعالم المبنى السابق الذي احتل مكانه ، يوجد بمدخله مباشرة مساحة ضيقة مستوية تكون دهليزا بعرض الحجرة وفيما وراء الدهليز ، على مستوى أعلى بقليل يمتد دهليز اخر عريض يصل حتى منتصف الحجرة وعلى جانبيه مدرج منخفض لمقاعد الديكوريين ثم أضيفت اليه فيما بعد درجة جديدة • ومن الدهليز يمكن الوصول مباشرة الى الدرجة الثالثة وكانت أعلى الدروج في أول الامر ـ بسلالم صغيرة تقطع المدرج • بالطرف الغربي من الحجرة تلتصق الدرجة الاولى والثانية بمنصة يجلس عليها القضاة نشأت من

امتداد الدرجة الثالثة بموازاة الجدار الخلفي وبموازاة هذه المنصة الخلفية يمتد بروز اشبه بالرف كان غالبا قاعدة مستمرة لخمسة تماثيل يستقر كل واحد منها فى كوة منفردة غير عميقة محفورة فى الجدار الخلفي فوق الرف ويميز الكوة الوسطى عامودان رباعيان متاخمان لطرف الرف ٠وثمة خط قصير لزخرف منحوت بارز فى طرف الجدار الخلفى تجاه الطرف الشمالى يوحى بان الكوريا السبقة كان لها رف مماثل بنفس الوضع ٠ كان يوجد ايضا كوات بطول الجدارين الجانبيين لكن بدون الرف البارز ٠ وكل من الارضية والدروج والمنصة كان مغلفا بالرخام اختفى اغلبه وكانت بعض الواجه شرائح تحمل كتابات وضعت مقلوبة عند غرسها فى الاسمنت فتركت اثارها عليه ٠ ويمتد لوح من الرخام المنحوت تحت الرف بخلف المنصة وعلى الجدارين الجانبيين خلف الدرجة الثالثة حيث اختفى الجزء الاكبر منه عند اضافة الدرجة الرابعة ٠ وباستثناء الكوات التى كانت مكسوة بالرخام ، كانت الجدران كلها بالستوكو ٠

وبين الكوريا والبحر بالجهة الشرقية من ساحة للنزهة غير منتظمة الجوانب ، ومتداخلة فى معبد سيرابيس يحدها غربا المنزل البيزنطى الذى سبق ذكره نجد اثار بازيليكة جوستنيان ـ ١١ ـ وهى دون جدال كنيسة جديرة بالسمعة العظيمة التى وصفها بها بروكوبيوس ـ اللوحة٢٠ ـ لم يتبق من الكنيسة الا الجزء الاسفل من جدرانها وكانت مبنية بطريقة خشنة من خامات استعملت قبلا فى مبان اخرى كان أغلبها من قاعدة صرح سفيرى بقرب المسرح وكان مشيدا بحجر الرمل ذى لون اصفر مائل للبنى وعليه نقوش ٠ كانت الكنيسة مستطيلة الشكل يتجه فيها الهيكل الى الشرق وفى طرفها الغربى يوجد مدخل معمد باعمدة منشورة تحمل سقفا وفى هذا المدخل يوجد باب يفتح على صحن الكنيسة على كل من جانبيه بابان اصغر يؤديان الى الاجنحة ٠ كذلك يوجد مدخل فى كل من الجانبين الطويلين اما الاعمدة التى تفصل بين الصحن والاجنحة فكانت عبارة عن مجموعة متنوعة اخذت من اماكن مختلفة ، تقوم فوق قواعد غير متناسقة الارتفاع لكى تصل رؤوس الاعمدة الى ذات المستوى ٠ والجزء الاكبر من الامبو اى منصة الوعظ التى فى الجانب الشمالى قطع من كتلة كانت فى احد التيجان بالكابيتوليوم ٠ ويبدأ المقدس من الفاصل السادس بين الاعمدة من الجهة الغربية يحيط بطرفه الغربى حاجز منخفض فى وسطه فتحة وبداخل المقدس نجد الهيكل ومن فوقه قبة من الرخام ترتكز على اعمدة رفيعة تحمل نقشا بارزا الصلبان ويمكن التعرف على قاعدة الهيكل من التجويف الذى فى وسطها المخصص للمخلفات المقدسة ، ومن الثقوب التى كانت الاعمدة الصغيرة مستقرة عليها والتى كانت تحمل اعلى الهيكل المستطيل الرخامى ، والطرف الشرقى من الكنيسة ينتهى غالبا بمنحنى ولو ان لا اثر له الان على الاطلاق

واذا تأتى لنا ان نقبل مديح بروكوبيس للكنيسة فالفضل فى ذلك يرجع لوجود الفسيفساء التى كانت تبلط ارضيتها وهى معروضة حاليا بالمتحف بداخل جو شبيه بالذى كانت فيه اصلا • وتمثل اللوحة رسما رمزيا يبدأ من اول صحن الكنيسة ، به كرمة تحمل العنب وفى أعلى فروعها المتداخلة فى بعضها عدد كبير من الطيور من مختلف الانواع بما فى ذلك الفينكس ـ طير يرمز للخلود ـ وعدد من الطواويس وسمانة بداخل قفص ـ اللوحة ٢١ ـ أما اللوحات الاصغر التى تمتد من المقدس الى الاجنحة فكانت مزدانة برسومات هندسية تقليدية لا تقل جمالا ولا شك بان عملا على هذا المستوى من الابداع لم يتم بأيد محلية وان الفنانين الذين قاموا بتنفيذه استوردوا من شرق البحر الابيض المتوسط • وتوجد قطع اخرى كانت بالكنيسة ورفعت الى المتحف منها لوحتان كانت تزين حاجز المقدس ، وعامودان تحت القبة واللوحة التى تعلو المنبر وجميع هذه الاشياء كانت غالبا من صناعة شرقية •

بشرق بازيليكة جوستنيان يمتد حى تجارى وسكنى ملفت للنظر ما زال محتفظا لمعالم المخطط الغير منتظم الذى قامت عليه المدينة فيما قبل العصر الرومانى • فان لازم الزائر جهة البحر ، يصل الى طريق ضيق يقطع الحى من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى • واول مبنى يقابله بالجهة الشرقية عبارة عن معمل لزيت الزيتون به طاحونة حجر وفراغ كان عليه معصرة للزيتون وسلسلة من الاحواض مغلفة بالاسمنت • واذا تحول الزائر الى اليسار عند الطرف الجنوبى من الطريق الضيق ثم اتجه يمينا عند اول منحنى يجد نفسه فى ارض فضاء غير منتظمة الجوانب ، امام ما يسمى ـ حمامات حى البحر ١٢ ـ وهى أكبر حمامات صبراته ولو انها لا تضاهى فخامة حمامات هادريان فى لبدة • وقد اتلف التفتت جدران الحمامات الى حد بعيد بحيث لم يعد بالمستطاع اعادة تخطيطها بالكامل • كان المدخل الرئيسى يفتح على بهو مستطيل ينتهى بمنحنى نصف دائرى على وتره عامودان بالشيبولينو ، وأرضه وجدرانه مكسوة بالرخام ، والى اليسار ممر قصير يؤدى الى المراحيض وهى فى حجرة من ستة جوانب ارضها مبلطة وجدرانها مكسوة بالرخام ، وكان سقفها مستقرا فوق اعمدة كورنتية بسيقان شيبولينو ، وما زالت المقاعد والمجارى بحالة جيدة • على يمين مدخل البهو يمتد دهليز طويل ارضه بالفسيفساء الابيض والاسود وتشير الترميمات التى عليه الى ثلاثة عصور مرت بها ويؤدى الدهليز الى صف من الحجرات على الجانب الشرقى من المبنى • كان بطرفى الدهليز حجرتان واحدة منهما بمنحنيان متقابلان والاخرى مستطيلة • وفيما ورائهما حجرة كبيرة ارضيتها مكسوة بالفسيفساء الملون تتصل من الشمال بحجرة

اخرى بها حمام مستطيل فى طرفها الغربى وبشمال هذه الغرفة توجد بقايا حجرة اخرى فى غربها منحنى وارضيتها ساخنة ٠

وبعد أن يعود الزائر الى المدخل ويحيد الى اليسار مرتين وهو سائر بموازاة الضلع الجنوبى من حمامات البحر ، يصل الى شارع هام على يمينه يمتد بموازاة الكاردو ، وعلى جانبى هذا الشارع منازل ، كثير منها تحتوى فى البادرمات على نماذج طيبة من الصهاريج لتخزين المياه ٠ وبالطرف الجنوبى من هذا الشارع توجد فجوة شقت حديثا فى الجدار البيزانطى ، تطل على الديكومانوس ، وهذا الاخير يحف بالجدار البيزانطى ويتجه شرقا نحو الحى الذى أقم بالمدينة فى القرن الثانى ٠ على مرمى حوالى ثلاثين ياردة من تلك الفجوة توجد اثار طفيفة لقوس من أربعة جوانب كان منتصبا عند مفارق الطرق ويحجبه من الغرب انحناء فى الديكومانوس نشأ عن اتصال الحيين القديم والجديد ببعضهما ، كانت المساحة الى شرق هذا الانحناء مقبرة للمسيحيين ضمن ما وجد بها فى منتصف الطريق قبر بكسوه الستوكو ، ملون بالاحمر ، وعليه شعارات مسيحية مثل الصلبان والطواويس والحمام ، وفروع الكرم ٠ وتشير كتابة بالالوان أيضا الى وجود طفلين فى الثالث والسادس من العمر ٠ ويرجع القبر غالبا الى القرن الخامس ، وهو نموذج للقبور القديمة ٠

ان أول مبنى على يمين الديكومانوس، بعد أن يدخل المرء الى الحى الجديد هو معبد هيرقل (١٣) Temple of Hercules الذى ينتصب خلف فناء صغير مستطيل يواجه المدخل الوحيد له من الشارع ٠ وتمتد على جوانب الفناء أروقة مرتفعة ينتهى جدارها الخلفى بمنحنيات نصف دائرية تعلوها قباب نصفية مماثلة للاروقة الجانبية بمعبد الفوروم الجنوبى (ص ٩٤) ٠ كانت أعمدة الاروقة كورنثية بسيقان من شيبولينو ٠ ونقش تدشين المعبد على العوضة السفلى التى بجبهتها ، ويرجع تاريخ اتمام بنائه الى عام ١٨٦ ب٠م ٠ كانت أرضية الاروقة بالرخام الابيض وفوق قواعد الاعمدة مكعبات من حجر البريشيا الاحمر ، وكان الجدار من فوقها مطليا بالستوكو٠، ولعله كان يحمل رسومات ملونة لمناظر ومخلوقات ، مثل الاقبية النصفية والكوات التى رفعت الى المتحف ٠ ولم يبق من المعبد الا الاساس وكان قائما فوق مسطبة مرتفعة بسلالم ، وأمام هذه الاخيرة نسخة لتمثال هرقل وهو جالسا Herakles Epitrapezios وهى التى صنعها النحات ليزيبوس Lisippus ولا يتبقى منه الا قطعة صغيرة ٠

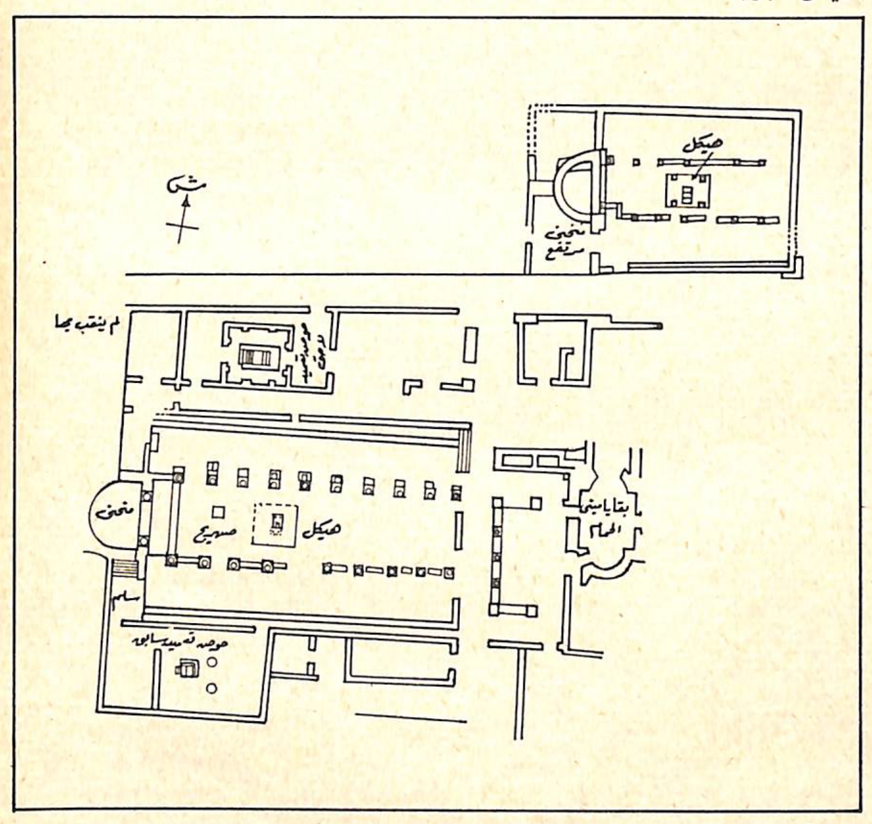
بشرق معبد هرقل مباشرة توجد حمامات وضعت بمخطط غير منتظم وتعرف باسم **حمامات المسرح** ٠ تولج الحمامات من الشارع بدهليز على جانبه الايسر مراحيض

تؤدى الى مجموعة من ثلاث حجرات كانت تستعمل غالبا لخلع الملابس apodyteria ، وبالجانب الشرقي من اخر حجرة يوجد باب يفتح على فريدجيداريوم ، وهو عبارة عن قاعة بقبة مستطيلة يفتح طرفها الجنوبى الطويل على مغطسين باردين بقباب وتفصل بينهما كوة بوسط الحجرة . كان ضمن نقوش فسيفساء الارضية اطاران مستديران (رفعا الى المتحف) وبداخلهما رسم لمستلزمات المستحمين (مثل المقاشط وقوارير الزيت والصنادل) مقترنة بجملتي : lava bene اغتسل جيدا ، salvom larisse الاستحمام يفيدك .
كانت جدران القاعة مكسوة بالرخام في أول عهدها ثم زينت فيما بعد بالالوان على هيئة الرخام . كانت زخارف الستوكو التى على القبة تدل هى الاخرى على فترتين ، ففى أول الامر كان على الجانب الشمالى من الفيدجيداريوم بابان ، ثم أغلق الباب الشرقى منهما . أما الباب الغربى فيفود الى دهليز (يولج أيضا من الحجرة الثانية لخلع الملابس) ، ومن الدهليز الى غرفتين صغيرتين ، وأخيرا الى الكنداريوم ، وكان تحت أرضيته فرن ، كما أنه يحتوى على مغطس . ومازالت اثار الفرن باقية عند الطرف الشمالى للمغطس ، وكان الوصول الى ذلك الفرن غير ممكن الا من الخارج .

واذ يسير الزائر في الديكومانوس شرقا ويتبع ثالث منحنى الى اليسار باعتبار الشارع الموازى للجانب الشرقى من حمامات المسرح أول منحنى ، يصل الى بازيليكتين مسيحية (١٥و١٤) ، وغالبا أنهما كانتا متماثلتين فى شعائر العبادة ويبدو من شكلهما الاصلى أن تشييدهما تم فى أواخر القرن الرابع ، ومع ذلك يبدو أن تغييرات كثيرة أدخلت عليهما ، غالبا بعد الفتح البيزانطى (لوحة ١٣) .

كان الجانب الشرقى من البازيليكا الكبيرة وهى أقرب للجنوب يتقدمه اتريوم (رواق أمام الكنيسة) . وهو عبارة عن ساحة مستطيلة احتلت جزءا من جدران حمامات من عهد سابق ويحيط بالجزء المكشوف من وسط الساحة رواق من أربعة جوانب بأعمدة رباعية فى أركانه . وعلى جانبه الغربى ـ وأغلب الظن على الجانب الشرقى كذلك توجد ثلاثة أعمدة صغيرة كورنثية تتوسط أعمدة الاركان . وتؤدى ثلاثة أبواب من الاتريوم الى الطرف الشرقى من الكنيسة وكان مخططها يطابق المخطط البازيليكى المتبع من حيث التقسيم الى صحن وجناحين ومنحنى بالطرف الغربى . كان الاتريوم والجزء الرئيسى من الكنيسة الاولى قائمين على جدران كانت لمبنى سابق أشبه بالبهو أو الساحة ، لكن البيزانطيين شيدوا جوانب جديدة زحفت الى الداخل عما كانت عليه سابقاتها بقليل ، وذلك لاختصار مساحة السقف . كانت أعمدة الفناء بالطراز الكورنثى بسيقان من الجرانيت الرمادى ، أخذت من مبنى يرجع الى حوالى عام ٢٠٠ ب.م . وغالبا كانت الاعمدة تحمل أقواسا . ومن الفتحات العشر التى بين الاعمدة كانت ثمانية يحتويها فاصل المقدس ، وما زالت

الثقوب التى حفـرت له موجودة فى قواعد الاعمدة · وفى الوسط نجد الهيكل ، وكان فى أول الامر مصـــنوعا من الخشب ، ثم استبدله البيزانطيـــون بالرخام ، ومازالت أجزاء من قاعدة الهيكل البيزانطى والمنصة المحيطة به بحالة لا بأس بها · وفى قاعدة الهيكل تجويف للمخلفات المقدسة وثقـوب كان فوقها أعمدة صغيرة تحمل أعلى الهيكل



مخطط ١٣ بازيليكا مسيحية ـ صبراته

الرخامى ، كانت أرضية الصحن التى بين الهيكل وأرضـــية المنحنى المرتفعة مكسوة بفسيفســاء ملونة صـــنعت أثنـاء تشييد الكنيسة الاولى · وبالفسيفساء أيضا كتب اســـم فلافســـوس بونيفاشـــيوس Flavius Boni (fatius?) الـذى قدمها هـــدية · ومن المفارقات أن نجـد صهريجا لتخزين المياه بوســـط المقدس ، ولعله كان فى مبنى قديم ، ونفس التعليل ينطبق على بقعة صـغيرة من الفسيفســاء برسومات هندســـية موجودة أمام المنحنى مباشرة · كان المنحنى فى أول الامر يولج

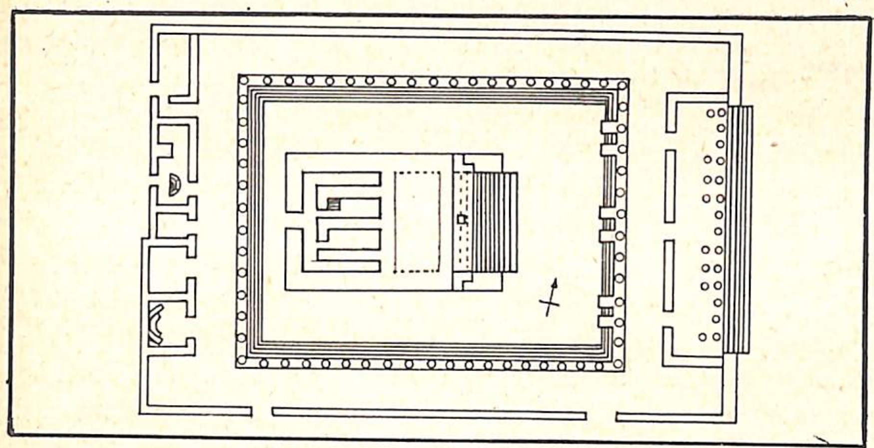
بسلم صغير فى الجنوب ، وقام البيزانطيون ببناء سلالم أمامه ترى أول درجة منها مغروسة بداخل فسيفساء صحن الكنيسة ، كذلك رفع مستوى أرضية المنحنى ببناء حاجز منخفض على وتره قطع فسيفساء الأرضية • وعلى وتر المنحنى البيزانطى وغالبا المنحنى الذى سبقه ، ينتصب عامودان كانا يحملان الحائط الحاجب للمقدس مثل الذى فى بازيليكة الفوروم (ص ١٠٠) •

كان فى الركن الجنوبى الغربى بالكنيسة باب يؤدى الى حجرتين كانتا هى الاخرى فى مبنى سابق ، ولا شك ان الاولى منهما كانت حجرة القساوسة ، أما الثانية – ويعلوها سقف يرتكز على عامودين – فكانت للتعميد وفى أرضيتها تجويف مستطيل لهذا الغرض • ان كلتا الحجرتين كانت قائمة فى أيام الكنيسة الاولى ، ومما يثبت ذلك وجود الفسيفساء التى تكسر أرضيتهما وهى شبيهة بالنمط الفنى الذى عولج به صحن الكنيسة والمنحنى • وفى تاريخ لاحق أقيم مكان اخر للتعميد فى مجموعة من الحجرات بالجانب الشمالى من الكنيسة ، وكان حوض التعميد مستطيلا مثل الحوض الاخر تحيط به جدران أشبه بدورة تزدان من الداخل بأعمدة رباعية •

وكانت البازيليكا الاصغر حجما على بعد بضع ياردات تجاه الشمال الشرقى من البازيليكا الكبرى ، بالجهة المقابلة لها من شارع ضيق ، كانت مشيدة فى الركن الجنوبى الشرقى من مساحة مستطيلة يحتلها بهو كبير بثلاثة أجنحة ، وربما أيضا بمستودع بضائع ، وقد كشف عن أساس جدرانهم • كانت الكنيسة تولج من بابين صغيرين يفتحان كلاهما على الجناح الجنوبى ، واحد منهما بأقصى الغرب من اخر فاصل لما بين الاعمدة ، والثانى فى الطرف الشرقى من نفس الجناح • وكانت أعمدة الصحن من الشيبولينو سبق أن استعملت بمبنى اخر وكانت فى الغالب تحمل أقواسا بين العامود منها والاخر جدار يكون ستارا يحجب المقدس • أما منصة الهيكل فكانت معاصرة للمبنى الذى قام البيزنطيون باعادة بنائه عندما رفعوا مستوى أرضية الكنيسة كلها • وفوق الهيكل يرتكز السيبوريوم على أربعة أعمدة من ستوكو حجر الرمل • والمنحنى المرتفع الحالى بالطراز البيزانطى ، يولج من الامام بسلم ، وتوجد تحت جانبه الشمالى اثار أساس لمنحنى سابق فى اتجاه منحرف قليلا • وغالبا ماكان يوجد عامودان صغيران يساندان جدارا حاجبا عند فتحة المنحنى كما هو الوضع فى البازيليكا الكبيرة • وفى اخر تخطيط للمبنى – هذا ان لم يكن من قبله – كان مؤخر المنحنى محاطا من خارجه بجدران على هيئة مستطيل ، والمساحة التى أضيفت بهذه الطريقة قسمت الى حجرتين لخدمة الكنيسة وبينهما فاصل من الرخام الاخضر • وتولج الحجرتان من الاجنحة الجانبية ، كما زودت الحجرة الجانبية بباب فى جدارها الغربى •

على مرمى مائة ياردة تجاه الشرق بموازاة الشاطىء توجد بقايا حمامات صغيرة تعرف بحمامات (أوشيانوس Oceanus)اقيانوس –١٦– تتكون

من مبنى فى طرفه الشرقى قاعة كبيرة كانتاما فريدجيداريوم، أو تبيداريوم، فىجدارها الجنوبى منحنى يواجه مدخلها ، وفى كل من جانبيها تجويف مستطيل به مغطس بارد • أما الفسيفساء الزخرفية التى على الارض وحواف الاحواض ، فكانت على مستوى فنى رفيع ، وقد نقل الى المتحف الرسم السداسى الاضلاع الذى كان يتوسط القاعة وهو يمثل رأسا لاحد الهة البحر الذى سميت الحمامات حاليا



المخطط ١٤ ـ معبد ايزيس ـ صبراته

باسمه • بالركن الشمالى الغربى من الحجرة يوجد باب تزدان عتبته بفسيفساء تمثل صنادل ومقاشط وقوارير الزيت ، ويؤدى هذا الباب الى القاعات الساخنة • وأهم مايستلفت النظر بالنسبة الى هذه الاخيرة هى أرضيتها التى تسخن من أسفل وجدرانها التى تسخن بمرور الهواء الساخن خلال قوالب القرميد المجوفة tegulae hamatae

وعندما يواصل الزائر السير لمائة ياردة أخرى تجاه الشرق بمحاذاة البحر • يجد معبد ايزيس (١٧) الذى ثبت التعرف عليه من اكتشاف تمثال صغير وأجزاء من تمثال آخر لتلك الالهة ، وجزء من نقوش تدشين باسمها كان غالبا على التمثال الذى تحطم ، وجميع هذه الاشياء وجدت فوق مصطبة المعبد وهى حاليا بالمتحف • وقد حل معبد ايزيس (المخطط ١٤) مكان محراب صغير ، ويرجع عهده الى أواخر القرن الاول ب•م • والمعبد بوسط فناء معمد وله بوابة كبيرة بطرفه الشرقى ، وصف من الحجرات بموازاة طرفه الغربى ويلاحظ أن ستوكو حجر الرمل الذى شيد به المعبد كله أصابه التلف بشكل ـ ملموس بسبب التآكل ، كما تسبب هبوط الارض فى انهيار الركن الشمالى الشرقى من الفناء • وفى أواخر القرون القديمة شيد سور دفاعى عبر الطرف الشرقى من الفناء فوق أعلى السور الخارجى •

وهكذا عزلت البوابة الفخمة عن باقى المقدس وأصبحت تحمل الجانب الشرقى

كله • وتتكون البوابة من مدخل معمد مرتفع يسبقه سلم من سبع درجات ويحف بجانبيه برجان مستطيلان • والاعمدة الكورنتية بالمدخل كانت مرتبة على صفين: صف أمامي من أربعة عشر عامودا على أبعاد متساوية ، وخلفه مباشرة صف من ثماني أعمدة مناظرة للتى بالصف الثاني على الوجه التالى : للعامود الاول ومن الرابع الى السادس ومن التاسع الى الحادى عشر ثم الرابع عشر ، وبالمدخل المعمد ثلاث ممرات تقابل الثلاث فتحات التى فى صف الاعمدة الخلفى ، وكانت تؤدى الى فناء المعبد • وقد تهدم الجدار الشمالى من السور الخارجى ولم يبق منه الا الاساس • أما ماتبقى من اثار الجدارين الغربى والجنوبى فيدل على أنهما كانا مزخرفين من الخارج بأعمدة رباعية الاضلاع بداخل تجاويف ، وتنتصب فوق قاعدة مستمرة من الرخام • كذلك اكتشفت أجزاء من جبهة متاخمة أغلب الظن أنها من القطع التى كانت تتوج الاعمدة • وبالجدار الجنوبى يوجد بابان على جوانبهما أعمدة رباعية فى تجاويف تنتصب فوق الارض مباشرة • وقد أغلق الباب المقارب للجهة الشرقية فى أواخر العصور القديمة •

كان فناء المعبد محاطا من الداخل بطول جدرانه الاربع برواق من أعمدة كورنتية تشرف على المساحة المكشوفة من فوق أربع سلالم مستمرة (يرى منها الان خمس درجات أولها جزء من الاساس) • ويقاطع هذه السلالم فى الجانب الشرقى ثلاثة أزواج من كتل أو قواعد أعمدة مناظرة للثلاث مداخل التى بجداره الخلفى والمؤدية الى رواق المعبد الفخم • كان الجدار الخلفى من الرواق الشرقى مفتوح هو الاخر من كلا طرفيه على اكسيدرا (منحنيات) تكونت فى البرجين اللذين على جانبى رواق المدخل ، وخلف الرواق الغربى توجد بقايا لصف من ثمانى غرف يبدو أن الاولى منها ، ابتداء من الجنوب ـ كانت اكسيدرا مفتوحة مثل اللتين فى الجانب الشرقى • أما الحجرتين ٢ الى ٥ فكانت مغلقة وغالبا انها مقدس للالهة ايزيس • كان فى الحجرة الثانية ٢ قاعدة مقوسة لتمثال ترتكز فوق مسطبة تحتل النصف الداخلى من الحجرة ، وتولج بسلم صغير من الركن الجنوبى الغربى من الحجرة الثالثة ٣ • وكلتا الحجرتين ٣ و ٤ تحتوى على قواعد تماثيل ، وأرضية الحجرة ٤ تكسوها الفسيفساء • كانت الحجرة ٥ أكبر من باقى الحجرات ويوجد بطرفها الجنوبى نصف دائرة من الحجارة بمستوى الارضية ، وهى فى الغالب بقايا مذبح نصف دائرى كانت تقدم عليه القرابين لالهة العالم السفلى • وبطرف الغرفة ذاتها من الشمال توجد قاعدة كبيرة لتمثال وأمامها مذبح صغير مستطيل الشكل • أما الحجرة ٦ فكانت ممرا يؤدى الى الحجرتين ٧و٨ وهى تفتح على بعضهما ، والغرض منها غير واضح • وأمام الحجرة ٥ تحت الارضية الممهدة اكتشفت مسطبة لهيكل سابق العهد تشير طريقة بنائه انه يرجع الى قرابة أوائل القرن الاول ب• م•

كان المعبد موازيا لمحور الفناء ، وكان أقرب للرواق الغربى منه عن

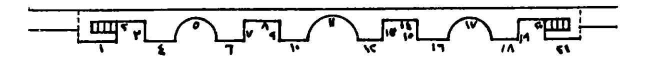
الشرقى ، وينتصب فوق مسطبة عاليــة مزخرفة ، تمتد جوانبــه من الجهـــة الشرفية بحيث تصبح قواعد جانبيـــة للسلالم العريضــة المؤدية الى الرواق . وثمة قاعدتين أصغر حجما الى الامام عند أسفل السلالم بحيث تصبح منصــــات لعدد من الهياكل الصغيرة ، بينها هيكل من ثمانى أضلاع وكل هذه القطع شيدت بتاريخ لاحق . كان تحت المصطبة دهليز معقود طويل يخترقها بالعـرض مارا من تحت السلم ، ويمكن الوصول من الدهليز الى فم صهريج لتخزين الماء . والبـــاب الذى فى مؤخرة المسطبة أمامه درجتـــان تهبط الى دهليز يمتد حول ظهـر وجانب المبنى من الداخل ، ويحتوى حجـــرتين مستطيلتين مسقوفتين بقبوتين متجاورتين تمتدان فى اتجاه محور المعبد . وكلتـــا الحجـــرتين تفتحان غربا عــلى دهليز ، وتتصل الحجرة الجنوبية بالقـــاعة التى تعلوها وسلم صغير فى ظهـــر المعبد . ولعل السبب فى هـــذا الترتيب غير العادى يرجع الى الطقوس السرية الخاصة بعبادة الالهة ايزيس . ولم يبـق لحجرة المعبد أثر ، كانت مربعة وربمـــا كانت مقسمة بالطول الى جـزئين يتمشيان مع تقسيم الحجرتين اللتين بأسفل المبنى ومن الخارج كان المعبد محاطا من الاربع جهات بأعمدة كورنتية .

وعلى بعد حوالى نصف ميل من شرق معبد ايزيس ، و٢٥٠ ياردة من شـــاطىء البحـــر يقوم المسرح الدائرى amphitheatre ليس مدرجا بالمخطط) وهو يرجع غالبا الى أواخر القرن الثـانى . كانت مساحة الارينـا (ســاحة الملعب) بيضاوية وتوازى ثلثى مســـاحة أرينـــا الكولوسيوم Colosseum فى روما ، يحيط بها (كافيا) مدرج لجلوس النظارة وهذه الاخيرة تتكون من منطقتين بيضــاوية واحدة بداخل الاولى يفصــل بينهما ممشى داخلى تحت الارضية . وبالطرفين الشرقى والغربى من المدرج توجد ممرات مكشـوفة تؤدى من الخارج الى الساحة المباشرة وتقسم المدرج الى نصفين موازيين لمحـــور الملعب الطويل . والمبنى بحالة أفضل من الجهـة الجنوبية الشـرقية ، وهو مشــيد فى منخفض ، وربما كان المحجـــر الذى مون المدينة عند قيام الحى الجديد فى القـــرن الثانى . وينتصب المدرج الى أعلى بقليـــل عن مستوى الارض المحيطة به ولم يبق منه الا الجزء الاسفل من جانبـــه المقوس الذى تتفرع منه ممرات تنفرج حتى تصـــل الى الممر الداخلى مارة تحت المنطقة العليـــا من المدرج على مسافات متوالية من بين الاعمـدة الرباعية التى تحملها . وعلى مســـافات أخرى متوالية توجـد سلالم مـــن حجر تربط بين الممر الداخلى بالمنطقة العليـــا ، وأغلب الظن أنهـا كانت مسـقوفة بالخشب نظرا لعدم وجود أى أثر عقود حجرية هناك . ومن الدهليز الداخلى تتشعع سلالم تمر من تحت أعلى صفوف مقاعد المنطقة الثانيـــة السفلى وتفتح على الصف الامامى حيث توجد سلالم صغيرة خارجيـــة منحوتة فى المقاعد الحجرية ، ترتفع الى أعلى المنطقـة على جوانب الارينا ، تحت الصف الامامى من

المقاعد يمتد دهليز معقود للخدمات يفتح بمسافات متوالية على الارينا ويتصل طرفاه بالمداخل المكشوفة فى الجهتين الشرقية والغربية • كانت الحيوانات والادوات اللازمة تحجز فى قاعات كبيرة منحوتة فى الصخر على جانبى الدهاليز بحيث يسهل احضارها الى نقاط مختلفة على حافة الارينا دون أن يراها المتفرجون • وفى منتصف الناحية الجنوبية من تحت المدرج يمتد ممر معقود يربط الدهليز الجنوبى مباشرة بالخارج • وقبالة النقطة التى ينتهى عندها الدهليز يوجد سلم يهبط الى الذراع الجنوبى من خندق بشكل صليب منحوت فى الارض الصخرية بالارينا • وكان يستعمل لرفع المؤثرات المسرحية الى أعلى ، وكما هو متبع، كانت تعلوه أرضية من خشب •

أما المسرح (١٨) فهو من المعالم البارزة بحيث يمكن الوصول اليه بسهولة ، يرجع تاريخ تشييده الى الربع الاخير من القرن الثانى ، مثل الحى الجديد ، ويعتبر محورا له ، وعند بدء التنقيب لم يكن قائما منه الا الجزء الادنى من الجدران ، ومع ذلك فقد استطاع الايطاليون بعد دراسة البقايا المتناثرة من أن يعيدوا بنائه الى حد كبير ، طبقا للصورة الاصلية (اللوحة ٢٢) •وكان المسرح مشيدا على الطراز الرومانى التقليدى ، فكان المدرج نصف دائرى ، من ثلاثة طوابق ومرتبط بالمبنى المستطيل الذى بخلف منصة التمثيل والذى يصل ارتفاعه الى مستوى قمة المدرج • كان المبنى مستقرا فوق منصة صخرية طبيعية يهبط وسطها قليلا على الجزء الاسفل من المدرج ، وقد استعمل فى بنائه حجر الرمل وطليت الاجزاء المرئية منه بالستوكو الابيض •

وقد أعيد بناء أجزاء قصيرة بالطابقين الاول والثانى من واجهة المدرج الخارجية بالجنوب الشرقى ، والجنوب الغربى •ويكون كل طابق من الصف أقواسا مفتوحة فوق دعائم ضخمة باستثناء واحدة فى الطرف الشرقى من نصف الدائرة حيث يوجد جدار قصير مستقيم يلاصق الطرف الشرقى من مبنى منصة المسرح محتلا مكان أحد الاقواس • وكانت أعمدة الاقواس المفتوحة هذه رباعية الاضلاع بالطراز التوسكانى ، تفصلها أعمدة رباعية أضخم تحمل جبهات مستعمرة • أما الطابق الثالث فلم يمكن معرفة الطريقة التى عولج بها على وجه التحديد ، ولكن من المعلوم أن من فوقه كان يوجد صف من الكوابيل البارزة للصوارى التى تحمل المظلات للوقاية من الشمس •



المخطط رقم ١٥ : رسم لواجهة منصة التمثيل بمسرح صبراتة

كان بالطابق الارضى ست وعشرون فتحة تحت الاقواس ، تؤدى الفتحتان المتان فى الطرفين الى ممر منحدر (كونفورنيكاتو conformicato ينتهى مباشرة عند الاوركسترا • أما باقى فتحات ماتحت الاقواس ، فكانت تؤدى الى دهليز معقود نصف دائرى يمتد بموازاة جدار المدرج من الداخل وينتهى طرفاه عند الكونفورنيكاتو على الجانبين • وقبالة الاقواس التى على الجانب الخارجى من

الدهليز النصف دائر يوجد خمسة وعشرون مدخلا بأقواس تفتح على الدهليز من جانبه الداخلي ، وستة من هذه المداخل (رقم ١ ـ٥ ـ ٩ ـ١٧ ـ ٢١ـ ٢٥ ابتداء من الشرق) مجهزة بسلم ضيق ينحنى مرتين بزوايا قائمة بحيث يصل الى دهليز نصف دائر يمتد فوق الدهليز الارضى مباشرة ، وستة أخرى من هذه المداخل (رقم ٣ ـ ٧ ـ ١١ ـ ١٥ ـ ١٩ ـ ٢٣) تحتوى الثلاثة الاولى منها عتبة منزلقة (لعلها كانت تحمل بابا دائرا) وكانت تؤدى الى ممرات في اتجاهات منفرجة تتصل بدهليز داخلي نصف دائر بمستوى الارض • وكان هذا الدهليز الثاني ، مثل الدهليز الذى يحتويه ، ينتهى هو الاخر عند الكونفورنيكاتو على الجانبين • أما الثلاثة عشر مدخلا الاخرى فكانت تفتح على حجرات معقودة لعلها كانت مخازن أو استراحات لاخذ المرطبات •• الخ •

كانت مقاعد المدرج مقسمة الى ثلاثة مناطق يفصل بينها دهاليز نصف دائرة • يمكن الوصول الى الدهليز الاعلى عن طريق ست ممرات للخروج (فوميتوريا) تتشعع من الدهليز الاعلى النصف دائرى • أما الدهليز الاسفل فكان به خمس ممرات تتشعع من الدهليز الداخلي الارضى • وكان المتفرجون يهبطون أو يرقون من والى أماكنهم بسلالم ضيقة تقسم كل منطقة من المقاعد الى مجموعات ضيقة القاعدة منفرجة الجوانب cunei ، وحول نصف دائرة بالرخام للاوركسترا تمتد أربع درجات منخفضة بالرخام هي الاخرى ، كان يوضع من فوقها مقاعد لاعيان المتفرجين • ويفصل الاوركسترا عن باقي المدرج حاجز منخفض من الرخام تتوسطه فتحة وينتهى طرفاه بتمثال لحيوان الدلفين • وبين كل دلفين والمسرح ممر (كونفورنيكاتو) يقود الى الاوركسترا •

وتزدان واجهة منصة المسرح (لوحة ٢٣) برخام يحمل نحوتات بارزة بكورنيش مستمر يشكل ثلاث مجموعات متتاليه من منحنيات مستطيلة ونصف دائرية على التوالى ، ويفصل بين المنحنى والاخر واجهة قصيرة مستقيمة يتاخم كل جانب منها ثلاث أرباع عامود صغير بالطراز الايونى ، وفي طرفى القاعدة لوحة من الرخام مطابقة لتلك اللاتي تفصل بين المنحنيات مع فارق عن الاعمدة التى تتاخمها ، فهى رباعية ، وتحجب هذه اللوحة سلما صغيرا يؤدى من المنحنى المستطيل الاخير الى منصة المسرح • أما المناظر (لوحة ١٥) المنحوتة على المنحنيات فكانت كالاتى : (١) راقصتان ، (٢) اثنان من الفلاسفة يتجادلان ، (٣) مزولة فوق عامود ، ولفائف أوراق على قاعدة ومعها لوحة كتابة ، (٤) الاهة الحظ ، ومعها عجلتها ، (٥) الموزيات الثلاث (٦) مفقودة ، (٧) سلسلة وجزء من فراش ، (٨) منظر من تمثيلية لعبد ضبط وهو يسرق ، (٩) منضدة بثلاثة أرجل ، (١٠) مفقودة ، (١١) صب الخمر وتجسيم روما وصبراته في شكل امرأتين تمسك الواحدة بيد الاخرى أمام جنود ، وثور يقدم كقربان ، (١٢) الاله هرمس Hermè والطفل ديونزيوس ، (١٣) قناعان للتمثيل الهزلى ، (١٤) منظر من تمثيلية تراجيديا ، (١٥) قناعان تراجيديا ، (١٦) ساتيروس

والحسناوات الثلاثة وحكم باريس ، (١٨)الهـة النصـــر فيكتوريا ، (١٩) مفقودة ، (٢٠) منظر من تمثيلية صـــامتة ، (٢١)راقصة (واحدة والثانية مفقودة) . وتحت مقدمة منصــــة التمثيل يوجد خنــدق كان الستار يسدل فيه عند بداية العرض .

وكانت جوانب المنصة ومؤخرتها محاطة بواجهة مبنى المسرح scaenae frons وجوانبه versurae . كان في المقدمة ثلاث منحنيات نصف دائرة ، الاوســـط منها أكبر من أخواتها ، وبتلك المنحنيـــات توجد الابواب التقليدية التى تفتـــح عـــلى المنصة وهي عبارة عن باب يسمى porta regales وعلى جانبيـــه بابان أخـــران portae hospitales وتمشـــــيا مع المنحنيات ، يرتفع من فوقهم ثلاث طبقات من الاعمدة الفردية ، تزين الجدار الذى لاينحرف عن اتجاه المنحنيات الا حيث توجد الابواب والفتحات التى تعلوها ، فينتصب عامودان فوق كل طابق تفصلهما مسافة أوسع بحيث يكونان مدخـلا معمـــدا مستطيلا . كانت الاعمدة الاثنى عشرة بالمداخل المعمدة التى فى الطابق الاول قائمة فوق كتل منخفضـــة متاخمة للسلم الذى يهبط من الابواب الثلاث وهى بالتالى ، أطول من باقى الاعمدة التى بنفس الطـــابق والتى تنتصب فوق كتـــل مستمرة . كذلك كانت أعمدة الطابقـــين الثـــــانى والثالث تعلو كتل مستمرة هى وأنظمة الطوابق الثلاثة كورنتية الطراز ، بناء تلك الكتل الا جزئيا وبشكل متقطع . الاخرى . وفى الطابق الاعلى لم يمكن اعادة والطابق الاول كله والمداخل المعمدة بالطابقين أعلاه صنعت سـيقانها برخام الســـينادى(بافوناريتو pavonazzetto ، كما أنها ليست مخددة . أما باقى الاعمدة فى الطابق الثانى فجميعها بسيقان من الرخام الابيض. وكانت تلك التى فى الزوايا بأخاديد لولبية والباقى بأخاديد مستقيمة . أما باقى الاعمدة بالطابق الاعلى فكانت سيقانها من الجرانيت الاسود وملساء . أما الاعمـــدة بحجـــر الترافرتين فهى حديثـــــة ، وتزدان بعض تيجـــان الطابقين الاول والثـــانى بأقنعة وبالنصف الامامى من حيوانات . وبطـــون عرضة الطابق الاول تمتد كتابة لم يتبق منها الا كلمة : لاكونا LACUNA ليس الا. وكانت جوانح المسرح (الفرسورة — مزدانة هى أيضا بثلاثة أزواج من أعمـــدة كورنتية تعلو بعضها ، كان أدناها يحفــــه باب ، بينما يحف الزوجان الاخران نوافذ ، أو كوات . وكانت الاعمدة فى تلك الجهــة بسيقان شيبولينو ، قريبة من الجـــدار ، منتصبة فوق قواعد فردية ، بينمـــا تمتـد جبهة كل زوج أعمدة ملاصقة للجدار ، ويعلو منصة المسرح ســـقف منحدر من الخشب تحمله كوابيل . والابواب الثلاث بمقـــدمة المسرح تتصل عن طـريق ممرات قصـيرة بالابواب المناظرة لها بالجدار الخلفى الضيق بمبنى المسرح . أما الابواب الستة الباقيـة بهذا الجدار فكان أربع منها مداخل لاماكن غير منتظمة الشكل بين الجـــدار وظهـــر المنحنيـــات . وأغلب الظن أنهـــا كانت مستودعات للوازم المسرح . وينتهى الجدار من الطـــرفين ببـــاب يؤدى بســـلم الى الطـــابق الاول من مقـــدمة المســرح

الذى كثير: ماكان الممثلون يظهرون عليه ٠أما الجدار فكان يواجه مايسمى porticus post scaenam وهو عبـــارة عن رواق بثلاثة أعمدة كورنتية من ستوكو حجر الرمل ، ويحيط الرواق بحديقة ٠

وتفود الابواب التى فى جوانب المنصة ـ فرسوره ـ خلال قاعات صغيرة الى حديقتين مسقوفتين مستطيلتى الشكل واحـــدة بكل طرف من مبنى المسرح ٠ وكانت كل حديقة تولج أيضا من بابين بالناحية الجنوبية من الاوركسترا وباب واحد فى طرفها الخارجى، على الشارع ٠ كانت الحديقة الغربية أكبر حجما وأفخم شكلا ، وأرضها مبلطة بالرخام وقد أعيد تركيب جزء من اللوحات المزخرفة بأشكال هندســـية ، التى كانت تكسو جدرانها ٠ ويقسم الجزء الشمالى من الحديقة سلسلة من حواف بارزة بالجدار لعلها كانت تحتوى على دواليب للكتب ، وبخـارج باب الحديقة الغربى كان يوجد مدخل معمد فى الشارع ٠ أما الحديقـــة الشرقية ـ وهى أصغر حجما فكانت تطل من جانبها الشمالى على رواق ايونى يتصل بالزاوية الجنوبيـة الشرقية من الباب الخلفى للمسرح ٠

وبالجنوب الغربى من المسرح نجـد البيت المعمد Peristyle House (١٩) وقد أطلقت عليه هذه التسمية اشارة لفنائه المزدوج بحديقة معمدة ، يحتويهما المنـزل بوسطه ٠ كان الفناء مستطيل الشـــكل ، بانحناء طفيف فى أحد جوانبه ، أما أعمدته التى بستوكو حجر الرمل فكانت كورنتية ، الثلث الاسفل من سيقانها أملس ، والثلثان الباقيـــان عليهـا أخاديد مبرومة ٠ حول أســـاس المنـــزل يمتـد دهليز منخفض crypto porticus يولج بسلم من الجهة الغربيـــة ويفتح الى الخارج على عدد من الحجـــرات تحت الارض ، احداهمـا مبلطة بالفسيفساء ٠ وكل من الحجرات والدهليز مســـقوف بدعائم من الخشـب مثبتـة فى الجدران ٠ وعلى سطح الارض يتكرر هـــذا النظام فى شكل الاعمدة المحيطة بالفنـــاء بدروم) ٠ يرجع تاريخ هذا المنزل الى ماقبل حجرات مبنية عـلى الارض مباشـرة (دون بدروم)٠ يرجع تاريخ هذا المنزل الى ما قبل الحى الذى قام فى القرن الثانى ، وبالتـالى فهو لا يتمشى مع تخطيطه ٠ وهو غالبـــا كان فيللا بالضواحى ، خارج المدينـــة التى ترجع للقرن الاول ٠

وقرابة مائتى ياردة الى الجنوب الغربى من المدخل العام للحفائر (١) وعـــلى وجه التحديد بجنوب مكاتب الحفائر مباشــــرة توجد اثار بحالة جيدة لحمامات صـــغيره ملحقـــة بفيلـلا (غير مدونة بالمخطط) ٠ ويؤدى مدخلها بالجهة الغربية ، من خلف رواق بأعمدة من ستوكو حجر الجير ، الى فسحة مربعة بها عامودان داخليان بقرب جدارها الجنوبى الذى تقع الفيللا من ورائه ، علما بأنه لم يتبق منها شىء يذكر ٠ وأرضية الفسحة تكسوها رقع خشنة الصـــنع من الفسيفســاء الابيض والاســـود ويوجد من

تحتها اثار لطبقة سـابقة من الفسيفساء ،وبالجدار الشمالى من الفسحة توجد ثلاثة أبواب يقود الذى بالطرف الغربى منها الىمرحاض صغير أرضيته بالفسيفساء • أما البابان الاخران فيؤديان الى حجرة بأرضيةمن الفسيفساء تؤدى من الشمال خلال عامودين الى حجرة متهدمة حاليا ، ومن الشرق خلال عامودين اخرين ، تؤدى الى الفريدجيداريوم ، وهذا الاخير عبارة عن قاعة مستطيلة بها مغطس بارد ومنحنى فى وسط كلا الجدارين الجانبيين • والمغطس الشمالى مسدس الجوانب أما الجنوبى فمستطيل وطرفه على شكل حدوة الحصان، والفسيفساء الجميلة التى تكسو الارض وتزين المغاطس ترجع الى القرن الثانى أو الثالث غالبا • وعلى جانبى الحجرة ، بين المغطسين والجدار الشرقى يوجد باب يؤدى الى حجرة صغيرة تمتد بالعرض وتفتح على أحد الاطراف المستديرة • كانت الحجرتان الصغيرتان مجهزتين بأفران تسخن الارضية من تحت الفسيفساء ، ووظيفة الحجرتين حبس الحرارة لثلاث حجرات ساخنة • والحجرة التى فى الطرف الشمالى من هذه المجموعة الثلاثية كانت تولج من باب منحرف بالحجرة الساخنة الشمالية وكانت ـ كلداريوم ـ بمغطس مستطيل الشكل فى جانبه الشمالى ، واخر فى جانبه الشرقى على هيئة (كليه) • كانت أرضيتها تسخن بفرن من تحتها وجدرانها تسخن بالهواء الساخن عن طريق قوالب مفرغة ، والحجرة الوسطى ـ من تلك الحجرات الثلاث ـ صغيرة مستطيلة الشكل ، ولعلها كانت لاكونيكوم ، أى حجرة العرق ، وتقع فوق الفرن مباشرة • أما الحجرة الجنوبية وهى ثالثة تلك المجموعة فكانت مستطيلة ، بها منحنى فى طرفها الشرقى ، أرضيتها مجهزة بحجرة تسخنها من تحت الفسيفساء ، لكن جدرانها لم تكن ساخنة باستثناء ماسورتين كبيرتين من القوالب المفرغة ، واحدة بالجدار الغربى وأخرى بالجدار الشمالى رضعتا لسحب الهواء الساخن من الفرن خلال حجرة سفلى ساخنة ، وتوجد بقايا لاربع مواسير مماثلة بالحجرة الصغيرة الجنوبية • والى شرق تلك الحجرات الثلاثة توجد حجرة الغلاية •

أما طريقة توصيل الماء الى صبراته ،فليس لدينا عنها الا معلومات بسيطة ولاشك أنها كانت عملية معقدة • الى جنوب مكان محطة السكة الحديد بالمدينة الحالية توجد بقايا قناة بنيت لتوصيل الماء ، ويمكن تتبع هذه القناة الى مسافة حوالى ثلاث كيلو مترات فى اتجاه الجنوب الشرقى كان يعلوها عقد يرتفع على قاعدة سميكة من الاسمنت ، وتمر من وقت لاخر ، خلال فجوات أشبه بالعلبة بها فتحات مستطيلة للتفتيش والتنظيف • وبشمال المحطة ،تظهر القناة ثانيا الى غرب طريق مزروع بشجر السرو يربط بين صبراته ومقر الحفريات ، ويقطعها طولا متجها الى المسرح ، وبعد هذا بقليل يصل الى بقعة فوقها رصيف للسكة الحديد أهمل ، وينحنى عند تلك البقعة ثم يدور كأنه يتجه الى الحى الغربى من المدينة •

مواقـع وبقايا اثريـة

ان المنطقة الساحلية خارج المدن الثلاث ، وفى الدواخل الى حافة الصحراء بالاراضى الليبية تزخر باثار للحياة الزراعية والحصون الحربية القديمة • والمسح الشامل للمواقع الاثرية والمبانى القائمة لا يمكن عرضه فى كتاب مثل هذا حتى اذا تيسر الحصول على المعلومات اللازمة • وكل مانستطيع عمله هو محاولة تقديم وصف مختصر لبعض صور نموذجية لتلك الاثار •

الطرق الرومانية ومعالمها :

ان معلوماتنا عن نظام تخطيط الطرق فى طرابلس ابان العصر الرومانى أخذ بعضها من مراجع تاريخية مدونة ، وأخذ البعض الاخر مما تبقى من اثار • أما المراجع •• فهى اثنان : ما يسمى Tabula Peutingeriana ، وهى عباره عن خارطة لطرق الامبراطورية الرومانية ، تحليها صور يرجع عهدها غالبا لتاريخ حكم كومودوس (١٨٠-١٩٣ ب•م) ، والدليل الانطونينى Antonine Itinerary الذى وضع فى أوائل القرن الثالث • اما ما تبقى من اثار فيكاد أن يقتصر على معالم الطرق ، وبخارج نطاق المدن الساحلية لم يكشف بعد عن أى أثر لطرق رومانية معبدة فى ليبيا ، ويمكن التكهن بأن الطرق لم تكن معبدة فعلا ، حتى الرئيسية منها • وأقدم معالم للطرق فى ليبيا ، ترجع الى عهد كركالا (٢١١-٢١٧ ب•م) وتتكون من عامود اسطوانى بحجر الجير قطره خمسة عشر بوصة ، يصل ارتفاعه الى ما يقرب من سبعة أقدام ، ويستقر فى ثقب بداخل قاعدة من الحجر مستطيلة الشكل • ومع ذلك يوجد أحيانا أعمدة بيضاوية وأخرى مربعة الاضلاع بزوايا مستديرة ، يحمل بعضها تجويفا خفيفا على هيئة لوحة منقوشة باسم ولقب الامبراطور الحاكم (فى تلك الاثناء)وتحديد المسافات على الطريق • وابان عهود الاباطرة التى تلت حكم كركالا ، داوم (الرومان) على اقامة تلك المعالم فى المناطق المجاورة مباشرة للمدن الساحلية • أما بالمناطق النائية ، فقد أصبح غالبيتها أشبه بعامود مدبب الرأس ، مستطيل ورفيع ، وقاعدة العامود هى الجزء الوحيد الذى يربط بين هذين النوعين من المعالم ولو أنها أصبحت تتخذ أشكالا متعددة • وطول الميل الرومانى يعادل ١٤٨٠ مترا (حوالى ١٦١٦ ياردة) • وكانت الوحدة القياسية تحمل أحيانا أكثر من صورة حجرية لاكثر من امبراطور •

ويشـــير كل من المراجع المـدونة ،ومعالم الطرق ، الى وجود خمســة طـرق رئيسية :

١ ـ **طريق الساحل** : وهو القطـاع الساحلي الكبير الذى يمتد من الاسـكندرية الى قرطجنة • وقد سجل وجود هذا الطريق فى كل من المرجعين المدونين ـ أى الخارطة والدليل الانطونيني The Tabula... and Antonine... ولو أنهما يختلفان بشكل بين من حيث التفاصـيل • ومما جاء ذكره فى تلك المراجع من محطات أمكن تحـديد أماكنها الى حـد ملموس على الوجه الاتى : مجرارة جســر التراب Arae Philaenorum (ص ١٥) وقصـر الحـدادية Tugulus ، والروميـة وسرت Macomades Euphranta ، وبويـرات الحسـون Aspis-Ad Ficum وميناء مصراته Thubactis-Cephalae ، وزليطـن Subgoll ، ولبدة Ad Amonem وسيدى أبوالنـور ، وتاجوراء ، وأويا ، وصـبراته ، ومليتـا ، وزوارة ، ومرسى تيبودة ، وأبوكماش • وباستثناء أبوكماش و (غريبالدى) المنعزلتين ، بالقـرب من مصـراته ، لم تكتشف معـالم طـرق الابضـواحى لبـدة فقط • ويمتد الطـريق بشمال رأس المـرقب قبل أن يدخـل المدينة حيث يصبـح طريقها الرئيسى ، ومن الجهة الشرقية كان يحتل مكان الطريق الحديث الذى يمتد حاليا من وادى حسنون الى زاوية سيدى بن ابراهيم •

٢ ـ **طريق الجبـل** : وهو طـريق ستراتيجى (ص ٢٧) يمتد بجوار مجرى مياه الجبل من لبدة الى قابس Tacape وكان قديما يشمل طريقا من عهد سـابق شق فى عهد ل٠١٠ايليـوس لاميا ، نائب القنصل (عام ١٥ـ١٦ ب٠م) • ويمتـد من لبدة الى ضواحى ترهونة (الحديثة) • ويذكر الدليل الانطونيني المحطات الاتيـة بولاية طرابلس (القديمــة) : مدينـــة دوغة Mesphe ، عين ويف Thenadassa الصلاحات Talalati الاصابعة Vinaza ، عين العوينيـة Auru الزنتـان Tentheos وبالاضافة الى الصـوة الميليـة الرئيسية لبداية الطـريق فى لبـدة (ص ٥٩) اكتشفت معالم أخرى بجوار قصر حمود ، وقصر دلاش ، والقصبات والخضراء ، وعلى مسـافة كيلومترين الى جنوب مركز قرية تازولى •

٣ ـ **الطريق المنحنى بالجبل الشرقى**: تشير خارطة بونتجريان الى طـريق يربط لبدة بمدينة أويا ، مارا بجنوب طـريق الساحل • ويذكر أن الطريق الجنـوبى أقصر من طريق السـاحل بميل واحـد ،ويرجع هذا ولا شك الى خطا ما ، وقع فى تسجيل المسافات على معالم الطرق•والرأى السائد هو أن هذا الطريق كان يمر فعـلا

عبر الجبل الشرقى فى نفس اتجاه طريق الجبـــل (وهو غيـــر مدون فى خارطة بوتنجريان) فيبدأ من لبدة ثم يســير الى مدينـــة دوغا ، ثم عين الشرشـــارة ، ثم ينحنى الى الشمال الغربى حتى وادى الرملة ثم يعبر الجفارة الى أويا . وتذكر الخارطة ثلاث محطات على هـــذا الطـــريق وهى : ســويوتوتو Sububutu شرشارة (فلاتشى تابرنه Flacci Taberna) . ويمكن أن نعتبر المحطتين الاولتين قصر الداوون وعين الشرشـــارة . ولم تكتشف معالم طرق بهذه المنطقة .

٤ ـ **الطريق الرئيسى** : وهو سبيل المواصـــلات الرئيسى بين أويا ، ومزدة ، وكان يمر عبر كهف طبى بضواحى غريان ، ثم بئر تشـــة ، ثم أبى غجرة . ولم يسجل هذا الطريق فى أى من المراجع القديمة ، الا أن وجوده ثبت من معـــالم الطـــريق التى اكتشفت فى قطـــاع ما بين غريان ، ومزدة حيث يتبع الطريق الحديث الضيق عن قرب .

٥ ـ **طريق اعالى سوف اجين** : يفتقر هذا الطريق هو الاخـــر ، الى اثبـــات قديم مدون ، وهو يربط مزدة ببقعة على طريق الجبل بضواحى الزنتان ، (ولعلها تنتيوس Tentheos القديمة) عبر أعالى وادى سوف آجين . وقد تم الكشف عن عـــدد كبير من معالم الطريق فى القطاع بين قصر وامس ومزدة .

المحطات (على الطرق) :

لاشك فى أن المحطات بهذه الطـــرق كانت تختلف عن بعضها من حيث الحجـــم والمظهر ، فكان بعضها مجرد مركز عادى ، بينما كانت الاخرى مدعمة بحصن لحمايتها ومنهـــا مراكز زراعية نمت حتى أصـــبحت قرى كبيرة . وقد تم مسح ثلاث قرى من هذا النوع ، وفيما يلى وصفها :

على بعد ثمانية كيلومترات من شمال شرقى ترهونة ، وكيلومترين الى جنـــوب قصر الدغة ، يوجد بمزرعة S.A. FIL اثار منتشرة على مساحات كبيرة ـ لـــكنها لم ينقب فيهـــا بعـــد ـ لمستعمرة زراعية قديمة تعرف محليا باسم مدينـــة الدغة . وقد يمكن الجزم بأن المستعمرة هى مسفة Mesphe القديمة التى جاء ذكرها فى الدليل الانطونينى باعتبـــارها أول محطة على طريق الجبل بعد لبدة ، والموقع مستقر على أرض منخفضة بوسط شـــجر الزيتون يقطعه مدق يتجه من ترهونة الى الشـــمال الشرقى . وبين البقايا المرئية بالجنوب من المدق توجد اثار حمامات أمكن التعـــرف عليها من مواسير الفخار المفرغة التى وجدت بها ، ومن مبنى معمد . وثمة مبنى اخـــر صـــغير كشف عن جـــزء من منحنى فريدجيداريوم ، وتلك البقايا تقـــع الى شمال المدق . وبعـــدها على مرتفـــع من الارض ، توجد اثار لمبنى اخر معمد يحيط

به سور مستطيل الشكل مصنوع من الحجارة المهندمة ، ولعله كان مركزا حربيا • الى الشمال الغربى من الموقع الرئيسى لتلك الاثار يوجد الجزء الرئيسى من مقبرة قريبة وجد بها منصات للقرابين من الطراز الجرمنتى (ص ١٣٦) •

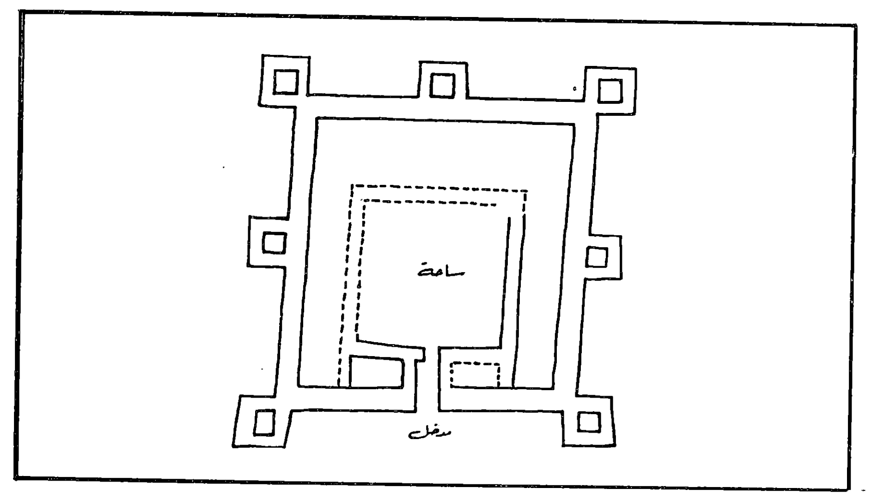
ويذكر الدليل الانطونيني تناداسة ، المحطة الثانية ، وتقع الى غرب مسفة Mesphe • وقد اتضح أخيرا أن موقع تناداسة انما هو واحد من مجموعة هامة من البقاع الاثرية فى عين ويف على مسافة كيلومترين من جنوب مدق يربط بين ترهونة وغريان عند نقطة تبعد خمسة عشر كيلومترا من غرب مركز قرية تازولى • وتتكون هذه الاثار أساسا من كيمان من كسارة الحجر يبرز من بينها لوحة مستطيلة من مسافة لاخرى ، وتغطى هذه الكسارة هضبة تشرف شرقا على نبع ماء ، مما جعل العرب يطلقون على تلك المنطقة من الوادى اسم عين ويف ويمتد من (وادى الحمام) مدق اخر يقطع هذا الموقع من الشمال الى الجنوب • وتجاه غرب المدق تظهر بوضوح لوحة بالقرب من وسط الموقع ، وبقايا مبنى اكتشف به هيكل من حجر الجير بنى اللون عليه كتابة وهو حاليا بمتحف طرابلس • وترجع هذه النقوش الى عهد سبتيميوس سفيروس ، وهى تسجل أن م• كانيوس اديوتور فاوستينوس قائد فرقة من الفيلق الاغوستى الثالث دشن الهيكل باسم جوبيتر دوليكينوس ، وهذا يدعم الرأى بأن الطابع الحربى كان سائدا فى مستعمرة عين ويف بالرغم من عدم وجود أية تحصينات عليها • وثمة نقوش أخرى، بذات التاريخ ، رفعت هى أيضا الى متحف طرابلس ، واكتشفت ضمن اطلال حمام بمنزل كبير يقع على بعد حوالى ٢٠٠ ياردة الى غرب الموقع الرئيسى للاثار بالقرب من عين النبع ، وتسجل النقوش ذكرى ترميم المبنى وتزويده بحجرة التعريق assa cella ، وقاعة للتمارين الرياضية cylisterium • وبالطرف الجنوبى من الموقع توجد بقايا كنيسة مسيحية مشيدة على نمط بازيليكا ، وبها منحنى واحد بالجهة الغربية •

وتبدو اثار المستعمرة الثالثة واضحة بجانب طريق الجبل فى ضواحى قصر الأوون حيث ينضم وادى شعبة الخيل، الصغير، الى وادى المى عند يسار قصابات بسيط ، فبينما يمتد الطريق الحديث ترهونة ، ويبدو أن كل من المشارف القديمة والجديدة الى موقع الاثار من جهة الشرق تتبع نفس الاتجاه ، مع فارق بسيط • فبينما يمتد الطريق الحديث بشمال الوادى ، يقطع الطريق القديم الجسر الجنوبى بالوادى ، ومازالت اثار سد عريض ظاهرة على مسافة قصيرة من نقطة التحام الواديين ، وربما أقيم هذا السد لعبور الوادى ، وثمة درب اخر متفرع من الجسر الذى على يسار الوادى ، يمتد الى فرجيان Fergian • وتشير اثار جدران وأرضيات من الخرسانة متناثرة بتلك الجهة الى أن المستعمرة كانت تمتد على الطريق الرئيسى الرومانى فوق جانبى الوادى • ومباشرة عند شرق المنحنى

بالطريق الحديث يوجد تل تظهر من تحته مواسير من القرميد لنقل الهواء الساخن ، مما يدل على وجود بقايا حمامات • وعلى مرمى مائتى ياردة الى غرب المنحنى ، توجد دائرة من قوالب الاجر لم ينقب فيها بعد ، قد تدل على وجود مصنع للفخار • أما المشارف المجاورة بالوادى وروافده فكانت مجهزة بعدد كبير من السدود لضبط الفيضانات (ص ٣) ومحطة طريق قصر الدون التى يبدو أنها كانت مركزا تجاريا لا عسكريا ، هى فى الغالب محطة سوبوتوتو على منحنى طريق الجبل الشرقى •

الحصــون :

ان أصغر صنف من الحصون الرسمية التى اكتشفت فى طرابلس مثل مركز الجيش centenarium الذى اشتهر باسم قصر دويب (ص ٣٠٨) يمكن وصفه



(لوحة ١٦) حصن رومانى فى مسلتين بوادى مردوم

فيما يلى ضمن المزارع المحصنة نظرا لتماثل التخطيط المعمارى بدرجة يصعب معها التفرقة بين المزرعة والحصن •

اكتشف فى مسلتن بوادى مردوم على بعد حوالى ثلاثين كيلومترا شرق (بنى وليد) حصن أقرب للطابع الرومانى ، ولو أن حجمه كان صغيرا جدا (٢٨ × ٢٨ مترا) • ويعرف محليا باسم قصر أبو الاركان ، وهو مربع الشكل (لوحة ١٦) ، به سبعة بروج بارزة مربعة ، واحد فى كل ركن من الحصن ، وواحد فى منتصف كل جانب باستثناء الجانب الجنوبى الشرقى حيث يوجد المدخل الوحيد للحصن • ويؤدى هذا المدخل الى دهليز قصير ينتهى عند باب ضبق يفتح على فناء مربع تحيط به الثكنات والاسطبلات ، الخ • الا أن

التخطيط التفصيلي للحصن غير ميســـوردون تنقيب . أما الجدران فمازال أغلبهـا قائما عـلى ارتفاعه الاصـلي وهي مكونة من غلاف خارجي من كتل كبيرة ، مستطيلة من حجر الجير ، وغلاف بالداخل منحجارة أصغر حجما ، مربعة . وقد ملء الفـــراغ بين الغلافين باللبن والكسارة . أما الابراج فكانت تحتمي بداخل جدران واقية . يرجع المبنى غالبا الى القرن الرابع .

أما قلاع غدامس وبونجيـــم والقريات الغربية التى كانت تشـكل الخط الدفاعى الاول الذى وضعه سفيروس (ص ٢٧) فقد اكتشفت اثار كثيرة الثانية والثالثة منهما ، أما الاولى فلم تكتشف بعد . وتقع قلعة بونجيم فى واحدة صغيرة على بعد حوالى ٢٠٠ كيلومتر جنوبى مصـــراتة ، على طريق القـــوافل الشرقـــى عبـــر واحـــة الجفـــرة الى فزان . والجـدار الواقى مشـــيد من الكســارة واللبن ومكسـو بالجبس وكان عبارة عن سور مستطيل رباعى (١٣٦ × ٩١ مترا) ، بأركان مستديرة ، وكان غالبا يحتوى على بروج بداخله ، وله مدخل فى جانبه . كانت البوابتـان الشـــرقية والغربيـــة فى منتصف جوانب الســـور الخارجى ، أما الشمالية منها والجنوبيـــة فكانت منحرفة الى الشرق ، بموازاة طريق يمر أمام المبنى الرئيسى principia وتتكون كل بوابة من مدخل واحد بقوس يحف بكلا جانبيــــه برج . والابراج التى بالشمال والجنوب والغرب كانت مربعة . وكانت البوابة الشرقية التى تواجه المبنى الرئيسى أوسع من أخواتهـــا ، وبرجاها أكثر بروزا من الجدار الواقى الى الخارج . وكانت اركانها الامامية التى تجاه البــوابة محرودة على شكل قمع . والبوابات مبنيـة بملاط من حجـــر الجير غير مصـــقول rusticated ، أما الابراج فكانت مغلفة من الداخـل باللبـــن والكسارة . وفوق حجر الزاوية بكل أقواس البوابات يوجد نحت بصورة نسر ومن فوقه لوحة عليها نقوش تسجل أن كوينتوس انيشيوس فاوستوس Quintus Anicius Faustus قائد فيلق أغوستس الثالث شـيد القلعة (فى عام ٢٠٠ـ٢٠١ ب.م) . وثلاث من هذه النقوش موجودة حاليـا فى متحف طرابلس . وقد وضع كابتن ج.ف.لايون فى عام ١٨١٩ (لوحة ٢٤) رسما للبوابة الشمالية تبـدو فيــه الابراج بطابقين دون تغليف بالكسارة واللبن . وغالبـــا أن الطابقين اضيفا بعد تشييد القلعـــة بزمن اذ أن الطوابق الاصلية المغلفة بالاشـلار كان فى كل طابـــق منهـــا نافـذتان صغيرتان عند أعلى الواجهة الخارجية .

كان داخل القلعـــة مقسما بشـــكل منسق . فالثكنات على صـــفين موازيين لجانبى الطـــرق الرئيسية التى تؤدى من البوابتين الشـــرقية والغربيـــة الى المبنى الرئيسى . وبين هـــذا المبنى والضـــلع الشمالى من الســـور الداخلى توجد بقـايا حمام صغير بقبة نصف اسطوانية كان به نقوش تسجل أن فرقة من الفيلق الاغوستى

الثالث شيدت الحمامات فى عام ٢٠١ـ٢٠٢ ب٠ م٠ والنقوش حاليا بمتحف طرابلس واكتشفت نقوش أخرى بنفس المبنى نقلت مع الاخرى تسجل تدشين الى ســالوس Salus الاهة الصحة ٠ أما الذى قام بالتدشين فيدعى ك٠أفيديوس كونتيانوس وهو أيضا الذى قام ببناء حوض للسباحة وقد سجل اسمه عاموديا بحيث يبدأ كل حرف من الاسم أول كلمة من كل سطر تسجل التدشين ٠

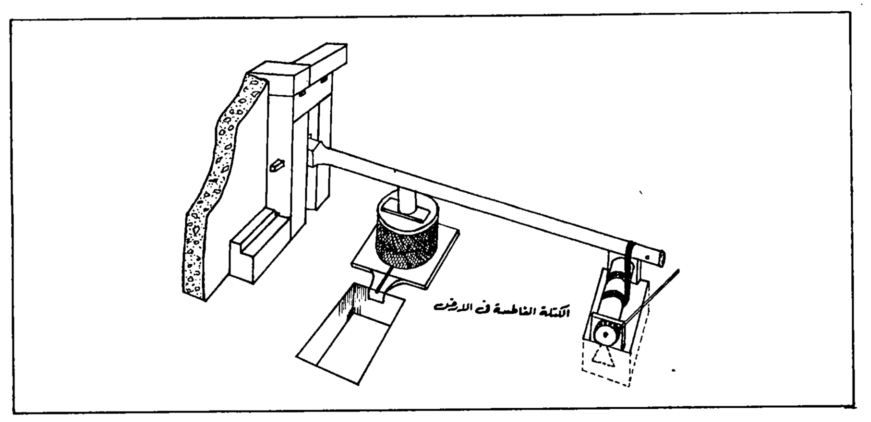
تقع واحة غرية الغربية على بعد ٣٠٠ كيلومتر بجنوب طرابلس قريبا من حافة شرق الحمادة الحمراء ، وهى مركز هام على طريق القوافل الرئيسى المتجه الى فزان وكانت القلعة فوق مرتفع يطل على هوة سحيقة تمتد الى الجنوب الغربى حتى تصل الى الوادى حيث توجد الواحة ٠ وبالنسبة للتخطيط تشبه هذه القلعة تلك التى فى بونجيم الا أنها ضعفها حجما (١٨٣ × ١٣٢ مترا) ، وقد فقدت معالم كثيرة منها بسبب اقامة قرية للبربر بداخل السور ٠ ولاتبدو الاثار القديمة الا لماما ٠ وأجود البوابات حالة ، البوابة التى بالشمال الشرقى التى تواجه المبنى الرئيسى وتتكون مداخلها من ثلاثة أقواس يحف جانبيها برجان بارزان تقطعت أركانهما المشرفة على البوابة على شكل قمع مثل البوابة الشرقية التى فى بونجيم والمدخل مبنى بالحجر المكعب (اشلار) الجيد مثل الذى استعمل فى لبدة فى العصر السفيرى ٠ وترتفع الاقواس الثلاثة فوق أعمدة منحوتة ،كما أن القوس الذى بالوسط فى ضعف حجم أخويه ويحف به نقوش لاطارات بداخل بعضها ٠ وفوق هذه النقوش يوجد على حجر زاويته نقش لاكاليل من الغار تحمل حروف PRO AFR ILL وحتى الان لم يمكن الوصول الى ما ترمز اليه ٠ وفوق هذا كان يوجد فى الغالب لوحة سجل التدشين عليها ، وفى متحف طرابلس حاليا كتلة من الحجر تحمل نقشا يسجل تدشين حصن بورجوس من عصر الامبراطور اسكندر سفيروس (٢٣٠ـ٢٣٥) كان قد اكتشف فى برج شيده البربر على بعد ميل من غرية ٠ وعلى الجانب الايسر من الممر الذى تحت الاقواس يوجد نحت بارز مطموس جزئيا ، يمثل نسرين على جوانبهما الهات النصر المجنحة فى الجزء الاعلى والى أسفل توجد صور لمذبح مشتعل فى الركن الايمن ٠ وكلا البرجين مصنوع على مستوى معمارى أدنى بكثير عن صناعة الابراج الثلاثة ، والجزء الاسفل منهما مصنوع من حجر الجير المدعم بالكسارة فى خط مستمر لكنه غير منتظم، وفى الاجزاء العليا غلفت هذه الكسارة من الداخل والخارج بقطع من الحجر صغيرة مخروطة بطريقة خشنة ٠ وفى الاجزاء العليا من الابراج توجد نافذة على الواجهة وجوانبها المنحرفة ، وغالبا ماكان يوجد نافذة أيضا بالجانب الثالث الذى يواجه الجدار الواقى ، ويولج الحصن من باب بالجدار الخلفى يتركز على الارض مباشرة ٠

فيما بعد أدمجت البوابات التى بالشمال الشرقى والجنوب الغربى فى مبان

لاحقة لكن ما تبقى من اثارها يدل على انه كان لها ممر واحد تحفه أبراج مستطيلة. ولا يوجد أثر للبوابة التى كانت بالجنوب الغربى . أما السور الواقى فيوجد جزء من زاويته الشمالية عرضه ٢٥ مترا ، وهـــو مبنى بالكسارة يكسوها ملاط خشن والجزء الاسفل من الجـــدار كان مغلفا بحجـارة متوسطة الحجم ويفصل كورنيش أفقى بين هذا الجزء من الجدار وأعلاه . وكمـــا هو الحال فى حصن ابو نجيم كانت أركان أعلى الجدار مستديرة ويستدل من وجـــود نافذة مقوسة فى الطابق الثـــانى أن تلك الاركان كان بداخلها أبراج .

معاصر ومزارع زيتون ...

ان اثار معاصر الزيتـــون كثيرة فى الاراضى الطرابلسية ، وخاصة فى مناطق مزارع الزيتون فى الجبل الشرقى . وكان المعتقد حتى عهد قريب انها كانت صـــروح لاحدى عبادات ماقبـــل التاريخ . ويجـــد القارىء فى الرسم ١٧ صـــورة نموذجيـــة لمعصرة طرابلسية أعيد بناؤها . كان الزيتون يوضع فى مصـــفاة فوق كتلة من حجـــر



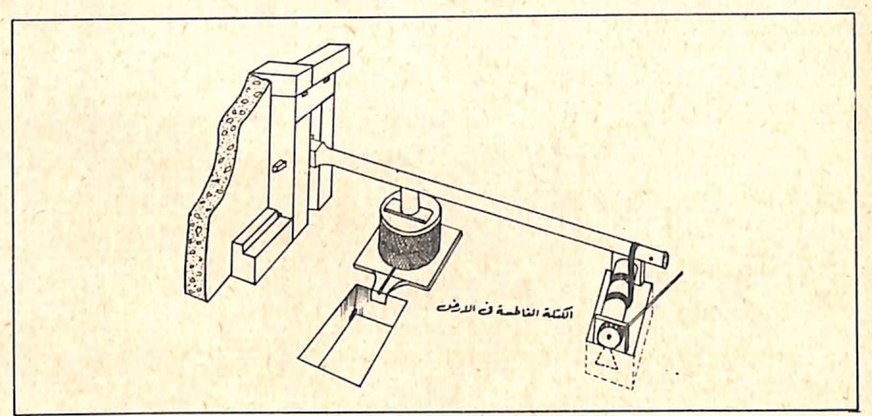
(الرسم ١٧) معصرة زيتون طرابلسية كما كانت قبـــلا

ينساب الزيت منها الى خزان بجانبهـــا ،وفوقهم يرتكز كباس فى ذراع خشـــبية طويلة ، أحد أطرافهـــا مثبتة فى اصـــبع خشبى يدور فى ثقبين كالمفصلة بين كتلتين عاليتين من الحجر بينما طرفها الاخـــر يشده حبل القامة من بكرة تدور فوق كتلة حجرية ثقيلة غاطسة فى الارض ، وكانت الكتلتان الضخمتان أبرز ما تبقى من آثار المعاصر وترتفع عادة الى عشرة أقدام أو أكثر ويتكون كل منها من كتلة واحدة أو عدد من الكتل . وكلتا الكتلتين ترتكز فوق قاعدة واحدة تربط راسيهما عتبة من الحجـــر ، كثيرا ماكانت تحمل كتلا أخرى لتـــزداد ثقلا . ان الكتل الفردية كانت تغـــرز فى

لاحقة لكن ما تبقى من اثارها يدل على انه كان لها ممر واحد تحفه أبراج مستطيلة. ولا يوجد أثر للبوابة التى كانت بالجنوب الغربى . أما السور الواقى فيوجد جزء من زاويته الشمالية عرضه ٢٥ مترا ، وهو مبنى بالكسارة يكسوها ملاط خشن والجزء الاسفل من الجدار كان مغلفا بحجارة متوسطة الحجم ويفصل كورنيش أفقى بين هذا الجزء من الجدار وأعلاه . وكما هو الحال فى حصن ابونجيم كانت أركان أعلى الجدار مستديرة ويستدل من وجود نافذة مقوسة فى الطابق الثانى أن تلك الاركان كان بداخلها أبراج .

معاصر ومزارع زيتون ...

ان اثار معاصر الزيتون كثيرة فى الاراضى الطرابلسية ، وخاصة فى مناطق مزارع الزيتون فى الجبل الشرقى . وكان المعتقد حتى عهد قريب انها كانت صروح لاحدى عبادات ماقبل التاريخ . ويجد القارىء فى الرسم ١٧ صورة نموذجية لمصرة طرابلسية أعيد بناؤها . كان الزيتون يوضع فى مصفاة فوق كتلة من حجر



(الرسم ١٧) معصرة زيتون طرابلسية كما كانت قبلا

ينساب الزيت منها الى خزان بجانبها ،وفوقهم يرتكز كباس فى ذراع خشبية طويلة ، أحد أطرافها مثبتة فى اصبع خشبى يدور فى ثقبين كالمفصلة بين كتلتين عاليتين من الحجر بينما طرفها الاخر يشده حبل القامة من بكرة تدور فوق كتلة حجرية ثقيلة غاطسة فى الارض ، وكانت الكتلتان الضخمتان أبرز ما تبقى من آثار المعاصر وترتفع عادة الى عشرة أقدام أو أكثر ويتكون كل منها من كتلة واحدة أو عدد من الكتل . وكلتا الكتلتين ترتكز فوق قاعدة واحدة تربط راسيهما عتبة من الحجر ، كثيرا ماكانت تحمل كتلا أخرى لتزداد ثقلا . ان الكتل الفردية كانت تفرز فى

الحائط أحيانا لتثبيتها أكثر ، والثقـــوب أو الفتحات التى يرتكز فيها الاصبع الدائر كانت تفتـــح عـــلى ثلاثة ارتفاعات مختلفة ، وفى بعض الاحيان يضاف الى جانب الكتل العامودية اناء حجرى توضع بـــه الذراع الخشبيه أثناء الراحة من العمل ٠

واثار مزارع الزيتون التى احتفظت بمعالمهـــا أكثر من غيرها هى تلك التى بالمناطق خارج المزارع الحديثة للزيتون ٠ ويكفى وصف نموذجا واحدا منهـــا كمزرعة هنشير سيدى حمدان ـ مثلا ـ التى تقع على بعد عشرة كيلو مترات الى جنوب شرق قصـــر الدون ، على المـــدق الذى يؤدى الى وادى ترغلات ، وهى من أكبر المزارع التى اكتشفت بتلك المنطقة وترجع غالبـــا الى القرن الثـــانى ٠ والخطوط العريضـــة بالمخطط ١٨ أمكن التكهن بها من بقـــايا جذور الجدران البـــارزة من الكسارة التى الت المزرعة اليها ، والتى تحـــدد ســـير الجدران التى كانت قائمـــة من فوقهـــا ، والجزء الرئيسى من مجموعة المبانى هـــذه كان فناء مستطيلا يحيط بجوانبه الاربع ، صفوف من الجدران كانت فى الغالـــــب مساكن للعمال ومخـــازن ، الخ ٠ وبخلف الطرف الجنوبى الغربى من هـــذا الفنـــاء توجد مســـاحة أصـــغر مكشوفة تولج من الخارج مباشرة من بوابة فوقها قوس فى الركن بارز الى الداخل بالزاوية الجنوبيـــة من السور ٠ فى هذه المســـاحة سلسله من زلع للشرب توحى بأنها ربما كانت حظيرة للمـــواشى ويحيط بجـــوانب المزرعة من الجنوب الغربى والشمال الشرقى دهليـــز مستمر يولج من الخارج من بوابة بقـــوس تقع بالطرف الغربى من الضلع الجنـــوبى الغربى ٠ ويوجد ممر اخر يفتح على الذراع الذى بالجنوب الغـــربى من الدهليـــز المستمر ، ويمتد بين الفناء الرئيسى وكتلة من المبانى رباعية الاضلاع طويلة تتـــكون من حجرات وتحتل الجزء الشمالى الغربى من المزرعة ٠ وهذه الكتلة ، كما يستدل من المعاصر السبع الموجودة بها ، كانت مصافى للزيت ٠ ويبدو أن الحجرات الاكبر مساحة الموجودة بين قاعات العصارات كان الجـــزء الداخلى منها مهيـــأ لتخـــزين الزيتون ٠ وبالطرف الشرقى من المبنى توجد حجـــرة تحتوى على عصارتين منعزلتين وثمة جناح ضيق ربما كان مسكنا لصاحب المزرعة أو المشرف عليها ، ويمتد الجناح الى الشـــمال الشرقى من الزاوية الشـــرقية بالمزرعة ٠ ويحف بالجناح من الجنوب الشرقى دهليز يولج من بوابة ويمر فى طرفه الشـــمالى ويسير بطول الضلع الجنوبى الشرقى من المزرعة ٠ وعلى مرمى ١٤٠ ياردة تجـــاه الجنوب الشرقى ، يوجد تل فيه صـــهريج لتخزين الماء اللازم للمزرعة ٠

الفيللات (القصور الريفية) :

كانت الفيللات التى يشيدها الاثرياء من المواطنين فى مزارعهم لاستعمالهم الخاص تتميز عن مساكن الزراع لوجود أعمدة وفسيفساء ورسومات ملونة على جدرانها وحمامات ، الى غير ذلك من مظاهر الابهة ٠ والمحل المختار لتلك الفيللات كان على الساحل على مسافة قريبة من المدينه حيث يقيم أصحابها عادة ٠ ومع أن بعض الفيللات اكتشفت بالدواخل ، الا أنه لم يمكن التعرف على أى منها بصفة قاطعة ، بعيدا عن منطقة الساحل ٠ وربما تسفر الحفائر فى المستقبل عن نماذج فردية مثل تلك التى اكتشفت فى عين شرشارة على بعد حوالى ستة كيلومترات من شمال غرب ترهونة ، حيث ظهرت ثار من ارضيه بالفسيفساء و رواق معمد ٠ وأغلب الظن أن الرواق كان يربط عين الماء بأحد المبانى ، ربما كان فيللة تجاه الجنوب الغربى على مسافة بسيطة ٠

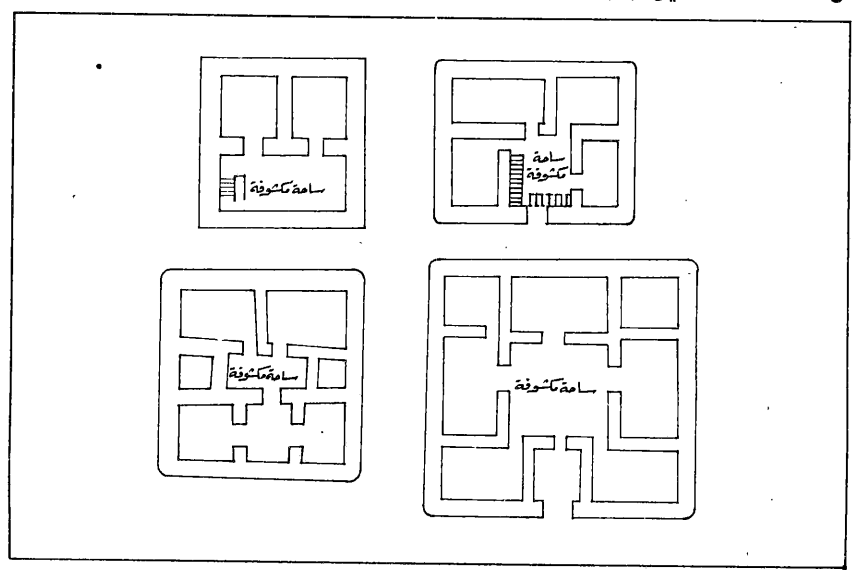
وأغلب الفيللات التى اكتشفت على الساحل لا يوجد بها ما يكفى من بقايا تبرر اعتبارها مقرا أثريا يحتفظ به ، فبعد مسحها ورفع الفسيفساء التى تستحق الذكر ، أغلقت تلك الحفائر للاحتفاظ بها على حالها ٠ ومع ذلك يوجد نموذج فيللة يكاد أن يكون كاملا فى دار بوك عميره ، من اليسير على الزائر أن يصل اليها ، فاذا اتجه من غرب مرسى زليطن وسار حوالى كيلو مترين ونصف ، يجدها بعد مسيرة قصيرة على الشاطىء فوق تل منخفض يطل على خليج صغير ٠ والفيللا قائمة تحت رأس التل بقليل من الجهة الشمالية ٠ ونظرا لان التل ينحدر فجأة عند طرفه الشرقى احتاج الامر الى مراعاة تخطيط الفيللا بحيث تدرج أرضيتها على ثلاث مستويات من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ، وكان المستوى الاول مخصص للسكن ، والثانى عبارة عن فسحة فى طرفها الغربى مجموعة من الحجرات ، والمستوى الثالث حمامات خاصة ٠ وأغلب الجدران والارضية ترتكز مباشرة على حجر الرمل الذى سوى خصيصا لهذا الغرض ٠ وكانت الجدران بالذات مبنيية بالرمل الاحمر والكسارة ومطلية بالجبس ٠

والحمامات أسوأ ما فى المجموعة حالة وكان التعرف على ماهيتها أمر صعب دون مسح دقيق ٠ والجزء الواضح منها قطعة بناء مستديرة مقسمة من داخلها الى أربع حجرات متساوية مثل أرباع وجه الساعة وفيها بقايا معدات التسخين وفسيفساء ٠ ويتاخم كتلة الحمامات من الزاوية التى شمالها الغربى فناء يكون معها مستطيلا يمتد ضلعه الطويل الى الشرق والغرب ، وتكسو أرضية الفناء قوالب من الطوب مصففة على هيئة رقم ٧ ، وقد فقد أغلبها ولم يتبق الا انطباعاتها على الارض ٠ وتحت المحور الطويل من الفناء يوجد صهريج لتخزين الماء مسقوف بقية تمتد فوقه وكانت الارضية التى فوق الصهريج مباشرة محاطة باطار عريض مرتفع وغير مبلط ،

وفى كل من الضلعين الطويلين من الاطار توجد مصفاة مربعة مجهزة بشبكه تحجز الرواسب وتوصل ماء الامطار الى الصهريج الذى بأسفل ، خلال ثقبين فى طرفى رأس الفبة • أما الحجرات التى بالطرف الغربى من الساحة فكان على أرضيتها قطعتان ممتازتان من الفسيفساء نقلت الى متحف طرابلس • كانت الحجرة الاولى على هيئة ربع دائرة متداخلة فى زاوية الفناء من الشمال الغربى • وبوسط الارضية يوجد رسم لدائرة لم يسلم من التلف الا جزء صغير فى طرفه يمثل مجموعات من مخلوقات بحرية حقيقية وميتولوجية ، يحيط بها اطار من الاكاليل تتدلى منها جماجم ثيران • أما الارضية التى مازال الجزء الجنوبى منها باقيا كله ، وبعض من الجزء الشرقى ، فكانت تحمل رسما لولبيا من فروع الاكانتوس يتخللها طيور وحيوانات وحشية • بحائط الحجرة المعقود ، يرى زوجان من الاقدام ، زوج ادمى والاخر بحوافر جدى ، وكانت تلك الاقدام غالبا جزءا من صورة لاحدى حوريات البحر والاله بان Pan ، يمتد الباقى منها على جدار الحائط اما بالفسيفساء أو بالالوان• والحجرة الثانية كانت مربعة وتقوم على بعد حوالى عشرة ياردات تجاه الغرب ، وتتكون أرضها من مجموعة لتسع لوحات صغيرة من الفسيفساء ذات صيغة رمزية emblemata ، يحيط بها اطار زخرفى من الفسيفساء خشنة الصنع • والثلاث لوحات المتبقية تمثل مناظر من الحياة الريفية (ص ٤٠) • وبالجانب الغربى من الحجرة ، على ارتفاع درجتين ، توجد حجرة مستطيلة ملاصقة للصخر كانت - فى الغالب - نافورة ، وتمتد على جوانب الحجرة وبمقدمتها قناة عميقة يبدو أنها كانت حوضا للنافورة • وبأسفل الحائط الايمن توجد كتلة صغيرة بارزة الى الامام فى أعلاها ثقب كان الماء ينساب منه • وعندما اكتشفت الحجرة ، كانت ارضيتها مبلطة بفسيفساء تمثل منظرا لنهر النيل تلاشت اثارها حاليا • وفى عتبة المدخل من الداخل خمسة تجاويف صغيرة ربما كانت تحتوى على شجيرات •

الجزء السكنى عبارة عن مستطيل طويل يمتد غربا من الركن الشمالى الغربى من الفناء • وفى الزاوية التى بين شرق كتلة المبانى وجانبها الشمالى توجد اثار سطح مبلط بالرخام به سلم يربطه بشاطىء البحر ، ودون شك ، كان للسطح مدخل يؤدى الى المساكن الا أن هذا الجزء من الفيللا أصابه تلف بدرجة كبيرة بحيث أصبح أمر اعادة تخطيطه على وجه التحديد غير ممكن ، وهذا الجزء السكنى عبارة عن صف طويل من الحجرات يمتد بين دهليزين ، كان لجدار الخارجى بالدهليز الجنوبى ملاصقا مباشرة للصخر ، ويعلوه سقف بقبة نصف اسطوانية تحليها رسومات ملونة نقل ما تبقى منها الى متحف طرابلس ، ويدخله الهواء والضوء من فتحات شقت فى الصخر • عند منتصف الجدار الشمالى توجد بقايا سلم يستدل منه على وجود طابق أعلى أو برج من حجرة واحدة على أقل تقدير • وبجانب السلم ، من الجهة الغربية يوجد ممر يقطع المبنى ويوصل الدهليز الجنوبى بالدهليز الشمالى •

وينتهى الدهليز الجنوبى الى غرب صف من ثلاث منحنيات ترتكز على امتداد جداره الخارجى · كان المنحنيان - والخارجى منهما أضيق بكثير من الاخر - اللذين باقصى الطرف الغربى يفتحان خلف آخر حجرة من الصف الرئيسى تجاه الغرب ، ويبدو أنها كانت من الحجرات الرئيسية بالمنزل وقد اكتشفت بها لوحة الفسيفساء الشهيرة التى تحمل مناظر من المسرح الدائر (ص ٣٥) ، وفى الحجرة قبل الاخيرة تجاه الشرق اكتشفت فسيفساء جميلة تمثل الفصول الاربعة على هيئة أشخاص ، وكلتا اللوحتين نقلت الى متحف طرابلس · كان الدهليز الشمالى الذى تفتح عليه الحجرات الرئيسية بالمسكن كله مبلطا بفسيفساء على أشكال هندسية رائعة احتفظ بها فى مكانها الاصلى · وأيام أن كانت الفيللا قائمة كان هذا الدهليز عبارة عن رواق ، لكنه من جهة البحر كان بصف واحد فقط من الاعمدة · وفيما بعد ، أصبحت تلك الاعمدة جزءا من جدار مستمر تخترقه نوافذ عريضة بين الاعمدة للاحتفاظ بمنظر البحر · وكان الجانب الشمالى من المساكن يطل على السطح ، وهذا الاخير يمتد الى حافة الصخور مرتكزا فوق بناء بسقف معقود كان يستعمل لتخزين الماء وغالبا كان السطح مهيأ على شكل حديقة ، لكن ما تبقى من معالمه ضئيل بحيث لا يمكن اعادة تخطيطه الاول · توجد مع ذلك اثار لمنحنيين



المخطط (١٩) اربع مزارع محصنة

(أ) قصر غيفة ، وادى مردوم (ب) قصر بئر شدوه
(ج) قصر بئر شدوه (د) قصر بئر شدوه

نصف دائرين ربما كانا أحواضا لنافورات نواجه المنزل على الجانب المقابل للممر الذى يمتد من أمامه • وكان على أرضية المنحنى الثانى فسيفساء ، وبين المنحنى الشرقى وحافة السطح ترتفع أربع أعمدة موازية لواجهة المنزل • وثمة دهليز اخر صغير مبلط بالفسيفساء عند الركن الجنوبى الغربى من الفناء بجانب السور الخارجى الغربى المحيط بالمنزل كان يوصل الى الدهليز الشمالى • وغالبا أن هذا الدهليز قد أضيف عند ادخال أعمدة الرواق فى الجدار • ويحتوى الجدار الغربى من الدهليز على تجويفين عميقين لم يكشف الغرض منهما •

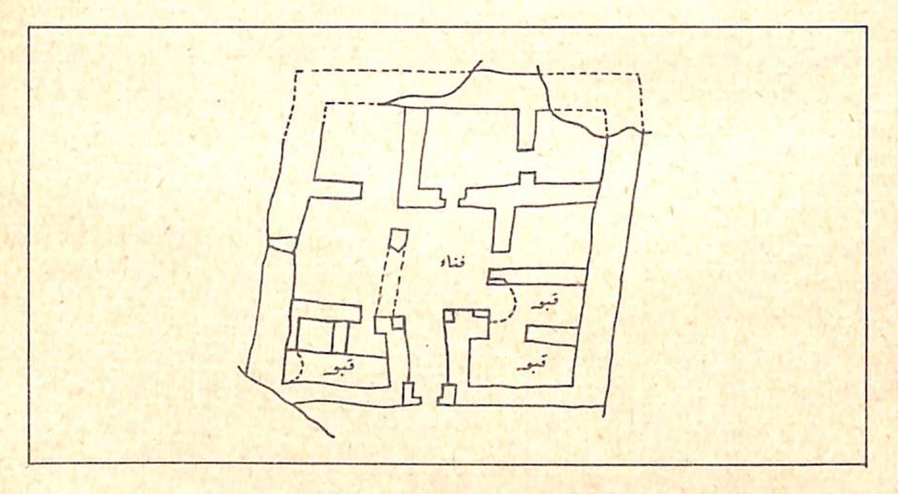
المزارع المحصنة :

توجد مزارع محصنة عديدة فى الجبل الشرقى وبطول الوديان التى بجنوبه ، خاصة فى وادى سوف آجين وروافده واكتشفت أيضا نماذج كثيرة بمنطقة ساحل خليج سرت بين بويرات الحسون ومدينة سلطان • وباستثناء الخندق الذى يحيط عادة بمزارع الجبل ، لاتوجد فروق جوهرية بينها وبين تلك التى بالمناطق الاخرى •

والمزرعة المحصنة التقليدية كانت عبارة عن مبنى عال مربع أو شبه مربع بمدخل واحد يؤدى الى فناء بالداخل ، فوقه طابقان أو ثلاثة من حجرات تواجه بعضها • ويوجد بالرسم ١٩ أربعة مخططات نموذجية لتلك المزارع • كانت أقدم المزارع المحصنة تتميز بنوع الخامة المستعملة فى مبانيها • والى يسار جسر وادى نفيد ، على بعد خمس كيلو مترات من سدادة يوجد نموذج يجلب الانظار لمزرعة قديمة تعرف باسم قصر البنات .وهى رباعية الاضلاع مساحتها حوالى ٢٥ × ٢١ مترا ، بأركان مستديرة غاطسة الى الداخل والمدخل الوحيد للمزرعة بالضلع الطويل المواجه للوادى تجاه اليسار •والاثار التى بالداخل مطموسة تحت كيمان من الكسارة لكن الجدران الخارجية مبنية بكتل من حجر الجير الجيد ، وما زالت بحالة جيدة وقائمة على ارتفاع حوالى ستة أمتار • يتكون المدخل من ثلاث كتل حجرية تحمل واجهاتها الخارجية سلسلة من النحت الانيق يحيط بها كالاطار وفوق عتبة الواجهة يوجد قوس مفتوح لتدعيم الجدار • مستوى البناء أشبه بمستوى مبانى السواحل فى عهد سفيروس ، أو بالمبانى الحربية من ذات العهد مثل القوس الثلاثى الذى فى البوابة الرئيسية فى القرية الغربية • أما المزارع المحصنة التى اكتشفت حتى الان فلا يوجد منها الا اثنتان مشيدة بذات الطريقة وهى قصر غرية الشرقية وأطلال قصر الفاشية بوادى زمزم : وكلاهما بأركان متداخلة مستديرة • والمبانى الثلاثة كانت غالبا من أول ماشيد عندما طبق اسكندر سفيروس نظام الليميتانى (ص ٢٧) وربما قام ببنائها مهندسون من الرومان كنماذج تجريبية •

والمزارع المحصنة التى أقيمت فيما بعد ، وهى تمثل الاغلبية الكبرى . لا تحوى على معالم معمارية تستحق الذكر ،ويمكن متابعة السرعة التى هبط اليها

مستوى المبانى من حالة قصر دويب ، ومع أن هذا الاخير كان مركزا للحرس المحلى centenarium (ص ٢٨) ، الا أنه لا يختلف من حيث التخطيط عن المزارع المحصنة . ويقع قصر دويب فى وادى دويب على بعد حوالى خمس كيلو مترات قبيل نقطة التقاء الوادى مع وادى سوف آجين ، وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلو مترا الى جنوب شرق الزنتان . وتشير النقوش التى بالقصر الى انه شيد بين عامى ٢٤٤-٢٤٦ ب.م . والمخطط (رقم ٢٠) الذى وضع له ، يشوبه عدم الانتظام . كان القصر شبه مربع مساحته ١٦ × ١٦ مترا بمدخل واحد فى منتصف الضلع الجنوبى الشرقى ويؤدى مدخله عبر ممر ضيق الى فناء فى قلب المبنى أوسع بقليل من الممر ومن حوله طابقان من الحجرات . كانت الحجرات بالطابق الاول متصلة ببعضها ويمكن الوصول اليها من الفناء بسلم خشبى يؤدى الى باب فى الجانب المواجه للمدخل . وقد تم ترميم وتعديل المبانى التى ترجع الى حد بعيد ، خاصة فى الواجهة التى بالجنوب الشرقى ، التى قام المسلمون بتدعيمها بواجهة خارجية جديدة . ويتكون السور الرومانى من خليط من الكسارة والجبس تكسوها من الواجهتين حجارة خشنة مربعة وأصبح المدخل الاصلى الرئيسى غاطسا فى جدار التحصين الذى



المخطط - ٢٠ - قصر دويب - وادى سوف آجين

أقامه المسلمون فيما بعد . كما أن البوابة المعقودة الحالية نصفها الايسر فقط من الطراز الرومانى . وفوق هذه البوابة جزء من النقوش - سابقة الذكر - اما الجزء الاخر فقد دخل فى الجدار الاسلامى المتاخم . وتوجد نقوش ثانية طمست الى حد بعيد ، تداخلت فى الجانب الايسر من ممر المدخل . والسقف المعقود الحالى الذى يعلو هذا الممر من صنع المسلمين وقد حل مكان سقف مستو كان يرتكز على دعائم

من الخشب • أما الغرف الداخلية فقد كان بعضها بأقبية والبعض الاخر بسقف خشبية مستوية من أول عهدها • وغالبا كان يوجد برج مرتفع الى مافوق الطابق الثانى فوق المدخل •

ويلاحظ أن مظاهر الاهمال التى شيدت بها مبانى قصر دويب لا تنطبق على جميع المزارع المحصنة التى أقيمت فيمابعد، فبالقرب من بئر شمدوة بوادى سوف آجين على بعد قرابة خمسين كيلومترا من شرق مزدة ، توجد مجموعة من مبان بحالة جيدة ، ويجد القارىء مخططا لثلاثة منها فى الرسم ١٩ • ومع أنها شبيهة بمخطط قصر دويب ، الا أن مبانى تلك المزرعة شيدت بعناية فائقة ، كما أن أركانها مدعمة من الاسفل بحجارة بارزة • وقصر رقم د(اللوحة ٢٥) أشبه بالبرج ، ويتكون من ثلاثة طوابق بالرغم من مبانيه المكدسة وما يزال قائما بارتفاعه الاصلى •

ان غالبية المزارع الاخرى كانت مخططة بحيث تسد الاحتياجات العملية ليس الا • أما المزرعة التى بالضفة اليسرى من وادى سوف آجين ، على مسافة قصيرة من غرب بئر النسمة ، فتتميز بالزخارف(لوحة ٢٦) • كانت القوالب ذات القوالب المسلوبة voussoir التى تتكون منها اقواس المدخل، وقوائم الاقواس دقيقة الصنع ويعتمد من فوقها ثقل واجهة زخرفية مربعة الشكل تحجب من خلفها عتبة يعلوها قوس يحمل الجدار المرتفع من فوقه • والزخرف المنحوت على الواجهة ينقسم الى جزئين : الجزء الاسفل ويتكون من أربعة أعمدة ينتصب كل اثنين منها على جانب المدخل • أما الجزء الثانى من زخرف بالواجهة فيتكون من عامودين يرتكز كل منهما فوق العامود الاسفل الذى الى الخارج • وأعمدة الجزء الاسفل بسيقان مخددة بنحت بارز فى أسفلها ولها تيجان مرتفعة أشبه بكتلة صلدة • كانت تيجان العامودين اللذين الى الداخل منحوتة برسم لورق الاكنتوس ، والاعمدة الخارجية بزهر اللوتس • ويفصل الجزئين الاعلى والاسفل نحت بارز يقطع القوس بالعرض •وسيقان الاعمدة العليا باخاديد حلزونية وتيجان شبه كورنتية تحمل فروعا من الغار تمتد عبر أعلى الجبهة • ومن تحتها يحمل مفتاح العقد نحتا لزهرة تتدلى منها شرائط ومن فوقها نسر (؟) • كان المدخل المعقود ينتهى عند طرفه الداخلى بقوس مازال قائما ولو أن الاعمدة التى يقوم عليها أخذت من مبنى اخر • ويوجد فى هذا الممر جدار به كوة وكمية من بقايا معمارية بينها قاعدة واجزاء من دعامة عامود مزدوج على شكل قلب باخاديد حلزونية • اما داخل المبنى فعبارة عن كيمان من الكسارة • ويرجع تاريخ المزرعة الى أواخر القرن الثالث أو الرابع ب•م • وهى دليل ساطع على الرخاء الذى كان يسود حياة الليميتانى •

ان المزارع المحصنة كثيرا ما توجد متناثرة على جانبى الوادى على مسافات لا تتجاوز كيلومتر أو أكثر بقليل عند نقطة يلتقى فيها رافدان أو ثلاثة من الوادى

بحيث يمكن تركيز المناطق الزراعية . وفي بعض الاحيان كانت المزارع تتجمع بحيث تكون قرية ، وتوجد نماذج لتلك القرى في قصر سوق الووطي بوادي بسرة ، وفسقية الحبس بوادي مردوم ، وقصر بخنافس بوادي ششطناف . وأهم تلك النماذج موجود في قرزة بوادي قرزة على بعد أقل من خمسة كيلومترات قبل التقائه مع وادي زمزم . ففي تلك القرية يوجد على الاقل ثلاثون مسكنا وعدد كبير من مبان ملحقة بها متغلغلة الى مصب رافد صغير على يسار الوادي (لوحة ٢٧) . ان مزارع قرزة لا تستحق وصفا فرديا اذ أنها - بصفة عامة - مشابهة لتلك التي سبق وصفها . ومع ذلك ، يوجد من بينها ست مزارع كبيرة جدا من الطراز المربع الشكل بوسطه فناء ، وقد استعمل الخشب على نطاق واسع في تغليف الارضيات والاعتاب ومازالت بقايا منه بمكانها الاصلي . وقد اتضح من فحص احدى قطع الخشب انه من شجر الطلح ، ومازالت أشجاره موجودة في مجرى الوادي . واذا قارنا مزرعة بئر النسمة المزخرفة بمزرعة قرزة لوجدنا ان هذه الاخيرة توحي بالتقشف ، فالزخرف الوحيد الموجود بها يقتصر على النصب الجنائزية .

السدود :

سبق أن ورد ذكر السدود أثناء الكتابة عن لبدة ، وعن السد الضخم بواديها (ص ٨٤) . وعن السدود التي تكون خزانا في منخفض وادي كعام (ص ٨٥) . ويوجد بالاضافة الى ذلك سدان من ذات الحجم تقريبا مشيدان بالخرسانة ، في سيدي الجيلاني ووادي مجينين على بعد حوالي أربع وخمسين كيلومترا الى جنوب طرابلس . وكلا السدين بقرب بعضهما ، ويقعان مباشرة بعد سد أقيم حديثا . والسد الاقرب الى الشمال ، ما زال باقيا منه مائة متر ويمتد الى حدما ، من الشمال الى الجنوب ويرجع تاريخه الى زمن كان فيه اتجاه الوادي على زاوية مستقيمة من موقعه الحالي . وسمك السد مترا واحدا عند القمة ويزداد الى ثلاثة أمتار عند القاعدة وأعلاه مستقيم ، لكن الجزء الادنى مدرج حتى يقاوم قوة الماء المتدفق . وقد دعم السد باقامة أبراج ضخمة على مسافات بين مساقط الماء بحيث ينحدر الماء الفائض من فوقها . وبمرور الزمن اقيمت دعائم اضافية ، خاصة في الطرف الجنوبي الشرقي الذي كان في وقت ما معرضا للتلف لضغط تيار الماء عليه ، وفي اخر الامر تحول جسر السد عندما اتخذ الوادي مجراه الحالي . أما السد الثاني فكان طوله في أول الامر ١٢٠ مترا بالاضافة الى الخمسين مترا الممتدة من الجانب الشرقي الى الجنوب الشرقي الا أن به حاليا فجوات عريضة نتيجة لضغط تيار الماء وبسبب اقامة قناة لتصفية ماء السد الحديث . وهذا السد شبيه بالسد السابق ، وكان الغرض من كلا السدين القديمين والسد الحديث حماية واحة طرابلس من وادي مجينين ، الذي يعتبر تياره من أعنف تيارات وديان طرابلس ، وفي ذات الوقت لتحويل ماء الفيضانات

نحو منطقة الجفارة المجاورة التى ينظم فيها الرى بحيث تتحول الى حقول يانعة لزراعة القمح . ويوجد أيضا بوادى الهيرة سد اخر كبير أقيم لتنظيم الرى يقع على بعد ستة عشر كيلو مترا الى جنوب شرق العزيزية .

والغالبية العظمى من هذه السدود التى تصادفنا بالوديان الطرابلسية كانت أصغر فى الواقع والغرض منها مقاومة انهيار التربة (ص ٣) . أما الشكل الذى أقيم به السد أو نظام السدود بصفة عامة ، فكان يخضع لطبيعة مجرى الوادى . فاذا كان الوادى عريضا وضحلا وتيار الماء هادئا ، كانت السدود مجرد جدران منخفضة من الحجارة . ففى قرزة ، على سبيل المثال ، كان عرض حوض الوادى الرئيسى حوالى ٣٠٠ ياردة وكان مقسما الى حقول مستطيلة الشكل تحدها قناوات ضحلة على بعد كل ستين ياردة . ولكن الاخاديد والوديان ذات التيارات المائية الصاخبة كانت أعمق غورا ولذلك كانت تتطلب مبان من الخرسانة . وكان الجزء الاسفل من الوادى عادة مدرجا أو منحدرا وأحيانا كان يحتوى كتلا حجرية لتدعيمه . وأمثال هذه السدود كانت تشيد عادة كسلسلة عبر حوض الوادى، وكان الغرض من السدود الكبيرة هو طرد جزء من الماء الفائض بحيث ينتظم تيار الماء، ومن السهل رؤية نماذج من هذه السدود فى وادى الزميط حيث يقطع الطريق الرئيسى المسافة بين الخمس وطرابلس شرق فندق النقازة ، وفى وادى المى على يسار طريق القصبة ـ ترهونة بعد المرور على قصر الداوون بقليل .

نصب الاضرحة

ان عادة تشييد نصب للاضرحة التى كانت متبعة فى الامبراطورية الرومانية ، انتشرت فى شمال أفريقيا نتيجة لعبادة الموتى التقليدية فى ليبيا (ص ١٠) وكانت الصروح منتشرة فى كل أنحاء طرابلس الرومانية . والموجود منها بالسواحل أصبح أطلالا بسبب السطو وسرقة الحجارة ، لكن نماذج عديدة منها بقيت بحالة جيدة فى الجبل وبموازاة الوديان الجنوبية بالقرب من قرى الليميتانى .

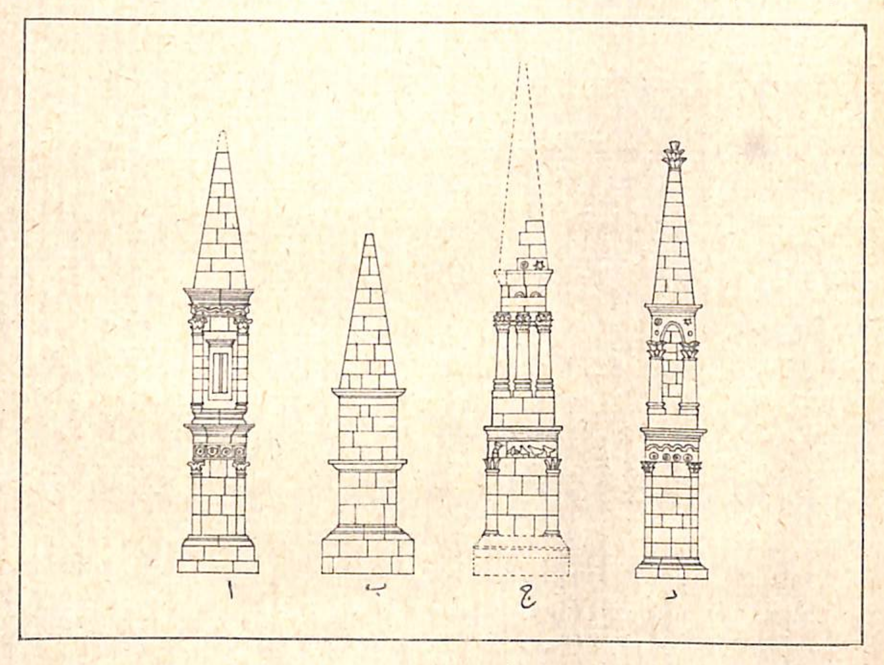
وأغلب الاضرحة الطرابلسية تقسم الى نوعين فهى أما على هيئة معابد جنائزية أو مسلات جنائزية . ويوجد نموذج لابسط نوع من الاضرحة ذات المعابد فى جرما بفزان والضريح غالبا كان للتاجر الرومانى المقيم ، ويرجع عهده الى حوالى المائة ب.م. ينتصب الضريح فوق قاعدة مستطيلة تحيط بها ثلاثة دروج ويتكون من جدار مستطيل « تشيللا » أمامه مدخل بعامودين منفردين والمبنى كله مشيد بحجر الجير باستثناء الجدار الخارجى فهو محشوا بالخرسانة ، وأركانه تحتوى على نحت يشبه عامودين بضلعين منخفضين يتكونان من قاعدة وتاج ، لكن لا يوجد أى دليل على وجود سيقان لهما . كانت أعمدة المدخل المعمد ايونية الطراز ، وقد تداعت .

ويعلو كلا من التشيللا والمدخـــل المعمد جبهة مستمرة يعلو طرفيها تاج هرمى ٠

ويوجد فى قرزة نموذج ممتاز لضريـح بمعبد يحتوى تفاصيل أكثر ، ويقع فى الطرف الشمالى مـن المقبرتين الملحقتيـن بالمستعمرة ، وهما على مسافة قصيرة من جنوب المزارع المحصنة على نفس الجانب من الوادى الرئيسى ٠ والضريح « لوحة ٢٨ » مشيد من حجر الجير المحلى ويرتفع فوق مسطبة منحوتة يمتد طرفاها الشمالى والجنوبى من الجهة الشرقية بحيث تكون بروزا تعتمد عليه سلالم تنتهى أمام المدخل المعمد ٠ والتشيللا ، أو حجرة الضريـح يحيط بأركانها الاربع أعمدة فردية : أربعة منها عند الواجهة والخلف وخمسة علـى الجوانب، باحتساب أعمدة الزوايا مرتين٠ ونظرا لان التشيللا مربعـــة الشكـــل ، فالمسافات بين أعمـــدة الجـوانب وباقى الاعمدة أوسع بكثير ٠ تنتصب الاعمــدة فوق قواعد مربعـــة ، سيقانها ملساء ، وتيجانها كورنثية مطعمة بالايونية ٠ أما نظام العرضة فمن الطراز الدورى وبـه افريز من الاخاديد الثلاثية ، واللوحات ،على التوالى « تريجليف وميتوب » وكانت اللوحات يحليها رسم هندســـى لزهورودروع ، أما الجبهة المرتكزة فوق الاعمدة مباشرة فيوجد بضلعها الاسفل نحت غير بارز لسعف النخيل ٠ ولا يوجـــد أثر للتيجان الهرمية ٠ والى شرق الحجرة يوجد رسم دقيق لباب من الحجر تزدان جبهته بزهور يعلوها تاج هرمى بزخارف جميلة ٠ وفوق تلك الجبهة لوحة دون عليها تدشين الضريح ٠ ويحف بجانبى النقوش نسران بأجنحة مفرودة ٠ والكتابة غير واضحـة لكنها على ما يبدو تسجـــل أن نميرة Nimira وفيضل Fedel شيدا الضريـــح لوالـــديهما نصيف ومتلتش Nasif and Mathlich وثمـة افريز منحوت بمناظر لقرابين ، يمتـــد بأعلى جدار التشيللا على جانبى الكتابة ، ثم ينحنى الافريز انحاءة بسيطة علــى الجانبين ٠ والمدخل الفعـلى للمدافن بأعـلى الجـــدار الجنوبى كان يغلق بحجر ينزلق عليه بعد أن يوارى الموتى بالداخل ٠ وكان داخـل المدفن والحجرة التى بأسفله عاريان تماما من الزخارف ٠ وأغلب الظن أن الضريح أقيم فى القرن الرابع ب٠ م٠

ويوجد نموذج أقدم من ذات الطراز ، فى قصر البنات فى وادى نفد بالقرب من المزرعة المحصنة المذكورة أعلاه (ص١٣٢) والمونة المستعملة فى كلا المبنيين متشابهة جـدا ٠ وأغلب الظن أن الضريح أقيم فى النصف الاول من القرن الثالث ٠ ان ما تبقى من الضريح ما زال قائما وبحالة جيدة فهو عبارة عن تشيلا مستطيلة بحجرة من تحتها ، وجدران جوانب المسطبة المنحوتة ولو أنها أصبحت فارغة من الحشو الذى كان بها ٠ كانت الحجرة السفلى تقطـع السـلالم الامامية التى توصل الى التشيلا وكان سقفها يرتكز علـــى عامود واحد بوسطها ، كان داخــــل التشيلا مزدانا بكوابيل عامودية ربما كانت تحمـل جرار الرماد المتبقى من حرق الجثث أو تماثيل نصفية ٠ كان يحيط بالتشيلا رواق بجبهة دورية ويوجد على الارض أمام الضريـح

الجنائزيه وهى عبارة عن مبنى عال أشبه بالبرج مربع أو شبه مربع ، مكون من ثلاثه طوابق ينتهى أعلاهم وهو الاخير ،على هيئة هرم صغير أو مسلة ، ومن هذه الاضرحة نموذج قديم تدل الخامة الممتازة التى استعملت فى بنائه أنه يرجع الى القرن الثالث · ومقر هذا الضريح بقصر أم الاحمد فى وادى نفيد « رسم ٢١ » يستقر الطابق الاول منـــه فوق قاعدة منحوتة بأركانها الاربعة أعمدة كورنتيـة يتوجها افريز دورى وكورنيش · وكانت الميتوب « الوحات التى بيـن الاخاديد » التى على الافريز مزخرفة بصور نصفيـة لاشخاص وورد · كان الطابق الثانـــى يرتكز هو الاخر فوق مسطبة وبأركانـــه الاربعة أعمدة كورنتية متاخمة يبرز منها ثلاثة ضلوع فقط وتحمل افريزا مستمرا عليه نحت لخضراوات · ويوجد بالجانب الشرقى من هذا الطابق رسم لباب وترتفع المسلة فوق كورنيش الطابق الثانى مباشرة ويمكن ملاحظة الاتجاه الى نمط أكثر بساطة فى الضريحين اللذين أقيما بتاريخ لاحق ويعرفان باسم المسلتيـن وكلاهما بجانب بعضهما فى وادى مردوم على بعد ثلاثين



الرسم – ٢١ – اربع اضرحة بمسلة

أ – فى قصر أم الاحمد – وادى نفيد · ب – فى قصر مسلتين ، بوادى مردوم ·
ج – فى وادى مسويجى · د – فى قرزة ·
« لم تطبق ذات المقاييس عند رسم الاضرحة » ·

بقايا من الجبهة التي تعلو الاعمدة ، تحمل نقشا بأسماء مايور Maior ماجنوس Magnus واركاديوس Arcadius وهم أولاد اوريليوس نازموري Aurelius Nazmurl الذين دشنوا الضريح ٠

وفي قرزة نموذج ثالث لضريح بمعبد جنائزي حاز عناية خاصة ٠ ويتكون من مسطبة عالية مربعة تعلوها تشيلا متينـة يحيط بها رواق معقود ٠ ويوجد أيضا نموذج يكاد أن يكون سليما تماما لضريح بمعبد معقود « اللوحة ٢٩ » في المقبرة الشمالية قبيل مقبرة نصيف ومتليتش بقبر واحد ٠ ويحيط بزوايا مسطبة الضريح أعمدة كورنتية يتوجها افريز عليه نقوش لفاكهة منها العنب والرمان ، ربما كانا رمزا للخصب ٠ وثمة سلالم ترتكز بوسط الجانب الشرقي من المسطبة تصل الى الباب المسدود الذي في التشيلا ، وفوق هذا الباب نقوش لصلوات يدعو فيها نيمير و (م ؟) اكورازان Accurasan (M?) والديهما شولام Chullam وفارنيشسين Varnychsin الى زيارة أولادهما وأحفادهما ٠ وجانبا الرواق المعقود المحيط بالتشيلا يتكون من أربع أعمدة كورنتية تحمل ثلاثة أقواس ٠ وفوق تلك الاقواس يمتد افريز مرتفع محلى بنحت بارز لصور آدمية مازال بعضها قائما بمكانه ٠ والجزء الجنوبي من الافريز كامل ويحمل مناظـرا للصيد والزراعـة ٠ وغالبا كان مزخرفا مثـل الهياكل الكلاسيكية برسومات لولبية يحف بأركانها شجيرات النخيل أما حجرة المدفن فكانت تحت مبنى المقبـرة وتولج مـن الجنوب ٠

كانت الاضرحة ذات المعابد المعقودة في قرزة على أحجام مختلفة ويوجد لها نموذج بخمس أعمدة ما زال قائما مباشرة بالقرب من الضريح الذي سبق وصفه٠ وفي المقبرة الجنوبية التي تقع على مسافة كيلو ونصف من الجانب الشرقي بالوادي الرئيسي ، يوجد نموذجان آخران لهما عامودان اثنان فقط ، ونموذج ثالث بثلاث أعمدة تداعت منذ وقت قريب ٠ والطابع الاخاذ في هذه الاضرحة هو غزارة النحوت البارزة التي تتسم بالبساطة والحيوية المرحة وقد نقلت الالواح التـي تداعت الى متحف طرابلس منذ فترة وجيزة ، وكثير منها عليها مناظر من الحياة اليومية بالمستعمرة مثل استعمال الجمال والثيران والخيل في حراثة الارض، وحصاد وتذرية ، ودرس الشعير « اللوحة ٣٠ » وقافلة سائرة في طريقها ٠ كانت مناظر الصيد هي المفضلة وتشتمل علـى صيد الاسد ، والفهد ، والايائل ، والنعام كذلك توجد مناظر لحيوانات رمزية مثل الاسد الذي يحرس المقبرة ، والسمك الذي يرمز الى أرواح الموتى وحتى هؤلاء كانت لهم صور في بعض الاحيان ٠ ويوجد في اسطمبول لوحة ممتازة أخذت مـن قرزة تمثل صورة لرئيس قبيلة (متوفى) جالسا على عرش يحيط به أفراد أسرته يقدمون له الطعام والشراب٠ وأهمية العناية بالموتى تتضح من المقابر التي اكتشفت في قرزة وبها منافذ توصل الى المدفن كان الاهالي يلقون فيها بالنذور « أو القرابين » ٠

والنوع الاخر الرئيسي مـن الاضرحة الموجودة في ليبيا هي الاضرحة ذات المسلة

وهى عبارة عن برج مرتفع باربعة جوانب متوازية او شبه متوازية ، يتكون من ثلاثة طوابق ينتهى الطابق الاعلى منهم بهرم مدبب او مسلة ويوجد من هذه الاضرحة نموذج قديم تدل الخامة الجيدة التى شيد بها بانه يرجع الى القرن الثالث والنموذج موجود فى قصر ام الاحمد بوادى نفد (راجع الرسم رقم ٢١ حرف ألف) والطابق الاسفل بهذا الضريح يرتكز فوق قاعدة منحوتة ينتصب على اركانها الاربعة اعمدة بالطراز الكورنثى ، رباعية الاضلاع تحمل على رؤوسها جبهة بافريز دورى ٠ والميتوب التى تحلى الافريز مزخرفة بصور نصفية لاشخاص ورسومات ورد هندسية ٠ اما الطابق الثانى فينتصب هو الاخر فوق مصطبة منحوتة وعلى كل ركن من اركانه الاربعة يوجد عامود بالطراز الكورنثى متأخم تظهر ثلاثة من جوانبه فقط وتحمل هذه الاعمدة الاربع افريز مستمر مزخرف بنحت بارز لولبى لحضراوات ٠

وعلى الجانب الشرقى من هذا الطابق يوجو باب زائف ٠ وتنتصب المسلة فوق الطابق الثانى مباشرة ٠ وتوجد نماذج مبسطة تطورت من هذا الطراز للاضرحة ذات المسلة يمكن مقارنتها بها ، وهى فى ضريحين اقيما فى تاريخ لاحق اشتهرا باسم (المسلتين) وكلا الضريحين قائين بجانب بعضها فى وادى مردوم على مسافة ثلاثين ٠

كيلو مترا من بنى وليد . والطابق الارضى من الضريح الاول « لوحة ٣١ » تقتصر فيه الزخرفة على أعمدة ملساء من أربعة ضلوع دون قواعد ولا تيجان أو واجهات، والطابق الثانى ليس له مسطبة تحت أعمدة الزوايا الكورنتية . والضريح الثانى (رسم ٢١ ب) عاريه من الزخارف باستثناء قاعدة منحوتة والكرانيش التى تعلو الطابقين الاول والثانى .

وتوجد أضرحة أخرى بمسلات من أنواع مختلفة ، خاصة فى الطابق الثانى منها . فضريح بوادى مسويجى ، على بعد حوالى اربعين كيلو مترا الى غرب بنى وليد يتكون الطابق الثانى فيه من تسع أعمدة كورنتية ضخمة فى ثلاثة صفوف بكل صف ثلاثة أعمدة (رسم ٢١ ج) والدور الاول من هذا الضريح به رسم باب فى أحد جوانبه ،ويحمل الافريز الذى يمتد حوله فوق أعمدة الزوايا نحتا لصور آدمية نصفية ،وحيوانات مفترسة . وفى كثير من الحالات كان الطابق الثانى عبارة عن محراب صغير او كوة مفتوحة (ايديكولاى) aedicula وحتى عام ١٩٣٣ كان فى قرزة ضريح من هذا النوع « الرسم ٢١ د » بحالة جيدة تماما ، لكن زلزالا أرضيا تسبب فى هدم طابقيه الثانى والثالث أما الطابق الاول الذى يحتوى على رسم باب فى أحد جوانبه فما زال قائما على قاعدة منحوتة ، يحيط به افريز مستمر يمتد فوق أعمدة زواياه . وبالجهة التى فيها رسم الباب يوجد على الافريز نحت لزوج من صور نصفية لامرأة وطفل وعلى يمينهما صورة لشخص طائر فى الهواء يحمل تاجا ولفافة ولعله يمثل صورة دون المستوى الفنى لالهة النصر . والجوانب الاخرى الثلاثة من الافريز مقسمة أفقيا الى قسمين القسم الادنى منهما مزركش بالورد بينما جانبى القسم الاعلى عليهما نحت لاقواس صغيرة متماثلة بداخل بعضها . أما الجزء الخلفى فيحمل نحتا للفائف عليها فروع شجر . كانت (الايديكولاى) التى يتكون منها الطابق الثانى قائمة على مسطبة منخفضة وتتجه زواياها القائمة التى على واجهتها نحو رسم الباب الذى بأسفل المبنى، وكان على كل من زاويتى واجهتها الخلفية عامود كورنتى متاخم ومدخل صغير بقوس يرتكز فوق عامودين فرديين من الطراز الكورنتى . وفوق كورنيش الطابق الثانى تنتصب مسلة صغيرة تتوجها حلية على هيئة تاج كورنتى .

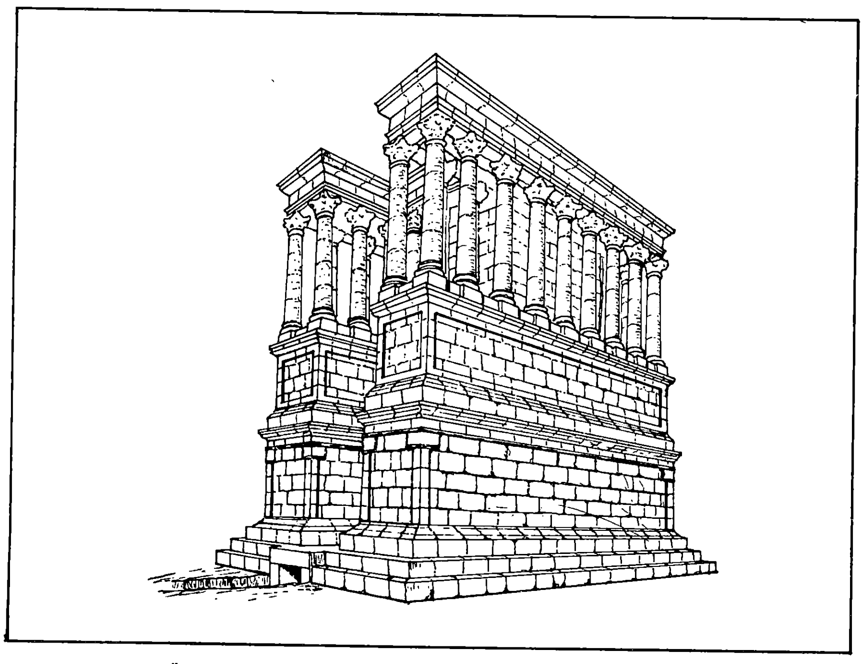
بقى أن نذكر هنا ثلاثة أضرحة أخرى هامة لكنها تختلف عن تلك التى سبق وصفها . واولها ضريح فى هنشير سوفيت ويقع على مسافة قصيرة من شمال الطريق بين يفرن وغريان بحوالى خمسة عشر كيلو مترا شرق يفرن ، بالقرب من مزرعة محصنة ما زالت بحالة جيدة . والطابقان الباقيان من الضريح على شبه كبير من اضرحة المسلات ذات (الايديكولاى بالطابق المفتوح) ولكن من غير المحتمل أن مبنى ضخما مثل هذا كان يحمل مسلة من فوقه ،والاغلب كان يعلوه هرم منبطح القمة .

والضريح منتصب فوق أساس مبنى بحيث يعالج انحدار الصخر ويكون مسطبة ، ويوجد به حجرة تولج من الامام من بوابة معقودة ، ويوجد بجدار هذه الحجرة من الداخل كوات كانت غالبا تحتوى على جرار للرماد المتبقى من جثث الموتى بعد حرقها . كان الطابق الاول الذى يرتفع فوق مسطبة منحوتة فوق الاساس المذكور يحف بأركانه الاربعة أعمدة كورنتية وافريز عليه لفافة مزركشة وكورنيش . وكان مدخل الطابق الثانى يتكون من عامودين فرديين بأربعة ضلوع يضمهما من الامام قوس ويربطهما الى الجدران الجانبية من التشيلا أنظمة من عوارض قصيرة . كانت واجهة وجوانب العامودين مزدانة بأعمدة كورنتية متاخمة ، كذلك كان يوجد عامودان أطول بضلعين فى كلا الركنين الخلفيين من التشيلا .

والضريح الثانى يعرف باسم الصنمة Senama ويقع فوق وادى بئر الواعر على مسافة متساوية بين غريان ووادى الحمام ، على الطريق الجنوبى الممتد من غريان الى ترهونة . والمبنى مربع الشكل ينتصب فوق قاعدة غطس جزء منها فى الارض وكان يتكون من ثلاثة طوابق على الاقل ، منها اثنان باقيان . وتوجد فتحة صغيرة تحت الارض بوسط الجانب الشرقى من القاعدة وتؤدى هذه الفتحة الى الحجرة التى تحتوى القبر وهى معقودة وفى مؤخرتها ثلاثة تجاويف يوضع بها ما يتبقى من الموتى وأحد التجاويف بالجدار المواجه للمدخل بينما الاخران بالجدارين الجانبيين . والطابق الاول من الضريح على شكل مسطبة بألواح منحوتة وكورنيش بارز . أما الطابق الثانى ، فيرتفع هو الاخر فوق ألواح منحوتة ويزدان بأعمدة كورنتية ، أربعة على كل جانب غير أن أعمدة الاركان كانت من ضلعين فقط . وفى الجنوب الشرقى اكتفى بتيجان الاعمدة الوسطى فقط مرتكزة فوق رسم لباب على كل من جانبيه تمثال نصفى لامرأة فى اطار مستدير من فوقه لوحة عارية مجهزة لتحمل نقوش . والواجهة التى تعلو رسم الباب الزائف تحمل على حافتها نحتا بارزا لحيوان مفترس يطارد حيوانا آخر ، وعلى مقدمة الواجهة نحت لحيوان على كل من جانبيه اناء . كان تاجا عامودى الوسط بالجوانب الاخرى يعلو كلا منهما تمثال نصفى ، أما أعمدة الاركان ذات الضلعين فكان يعلوهما زخارف أشبه بورق الشجر ، وفوق الفراغ الذى بين الاعمدة تنتصب أقواس عليها زركشة بأصداف بحرية ونحت ببروز طفيف . وحول أعلى الطابق ، من تحت الكورنيش يمتد افريز دورى دون المستوى الفنى التقليدى ، يتكون من ميتوب بها وردات وتريجليف من أخدود واحد ، وكان الطابق الثالث يتكون من أعمدة كانت غالبا تحتوى اديكولاى ، واغلب العناصر المعمارية التى كانت بهذا الطابق ملقاة على الارض بالقرب من الضريح . ويستدل من الخامة الممتازة التى شيد بها الضريح أنه يرجع الى القرن الثالث .

وأخيرا نصل الى قصر الدوغة المهيب . وتوجد بقايا آثاره على بعد ثمانية كيلو مترات من شمال شرق ترهونة ، وأقل من كيلو متر الى شمال غرب مدينة دوغة — أى مسفى Mesphe القديمة — . والضريح « صورة ٢٢ » منتصب فوق قاعدة مستطيلة

أو مسطبة يرقى اليها بدرجتين وهو أيضا مستطيل الشكل وكان يتكون أصلا من ثلاثة طوابق ، تمتد جوانبه الطويلة من الطرف الجنوبى الشرقى بحيث تكون كتفين يحفان بواجهة مائلة الى الداخل ، والطابقان الثانى والثالث قائمان على نفس التخطيط تقريبا ، يرتفع كل منهما فوق مسطبة منحوتة فى أركانها أعمدة من ضلعين ويتوجها افريز خلو من الزخارف ، ومن كورنيش ، والاعمدة فى كلا الطابقين بدون قواعد تفرق بينها وبين النحت الذى بالمسطبة الا أن الاعمدة التى فى الطابق الادنى تختلف عن أعمدة الطابق الذى يعلوها اذ تتحلى بتيجان وان كانت دون المستوى ومن فوقها جبهة مكونة من كتل قصيرة متاخمة • ويحيط بالطابق الثالث



صورة ـ ٢٢ ـ قصر المدوغة فى ترهونة « بعد اعادة الرسم بمعرفة ج• ريفانى

أعمدة كورنثية تمتد الى الامام فوق الكتفين البارزين على جانبى واجهة الضريح • وعدد هذه الاعمدة ثلاثون وهى مرتبة بحيث تكونت أعمدة من الخلف « باحتساب أعمدة الزوايا مرتين » وتسعة أعمدة على كل جانب ، واثنان أمام كل كتف ، وثلاثة على جانبه من الداخل ، وأربعة عبر الواجهة الى الداخل • والخط المستمر الذى ترتكز الاعمدة من فوقه كان أشبه بكتل تبرز من تحت قواعد كل عامود • ويمكن مشاهدة

نماذج من تيجان على الارض بالقرب من الضريح ومن المؤكد أن الاعمدة كانت تحتوى بداخلها على تشيلا ولو أن لا أثر لها الان ٠ ومن تحت هذا الصرح توجد حجرتان متصلتان معقودتان ، للدفن كان الوصول اليها عن طريق دهليز يولج من على سطح الارض من بين الكتفين البارزين ٠ كانت الحجرة الداخلية مجهزة بدكتين منخفضتين من الحجر بطول الجدار الخلفى ، وفى الجدار المقابل له فوق المدخل توجد ثلاث كوات صغيرة محفورة فيه كانت توضع بها القناديل فى الغالب ٠ ويستدل من نوع خامة البناء أن قصر الدوغة شيد قرابة منتصف القرن الثالث ب٠ م٠

المعابد

ان ديانة الليبيين لم تكن لتحتاج الى اقامة معابد ، والمعابد الستة التى اكتشفت بالمدن التى خارج المنطقة الساحلية ـ باستثناء واحد منها ـ كان بها محاريب خشنة المظهر ، وأحجامها متوسطة وتخطيطها بسيط ٠ وأبسط شكل من المحاريب موجود فى آثار مبنى صغير فى الجديدة على الحافة الجنوبية من واحة طرابلس والمبنى مربع بنافذة واحدة بسيطة المظهر تفتح على واجهته من الوسط ٠ كانت الجدران قائمة فوق مسطبة بسيطة يحف بأركانها الاربعة أعمدة من ضلعين ٠ كان الجدار مطليا من الخارج بالجبس أما من الداخل فتوجد آثار لرسومات لازهار ملونة ويوجد بالمقدس بقايا نذور ساعدت على تحديد تاريخه الى القرن الثالث ب٠ م٠ وقبالته يوجد محراب أحيط فيما بعد بحاجز صغير مربع احتوى جداره الخلفى واجهة المقدس أيضا ٠

وثمة نموذج آخر لمقدس اكثر اناقة نوعاما وهو فى صرح يعرف باسم قصر تينيناى بوادى تينيناى على بعد حوالى تسعة عشر كيلو مترا الى شمال غرب النقطة التى يلتقى عندها هذا الوادى بوادى سوف آجين ، والمقدس مشيد بحجر الجير وينتصب على قاعدة مدرجة ويتكون من حجرة مستطيلة يتقدمها مدخل معمد بعامودين من الطراز الكورنتى ٠ وبالاضافة الى الباب الذى يفتح على المدخل ، كان بأحد جوانب الحجرة نافذة بعقد وكان الغرض منها فى الغالب أن تتيح مشاهدة الصور أو التماثيل الخاصة بالعبادة عندما يكون الباب مغلقا ومما يثبت أن هذا المبنى كان معبدا وليس ضريحا اكتشاف قطع بالقرب منه ، من نظام معمارى يحمل نقوشا تسجل أن شخصا يدعى تيتوس فلافينوس كايبتو شيد معبدا وترجع هذه النقوش الى حوالى عام ٢٠٠ب٠م٠ ويوجد نموذجان آخران من هذا النوع من المعابد لم يتبق منهما الا الاساس فقط أولهما فى راس الحدادية على بعد كيلو متر من الخضراء واكتشفت نقوش من الفينيقية الحديثة بتلك الجهة تشير الى أن المعبد وتمثال العبادة التى ينتمى اليها والرواق دشنوا جميعهم باسم آمون ابان حكم ل٠ آيليوس لاميا L. Aelius Lamia نائب القنصل « فى عام ١٥ ـ ١٦ ب٠ م٠ » أما الذين قاموا بتدشينه فكانوا ليبيين ٠ والنموذج الثانى هو مذبح الاخوين فيليني Arae Philaenorum فى قرارة تجصر التراب بالقرب من بقايا صرح الحدود الذى شيد فى عهد ديوكليس (ص ١٥) ٠

والمعبد الريفى الوحيد الذى يستلفت النظر من حيث الحجم أو التفاصيل المعمارية يعرف باسم قصر الجزيرة ويقع على بعد أربعة كيلو مترات الى شمال غرب عين العوينة وأربعة كيلو مترات من شمال الكيلو متر ١٦٦ على طريق يفرن - جادو • والمعبد بحالة لا بأس بها وهو مبنى بنوع ممتاز من حجر الجير ويرجع تاريخه غالبا الى أوائل القرن الثالث • وهو مستطيل به حجرة رئيسيه يحف جانبيها جناحان بواجهه مفتوحه والمعبد يواجه جانبه الطويل الشرق ويستقر على المسطبة المستطيلة التى تبرز بشكل منصة أمام واجهته والمنصة هذه لها قاعدة منحوتة وكورنيش وتولج خلال بابين واحد بالقرب من الطرف الشمالى بالجانب الشرقى والاخر بالقرب من الطرف الغربى بالجانب الجنوبى ويوجد شبه حجرة صغيرة داخلية تحت الاساس الذى تقوم عليه الحجرة الرئيسية بالمعبد تولج من باب فى الجدار الشمالى • وكانت المسطبة كلها بما فى ذلك المساحة التى يقوم عليها المعبد ، مسقوفة بعروق من الخشب مثبتة فى حفر بالجدار وارضيتها كانت غالبا من التربة المدكوكة • ولا توجد آثار لاية سلالم كانت بالمعبد سواء من خارج المسطبة أو من داخلها ، والحجرة الرئيسية بباب واحد فى الجدار الامامى ، يتوج اعلاها كورنيش منحوت ، وبداخلها كورنيشان صغيران بأقصى طرفى الجدارين الجانبيين وكان الكورنيش يحمل فى الغالب رفا خشبيا يمتد بطول الجدار الخلفى • وفى أطراف جدران الحجرات الجانبية بالخارج من الامام توجد أعمدة بأربعة ضلوع وقاعدة منحوتة وتيجان كورنتية ، وبخلف كل حجرة توجد كوة بشكل منحنى به رف بارز • والجدار الخلفى المشترك بين الحجرات الثلاثة ، يعلوه كورنيش من الخارج • والجزء الاكبر من الجدار ما زال قائما للان ، وأغلب الظن أن الكورنيش كان يمتد على جوانب المبنى بنفس الارتفاع ولعله كان يعلو الواجهة أيضا وفى تلك الحالة كان يتوج حاجزا مستمرا من كتل طويلة ليسد الفراغ الذى بين الحجرات الجانبية • وبالقرب من المبنى أو ربما بداخله ، اكتشفت نقوش ، موجودة حاليا فى متحف طرابلس تحى ذكرى اقامة تمثال للاله هرقل وهو ملكارت الذى اتخذ الطابع الرومانى ، وغالبا ما كان المعبد مدشنا باسمه •

الكنائس المسيحية

لقد اكتشفت حتى الان آثار لتسع كنائس بدواخل الاراضى الطرابلسية وفيما يلى وصف لاربع منها احتفظت بحالتها أكثر من الباقية ومع ذلك فمن الافضل أن نسجل قائمة مختصرة بالمجموعة كاملة •

١ - فى قصر المعمورة بوادى ﭬصيعة على بعد سبعة عشر كيلو مترا من شرق قصر الداوون توجد كنيسة صغيرة على هيئة صليب مبتور وكانت الفروع الثلاثة الباقية منه مربعة الشكل من الخارج، وبها منحنى نصف دائرى يفتح فى الغالب

على المربع الرئيسي من فجوة ـ لم يكشف عنها بعد ـ وثمة ما يدعو الى التكهن بان الجانب الرابع من المربع كان به مدخل ٠

٢ ـ في عين ويف « تناداسه القديمة » Thanadassa يوجد مبنى بازيليكا بها منحنى واحد من طرفها الغربى ٠

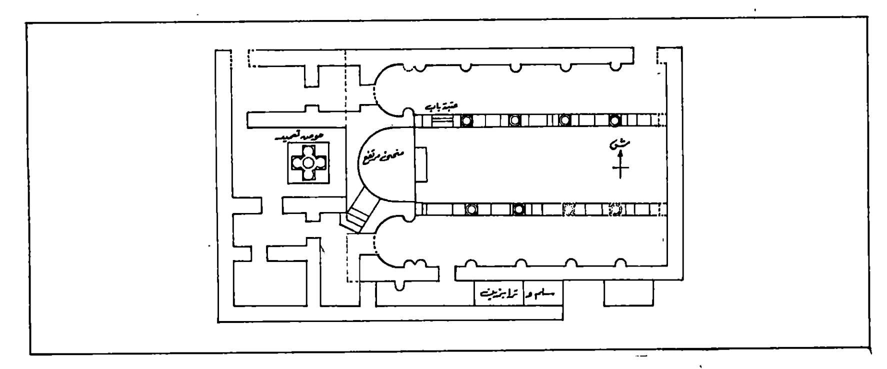
٣ ـ بالقرب من تيبيدوت Tebédut على بعد حوالى كيلو مترين من جنوب شرق الاصابعة وعلى مسافة نصف كيلو متر من هنشير العوينسى بازيليكا بمنحنى واحد عال فى طرفها الغربى ٠

٤ ـ بالقرب من بئر الكور على بعد ثمانية عشر كيلو مترا الى شرق غريان بازيليكا بمنحنى واحد ٠

٥ ـ في وادى كريما بالقرب من نقطة التقائه بوادى زاريت ، وعلى بعد ما يقرب من عشرة كيلو مترات من غرب الشمال الغربى من الاصابعة توجد بازيليكا بمنحنى شرقى غير عال ٠

والكنائس الاربع التى بحالة أجود هى تلك التى فى الخضراء، والاصابعة ، وخفاجى عامر ، وقصر سوق العوطى ٠ وأول هذه الكنائس تقع بالقرب من مبنى محصن قائم على رأس تل صغير مباشرة بالقرب من جنوب الطريق الذى بين ترهونة والقصبات عند الكيلو ٨ بشرق الخضراء ٠ والكنيسة مبنية باللبن والكسارة ومغلقة بحجارة صغيرة « صورة ٢٣ » وكانت أصلا مبنى بسيط مستطيل يولج من بوابة بطرفها الشرقى من الجانب الشمالى ، ويقسمها من الداخل الى صحن وجناحين صفان من أربعة

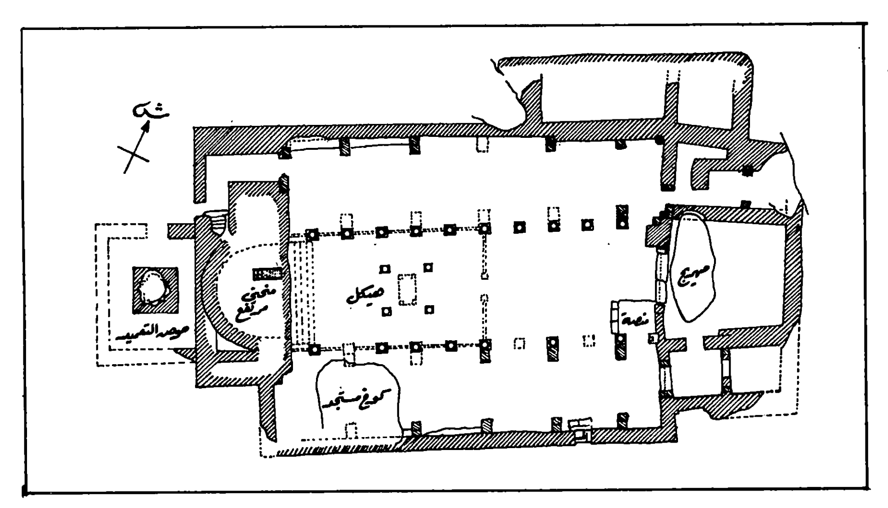
أعمدة للصف الواحد ٠ وكان الصحن والاجنحة ينتهى بمنحنيات فى الطرف الغربى والمنحنى الاكبر ، وهو الرئيسى ، مرتفع ويتقدمه منصة صغيرة بارزة الى الامام ٠ وكانت أعمدة الصحن من حجر الجير وتحمل على رؤوسها أقواسا وعلى الجدران الجانبية بالاجنحة توجد أعمدة متاخمة نصف اسطوانية تتمشى مع أعمدة الاجنحة ومع الاعمدة المتاخمة ذات الضلعين التى بالطرف الغربى من صف الاعمدة ، كذلك كان يوجد عامود نصف اسطوانى على جانبى المدخل بالمنحنيين الجانبيين ٠ وربما كانت الاجنحة بقباب مستطيلة وكانت القاعة غالبا مسقوفة بالخشب من فوق القمرية ٠ أما داخل الكنيسة فكان مزدانا بعناصر معمارية دقيقة الصنع من حجر الجير وما تبقى منها رفع الى متحف طرابلس ، بما فى ذلك اطارات النوافذ التى كانت غالبا فى القمرية ، وكتل كانت بأعلى الاعمدة ، وكوابيل لم يمكن تحديد مكانها الاصلى ٠ والزخارف المنحوتة على الحجر مجرد رسومات هندسية لاوراق الاشجار وقد تلاشى الهيكل ولا أثر له اطلاقا وتوجد آثار لستار المقدس يمكن مشاهدته بين أعمدة الرواق الشمالى الا أن هذا الستار أضيف الى الكنيسة فى تاريخ لاحق ٠



المخطط ـ ٢٣ ـ كنيسة بقرب الخضراء

والكنيسة الاصلية تم توسيعها باضافة سلسلة من الحجرات بما فى ذلك حجرة للتعميد وبها حوض على شكل صليب بالطراز البيزنطى البحت فى الطرف الغربى، وقد شقت فتحات فى المنحنيات الثلاثة ليمكن الدخول الى تلك الحجرات . والفتحة التى فى المنحنى الاوسط منحرفة الاتجاه بحيث يتصل بعدد بسيط من السلالم الى الحجرة التى بخلف الجناح الجنوبى مباشرة . المستطيل الذى يتكون من هذه الاضافات ملتصق بالمبنى الاصلى من الجهة الشمالية ، ومع ذلك فانه يبرز عند جنوبه بحوالى مترين ، كذلك فان الجدار الجنوبى من هذا الامتداد يسير شرقا بحيث يحتوى على حاجز مدرج يؤدى الى بوابة تفتح على الطرف الغربى من الجناح الجنوبى . والغرض من هذا الممر المحيط بالمدخل كان غالبا لاسباب دفاعية . فكل الجزء الاضافى بما فى ذلك الممر المذكور يعود غالبا الى العهد البيزنطى ويستدل على ذلك من شكل حوض التعميد .

والكنيسة الثانية تقع على بعد حوالى ثلاثة كيلو مترات من شمال غرب مديرية الاصابعة وكيلو متر الى جنوب رأس الوادى، والدرب المؤدى اليه يبتعد عن طريق غريان ـ يفرن بعد مسافة قصيرة الى غرب المديرية وموقع الكنيسة فوق مرتفع يطل على منحدر من الجبل ، وبه أيضا بعض مغاور سكنية (تروجلو ديت) كذلك توجد مزرعة محصنة شرقا على مسافة أقل من كيلو متر . وقد اكتشفت الكنيسة مندمجة مع « زاوية » من العهد الاسلامى وهى مستطيلة الشكل ، وعلى نمط البازيليكا التقليدية « صورة ٢٤ » بصحن رئيسى ، على جانبيه جناحان ومنحنى واحد مرتفع بطرفه الغربى . كان الطرف الشرقى والامتداد المتاخم من الجانب الشمالى مغلوقين بسلسلة من حجرات ثانوية غير منتظمة الشكل . ولم يمكن اعادة تخطيط هذه الحجرات بعد على الوجه الكامل ولكن من الواضح أن تلك التى بالجهة الشرقية كانت تستعمل كمنفذ يؤدى الى المداخل الشرقية الثلاثة بالكنيسة . أما الحجرة التى بها المدخل الرئيسى فكانت



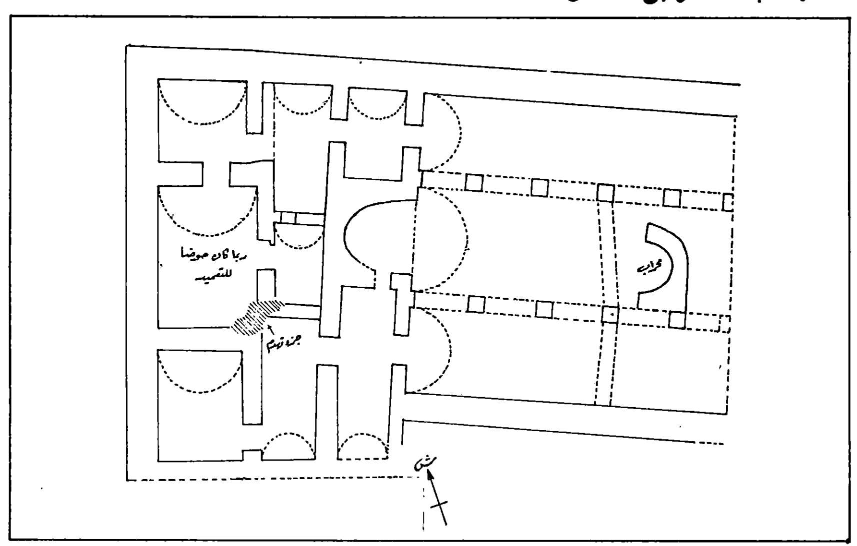
المخطط ـ ٢٤ ـ

كنيسة بالقرب من الاصابعة

قائمة فوق قبة كبيـــرة لصهريج معقودلتخزين المياه كان موجودا من تاريخ سابق. وأعمدة الصحن كانت تتكون من اثنتى عشرعامودا لكل صف وغالبا كان يعلوها أقواس وكانت قواعدها وقوائمها وتيجانها من حجر الجير ، وبعض التيجان ايونى وقد أخذت مـــن .مبنى آخر والبعض الباقى كورنتى لا ينتمى الى الطابـع المعمارى المسيحى ـ باستثناء تاج واحد كان بالطراز المحلى ـ . كان الفراغ الذى بين الاعمدة الستة التى بأقصى الغرب مـن صحن الكنيسة محاطا بستار مثبت فـــى حفرات بقواعد الاعمدة وكان الهيكل قائما فى وسط هذا الحيزومن فوقه مظلة ترتكز علـــى أربعة أعمدة رفيعة محلاة بأخاديد لولبية . ولا يوجد أثر للدروج التـــى كانت توصل الى المنحنى المرتفع . وفى زاوية الجنوب الشرقى من صحن الكنيسة ، بوسط المدخل الرئيسى الشرقى مباشرة ، توجد منصة منخفضة لم يعرف الغرض منها . وغالبا كان يوجــد سقف فوق قمرية . وثمة أعمدة من أربعة ضلوع ترتكز على الجانب الخارجى مــن أعمدة الصحن ـ باعتبار عامود خلو منها بين الواحد والاخر على التوالى ـ وكانت هذه الاعمدة تتمشى مع أعمدة مماثلة متاخمة بالجدران الجانبية للاجنحة ، ووضع هــذا التنظيم ليوفر مساحة سقف الاجنحة التى كانت غالبا على هيئة قباب مضلعة. وبطول الجدران ، بين كل عامود وآخر دكة من الحجر ، وكان يمكن الوصول الى الجناح الجنوبى مباشرة مـــن الخارج خلال باب بالقرب من طرفه الشرقى ، وبالقرب مـن الطرف الغربى من ذات الجناح توجد حجرة صغيرة من « الزاوية » الاسلامية . وبالطرف الغربى من الجناح الشمالى يوجد باب يفتح على ممر بشكل زاوية قائمة بضلع أطول

من الاخر L-shaped يؤدى الى سلالم صغيرة بالجانب الشمالى من المنحنى والى باب خارجى بالجدار الغربى • وبخلف المنحنى توجد آثار لحوض تعميد على هيئة صليب بالطراز البيزنطى أقيم بتاريخ لاحق وقد اكتشفت مجموعة كبيرة من المسكوكات بالقرب من الهيكل توحى بأن المبنى الرئيسى يرجع تاريخه الى ما قبل اعادة الفتح البيزنطى • ومن ضمن الاشياء الاخرى التى اكتشفت بالكنيسة توجد كوابيل منحوتة شبيهة بتلك التى اكتشفت فى الخضراء كذلك اكتشف فى المنحنى شاهد قبر القس تورنشيوس Turrentius وهو حاليا بمتحف طرابلس •

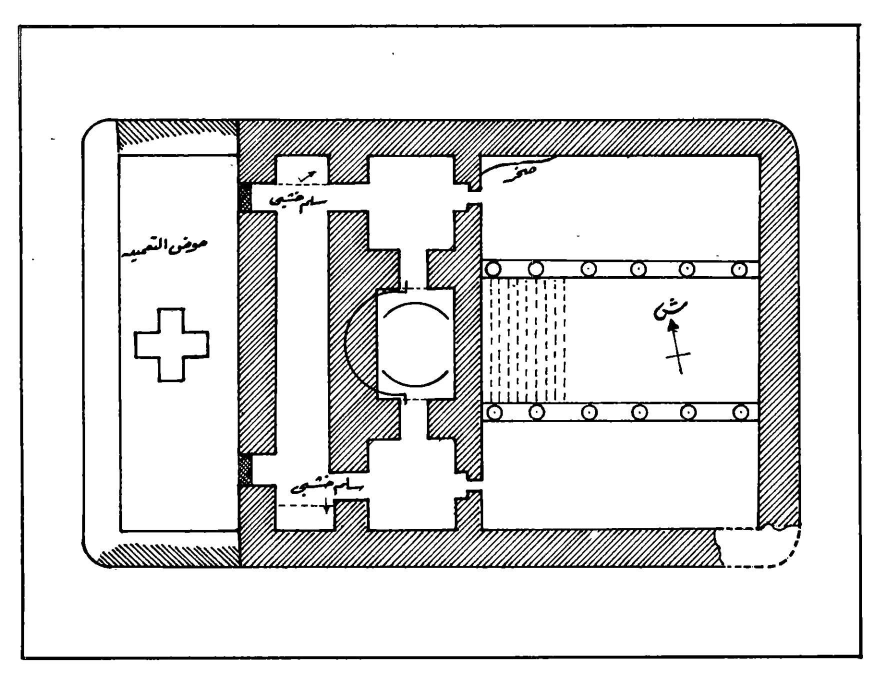
والكنيستان الباقيتان تقعان فى أقصى بقعة تجاه الجنوب ، الاولى منهما فى وادى بوصرأة على بعد حوالى عشرين كيلو مترا الى جنوب شرق بنى وليد بجوار ثلاثة مزارع محصنة وتعرف بقصر السوق الاوطى • وكانت الكنيسة أصلا على هيئة بازيليكا « صورة ٢٥ » ثم حولت الى مسجد فيما بعد وكانت تتكون من الصحن وجناحين ومنحنى بالجهة الغربية • كانت جدرانها من اللبن والكسارة تكسوها حجارة مربعة مستمرة غير منتظمة الشكل ، من الحجر • وقد تداعى الجدار الشرقى الذى كان به مدخل الكنيسة • ويفصل صحن الكنيسة عن الاجنحة خط من البواكى تتكون من خمسة اقواس تمتد فوق صف من أربعة أعمدة فردية بأربعة ضلوع والعامود الاخير بطرفى هذا الصف متاخم للجدار • كانت الاقواس مصنوعة من الاشلار وتنتصب فوق كتل زخرفية منحوتة كان اثنان منهما بشرق البواكى وشمالها يزدان من أسفلهما بنحت لولبى الشكل وورد • كان صحن الكنيسة والاجنحة مسقوفا بقباب



المخطط ـ ٢٥ ـ كنيسة قصر السوق الاوطى

ودعمت قباب الصحــــن والجناح الجنوبى بحزام من الاشلار يمتد بيـــن الفاصلين الثانى والثالث اللذين بين الاعمدة مـــن الجهة الشرقية . أما قبة الجناح الشمالى فهى الى حد بعيد من معمار العهد الاسلامى، ويوجد بالطرف الشرقى من صحن الكنيسة محراب المسجد ، لكــــن الطرف الغربى والمنحنى مندثران تحت الانقاض . والابواب التى بالطرف الغربى من الجناحين تؤدى الى مجموعة على هيئة مستطيـــل غير منتظم الشكل من الحجرات المعقودة بخلف المنحنى وربما كانت أكبرهن مخصصة للتعميد .

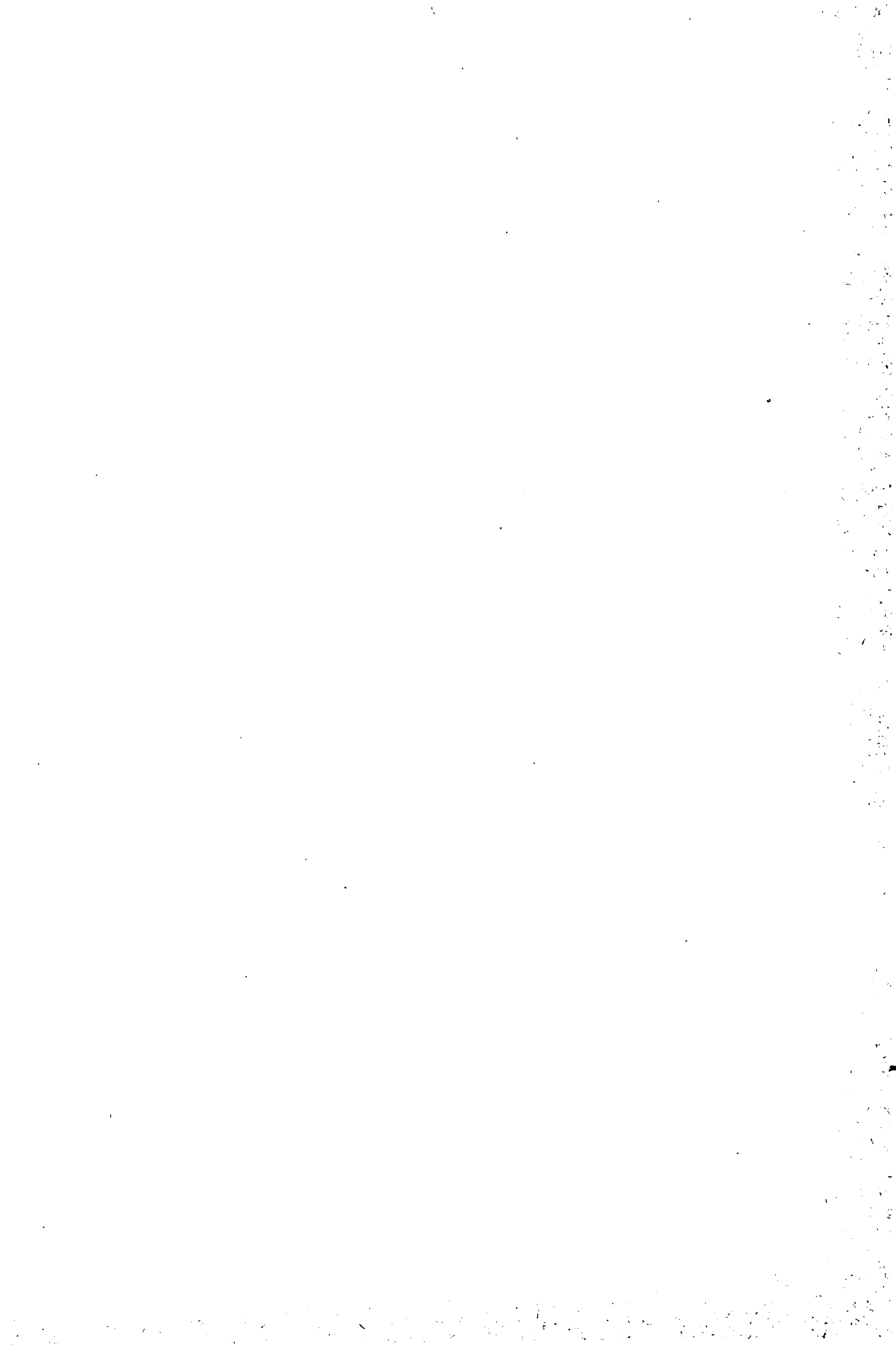
وآخر كنيسة نصفها هنـــا تعرف باسم خفاجى عامر وتقع فى شعبة أم الخرواب ، أحد الروافد الصغيرة علـــى يمين وادى سوف آجين ، على بعـــد حوالى خمسة وعشرين كيلو مترا بشرق مزدة . والكنيسة بجوار مبنى محصن على حافة هوة عميقة بجسر الوادى ، أما تخطيط مبناها « الصورة ٢٦ » فهو على هيئة البازيليكا الطرابلسية ، بصحن ، وجناحين ، ومنحنى واحـــد فى غربها ، ولكن نظرا لضيق المساحـــة كان طولها أقصر من المعتاد بالنسبة الى عرضها . كانت جدرانها مبنيـــــة بالكسارة واللبن ومكسوة بحجارة مربعة مستمرة تكاد أن تكون منتظمة الشكل ، والاركان الخارجية مستديرة ويبدو المبنى مـــن الخارج بسيطا متين المظهر أشبه بمزرعة محصنة . كان



المخطط ـ ٢٦ ـ كنيسة خفاجى عامر

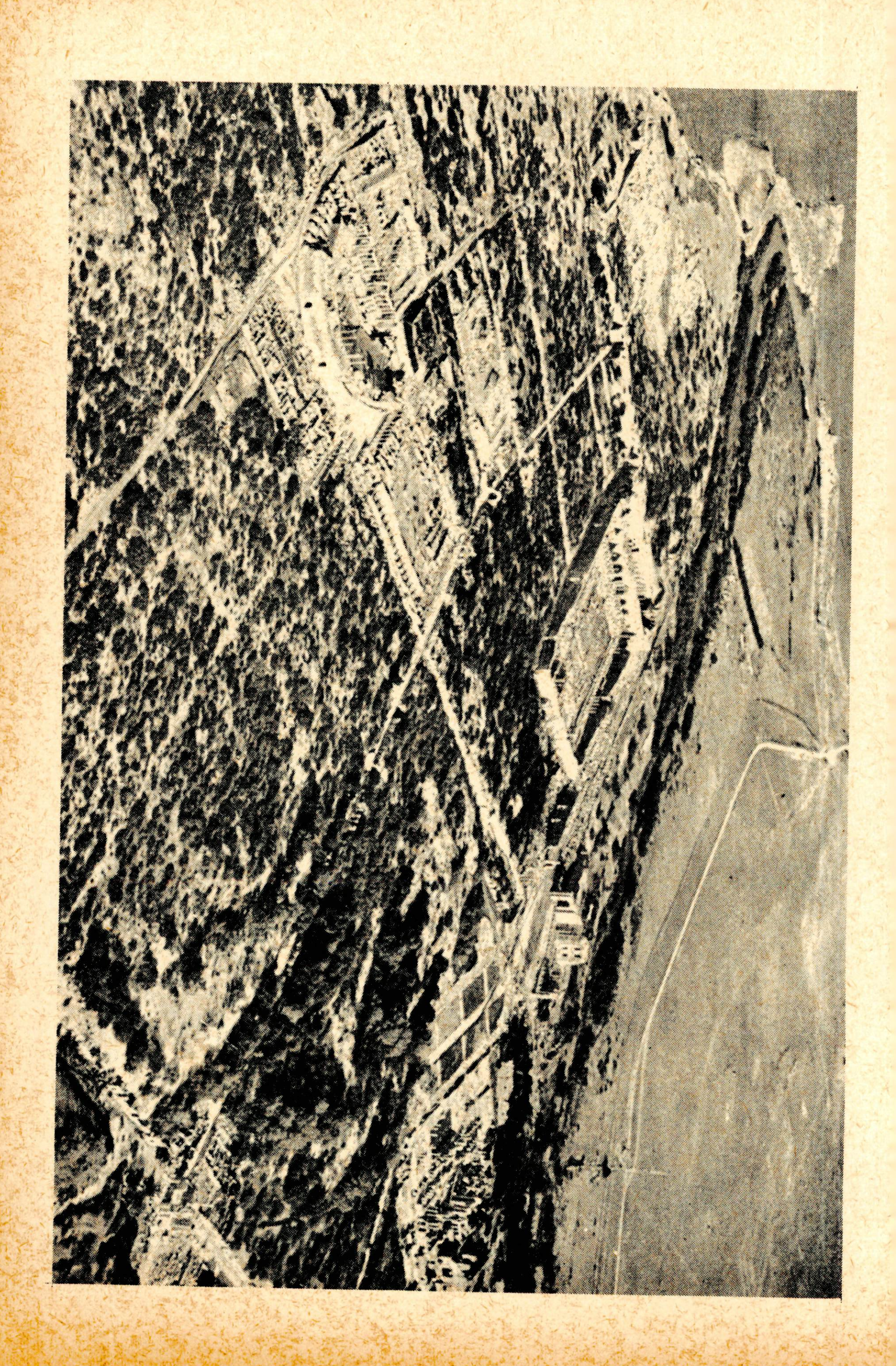
بالواجهة الشرقية ثلاثة مداخل برؤوس أفقية أوسطها أكبر بكثير من الاثنين الاخرين ويحلى عرضة رأس قوس غير ظاهر . وقد وضع الرحالة الالمانى بارت Bart في عام ١٨٤٩ رسما « اللوحة ٣٢ » يظهر فيه لوحات زخرفية مركزة بالواجهة على يسار المدخل الرئيسى « بالوسط » لكن تلك اللوحات اختفت منذ زمن . كان يفصل صحن الكنيسة عن الاجنحة بواكى تتكون كل واحدة منها من خمسة أقواس ترتكز على ستة أعمدة من حجر الجير كان الاول والسادس منها متاخما للجدار . والتاجان الباقيان بمكانهما وليس بهما أية زخارف ولكن وجد أيضا ثلاثة تيجان منحوتة كانت غالبا فى الصحن وما زالت موجودة عند سفح التل أمام الكنيسة وقد وضع بارت Bart الرحالة الالمانى رسمين لهما لكنهما اختفيا . كان الوصول الى المنحنى من الصحن فوق سلالم اندثرت الان تحت الانقاض . وكان نصف القبة الذى يعلو المنحنى محاطا من الامام بحاجز من الحجر ما زالت آثاره باقية عند رأس قوس المنحنى . وكما كان الحال فى بازيليكات صبراتة مما قبل العهد البيزنطى (ص ٩٩) كان الستار الحجرى مرتكزا بين زوج من الاعمدة الاسطوانية أو الرباعية وممتدا على وتر المنحنى . ومساحة الصحن تقرب من ضعف ارتفاع الاجنحة ولا شك انها كانت مسقوفة بقبة طويلة مثلهما . كانت الجدران والقباب مطلية بالستوكو وملونة بصور لاشخاص ما زالت أجزاء منها باقية للان . وعلى جانبى المنحنى توجد حجرتان مستطيلتان تولج من أبواب بالطرف الغربى من الجناح . ويربط الحجرتين ببعضهما ممر بقبة نصف اسطوانية تحت أرضية المنحنى . وكل من الحجرتين تفتح غربا على ممر عريض يمتد بعرض الكنيسة كلها بخلف المنحنى . وفوق كل حجرة توجد حجرة أخرى تولج من الدهليز من الجانبين بسلالم . وتتصل الحجرتان العلويتان مباشرة بداخل الكنيسة من أبواب على جانبى المنحنى ، وفيما وراء الطرف الغربى من الكنيسة توجد آثار طفيفة لحجرة تعميد بسقف معقود شيدت فوق المخطط الاصلى فى تاريخ لاحق وتتصل بالكنيسة من بابين يفتحان على الدهليز الغربى . ولا يتبقى من حجرة التعميد الا الاجزاء السفلى بالطرفين الشمالى والجنوبى وقوائم القبة بطول جدار الكنيسة ، وجزء من أحد أذرعة حوض التعميد الذى يبدو أنه كان على هيئة صليب بالطراز البيزنطى . أما باقى المبنى فقد أنهار عند أسفل التل هو والمسطبة التى .. قائما عليها . وفى أواخر تاريخ الكنيسه عندما توقف استعمال حوض التعميد ، أغلقت الابواب التى كانت تؤدى اليه . فى ذات الوقت زاد ارتفاع جدران الكنيسة واضيف طابق ثان فوق الاجنحة .

الاماكن الاثرية

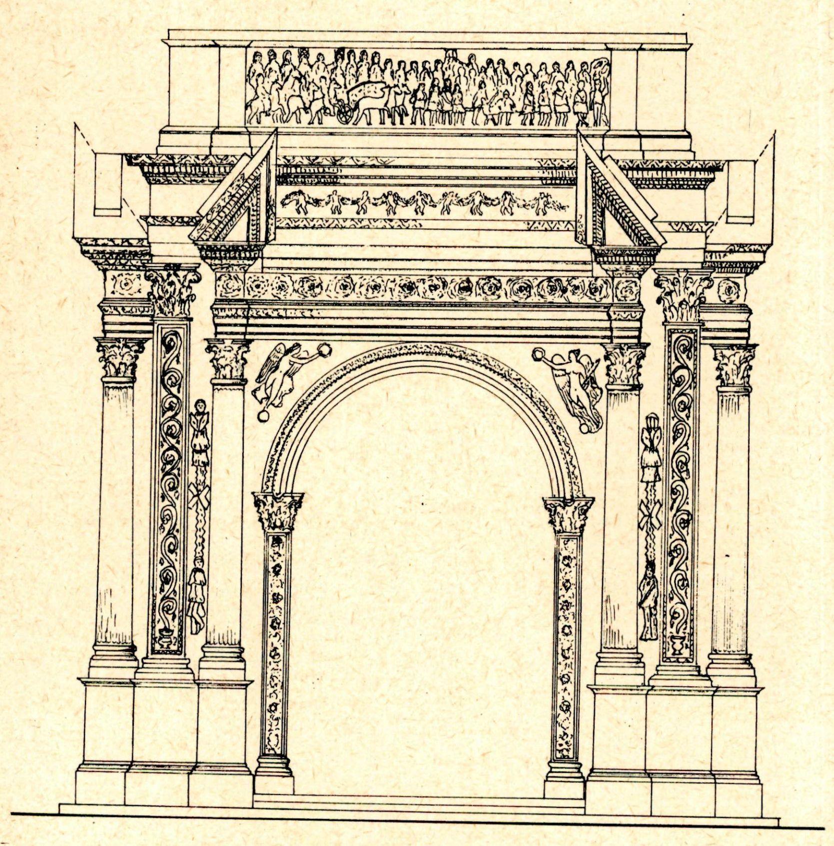


اللوحات

اللوحة ١ : لبدة ـ صورت أخذت من الجو ـ أخــذت من الجنوب الغربى
وتشــتمل عــلى البازيليكا والفــوروم السفيرى (فوق الوســط بقليل)
وحمامات هادريان (فى الوســـط الى اليمين) وقوس سفيروس (بأسـفل
الصــورة الى اليمين) والمســـرح ، والـكالكيديكوم والســوق (بوســط
الصورة الى اليسار) والفوروم القديم والمرفأ (بأعلى الصورة الى اليســـار)
(بتصريح من مدير المدرسة البريطانية فى روما)



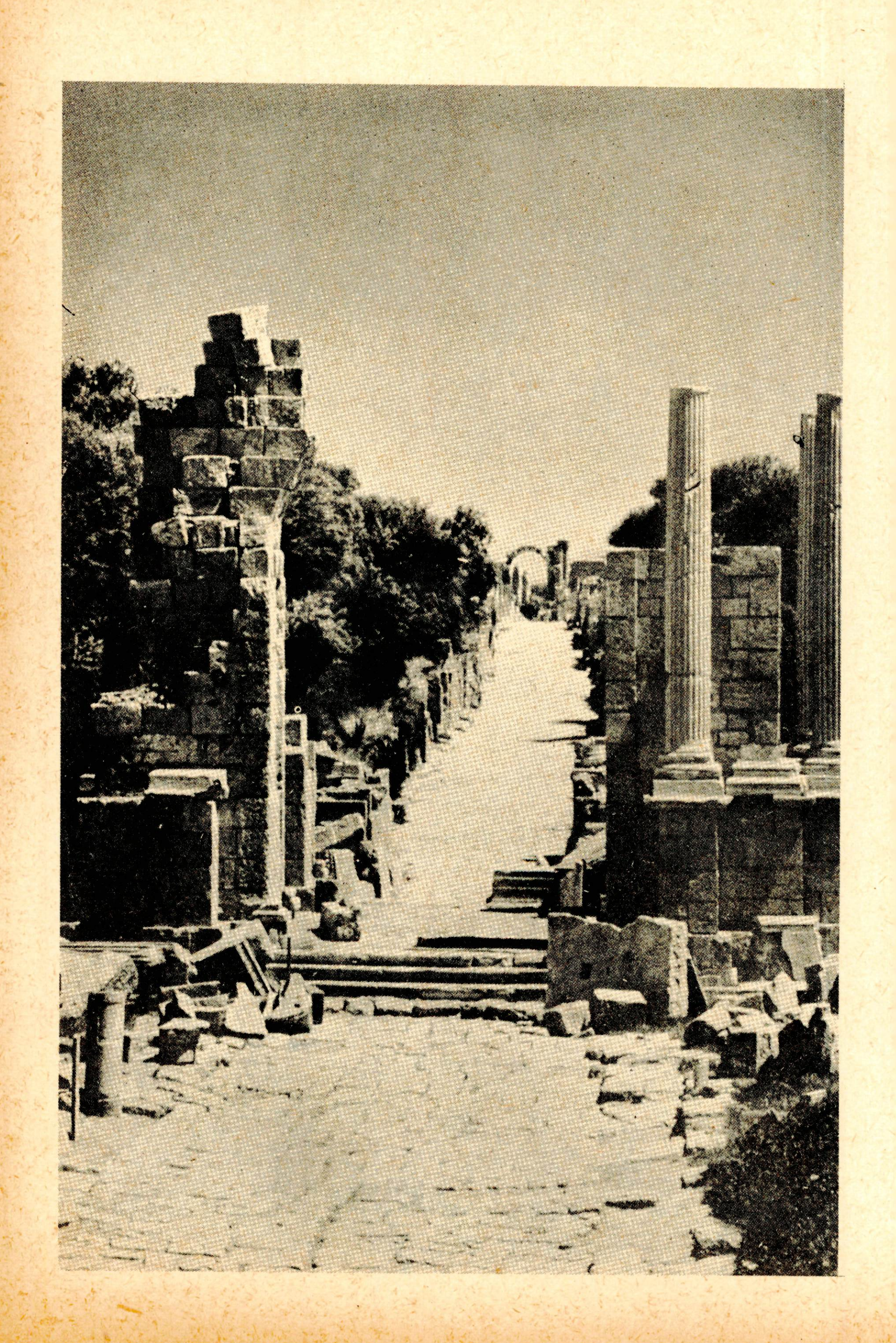
اللوحة ٢ (حرف أ) : قوس سبتيميوس سفيروس بمدينة لبدة بعد اعادة رسمه • أخذ من رسم وضعه مستر دينس سبيتل ومستر كينيث براون
(بتصريح من مدير المدرسة البريطانية في روما)



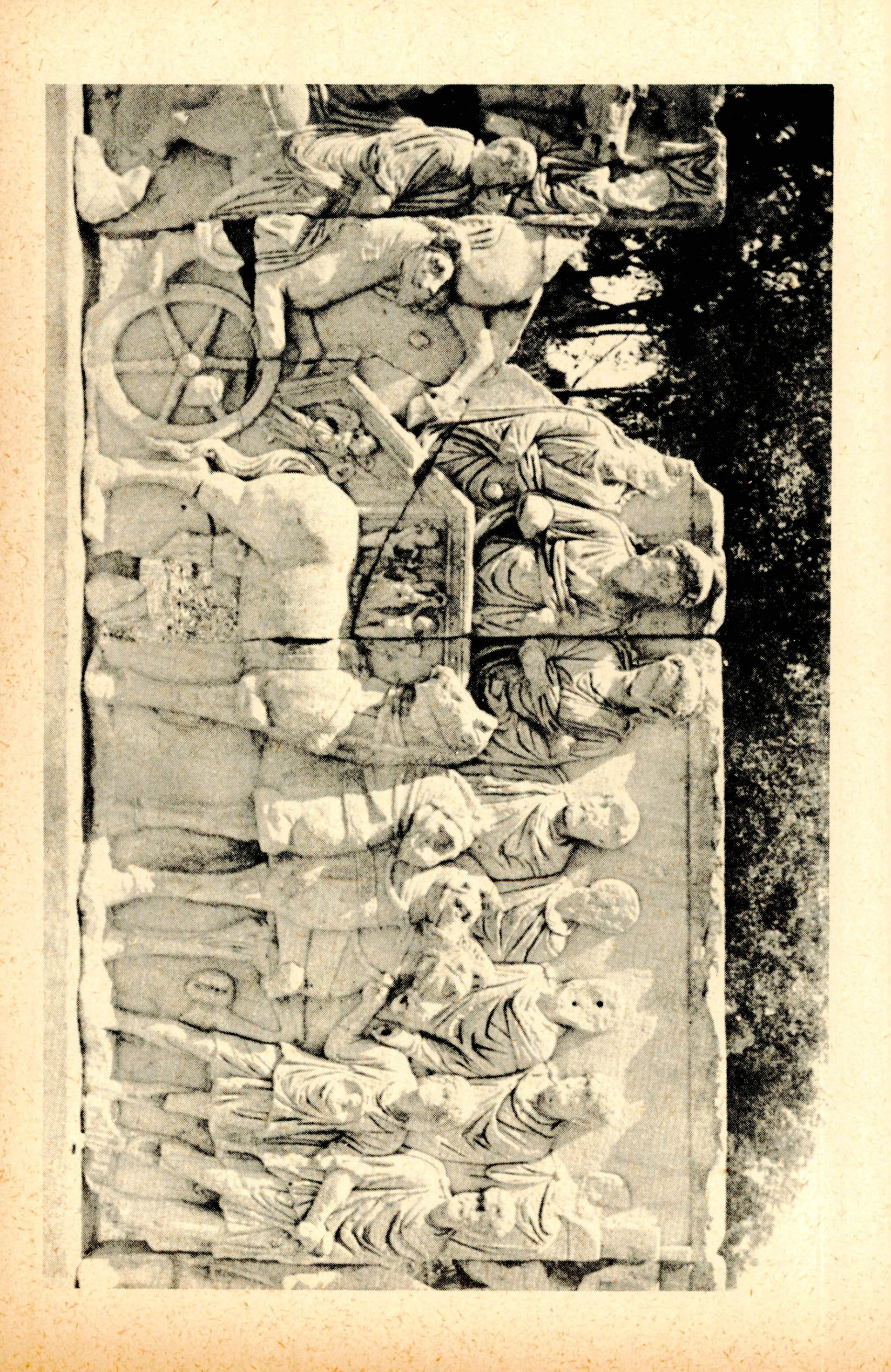
اللوحة ٩٢

قوس سبتميوس سيفيروس فى مدينة لبدة

اللوحة ٢ (حرف ب) : قوس سبتيميوس سفيروس بمدينة لبـــدة ٠ أخذ المنظر من شـــمال الكاردو تجاه قوس تراجان ، وبمقدمة الصورة حجريشير الى بداية طريق ايليـــوس لاميا اللذى يقود الى داخل المدينة



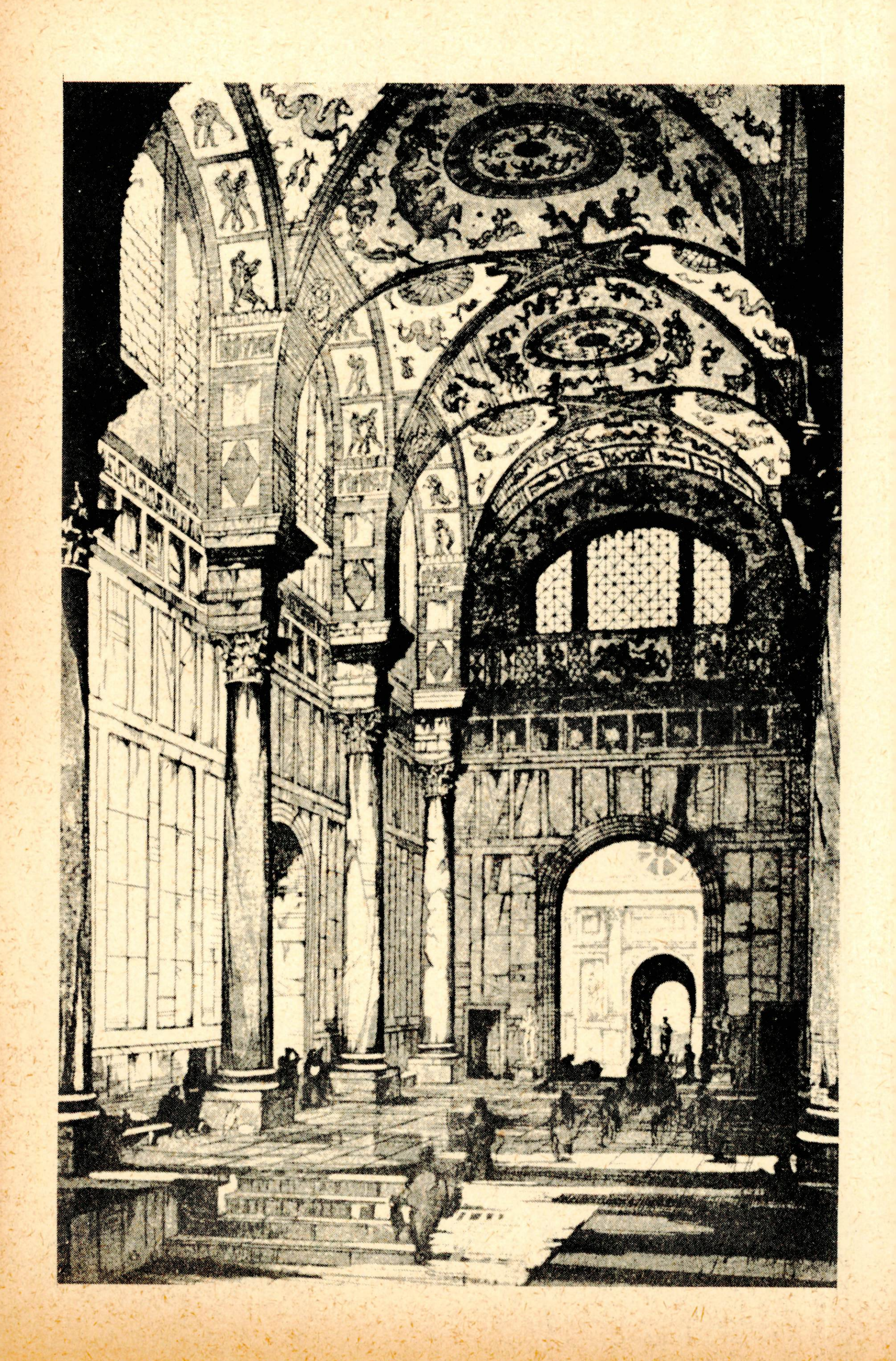
اللوحة ٣ : منظر موكب النصر . أخذمن قوس سبتميوس سفيروس بمدينة لبدة . أخذت اللوحة من الطابق الذى يعلو القوس وتمثل الامبراطور راكبا بين ولديه كاراكالا وجيتا (تصوير : س٠١٠هينز)

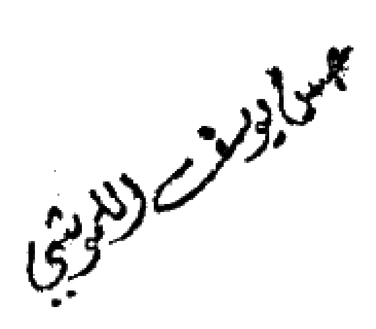


اللوحة ٤ : إلهة النصر ، من قوس سبتيميوس سفيروس بمدينة لبدة
(تصوير : س١٠ هينز)

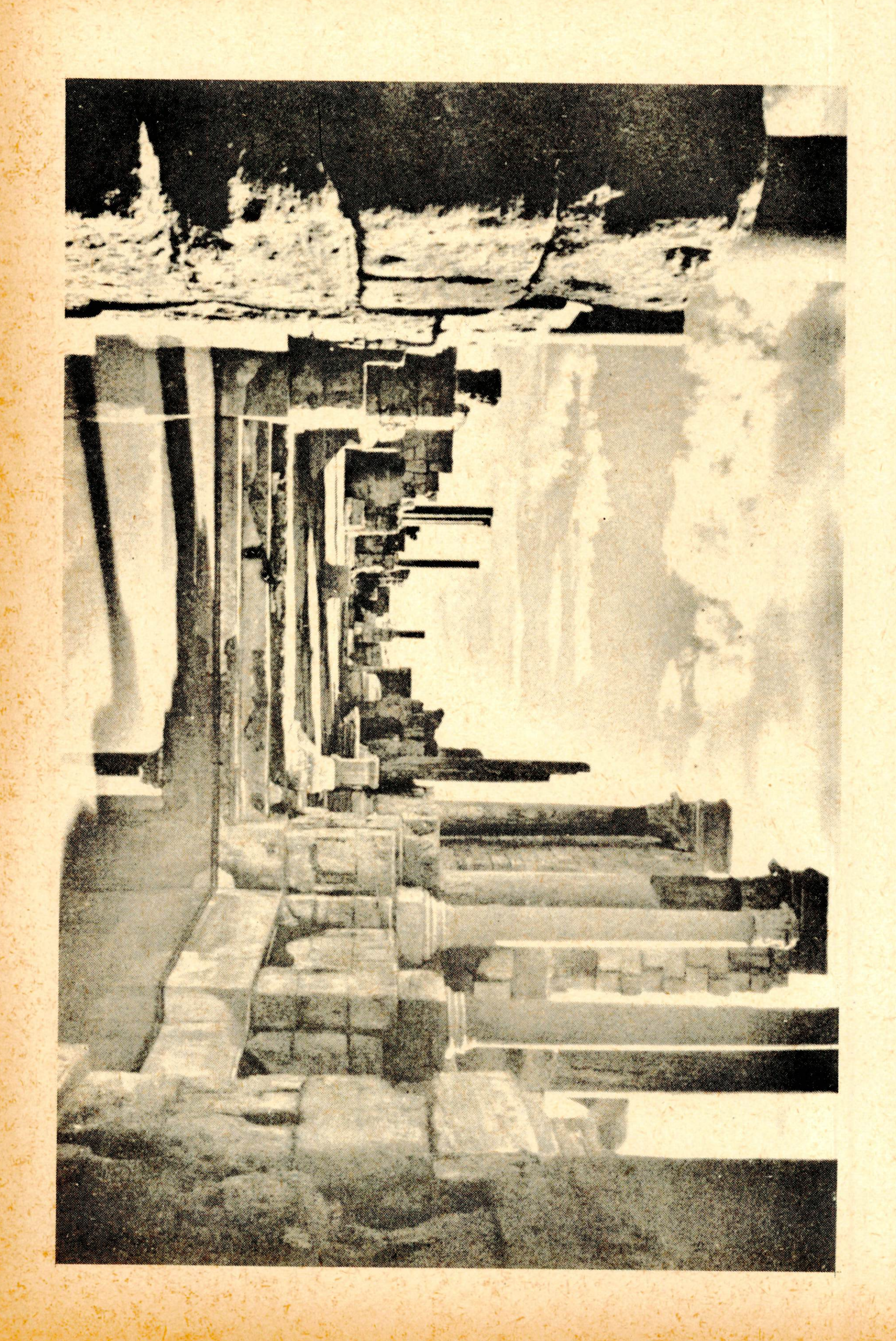


اللوحة ٥ : الفريدجيداريوم بحمامات هادريان فى لبدة ، بعد اعادة رسمها أخذت الصورة بمواجهة الشـرق ومن ذات الاتجـاه للوحة ٦ ، وهى مطبوعة من قالب وضعه مستر سيسل٠س٠ بريجز
(بتصريح من مدير الاكاديمية الامريكية فى روما)





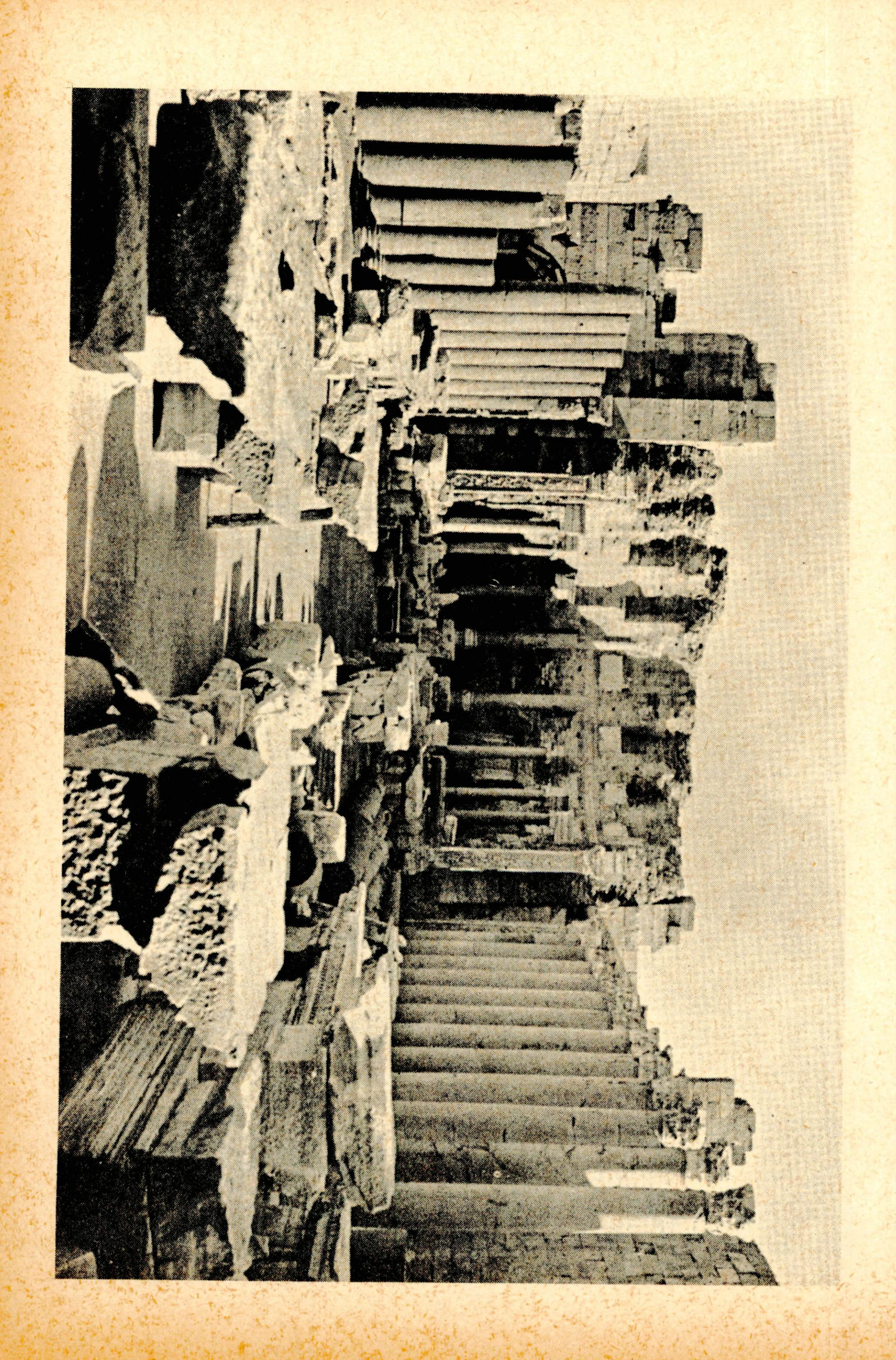
اللوحة ٦ : الفريدجيدازيوم فى حمامات هادريان بمدينة لبدة • منظر يطل الى الشرق عبر الحوض البارد الغربى (بتصريح من ذ جناح ـ طرابلس)



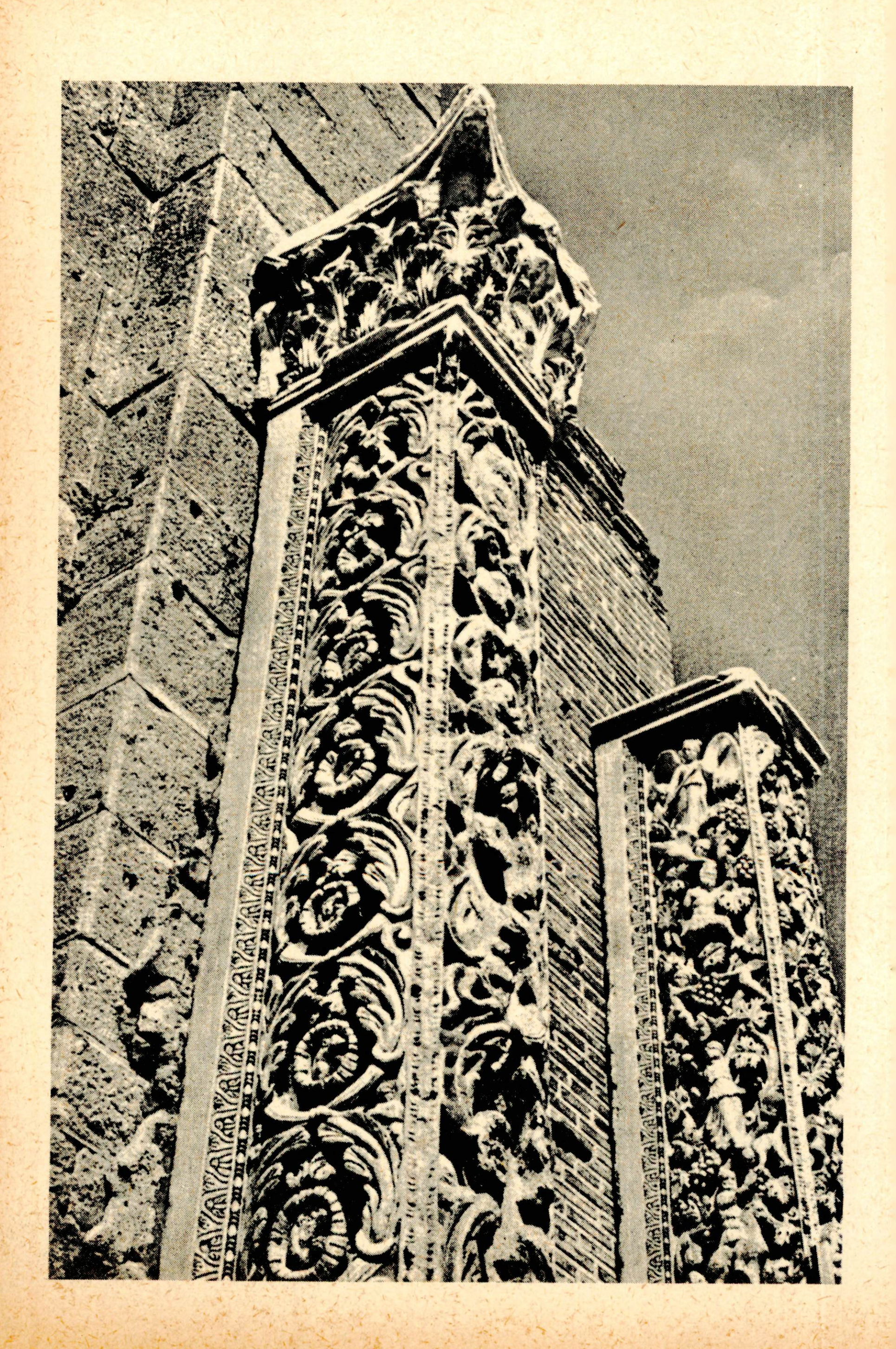
اللوحة ٧ : رأس ميدوزا ـ أخـذ من البواكى بالفوروم السيفيرى ـ فى لبدة
(تصوير : س١٠٠هينز)



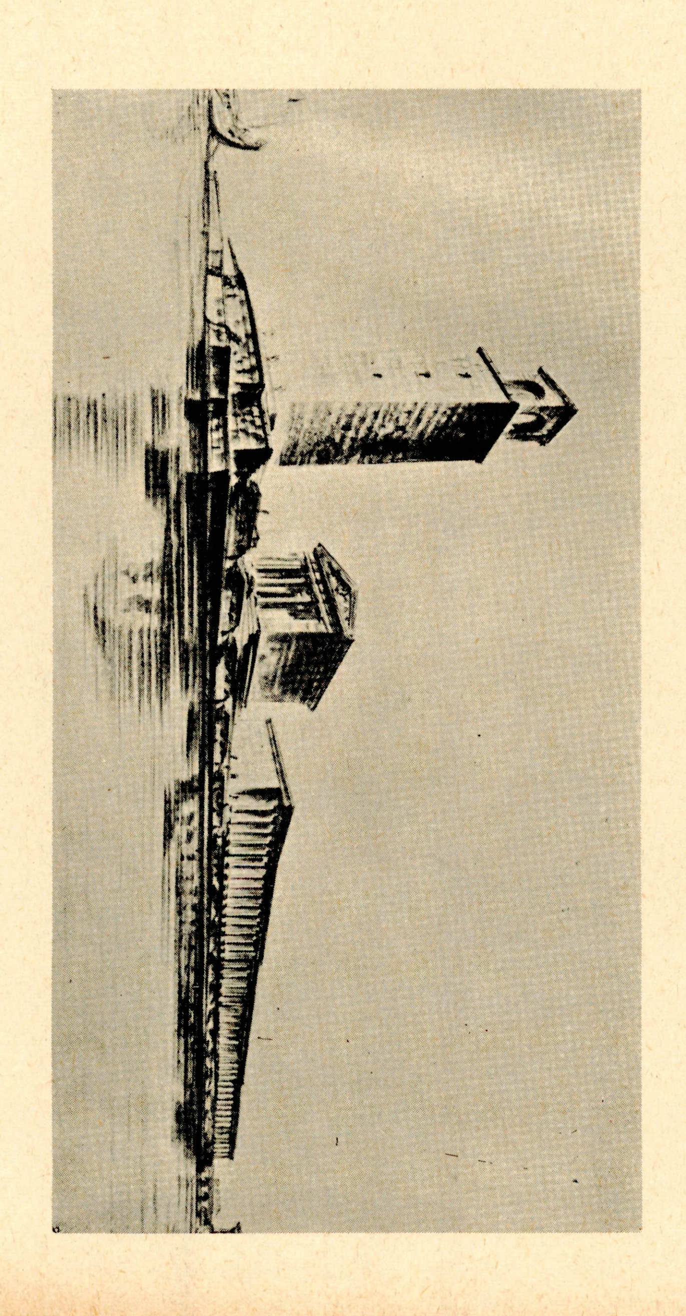
اللوحة ٨ : داخل بازيليكة سفيروس فى لبدة ، منظر يطل على الجنـــوب الشرقى
(تصوير مصلحة الاثار ـ بطرابلس)



اللوحة ٩ : أعمدة رباعية متاخمة لبازيليكة سفيروس فى لبدة ، والعامودان فى هــذه اللوحة على أحـد جـوانب المنحنى الشـمالى ، ويحمـل العامود الايمن مناظر ديونيزية (بتصريح من ـ جناح ـ بطرابلس

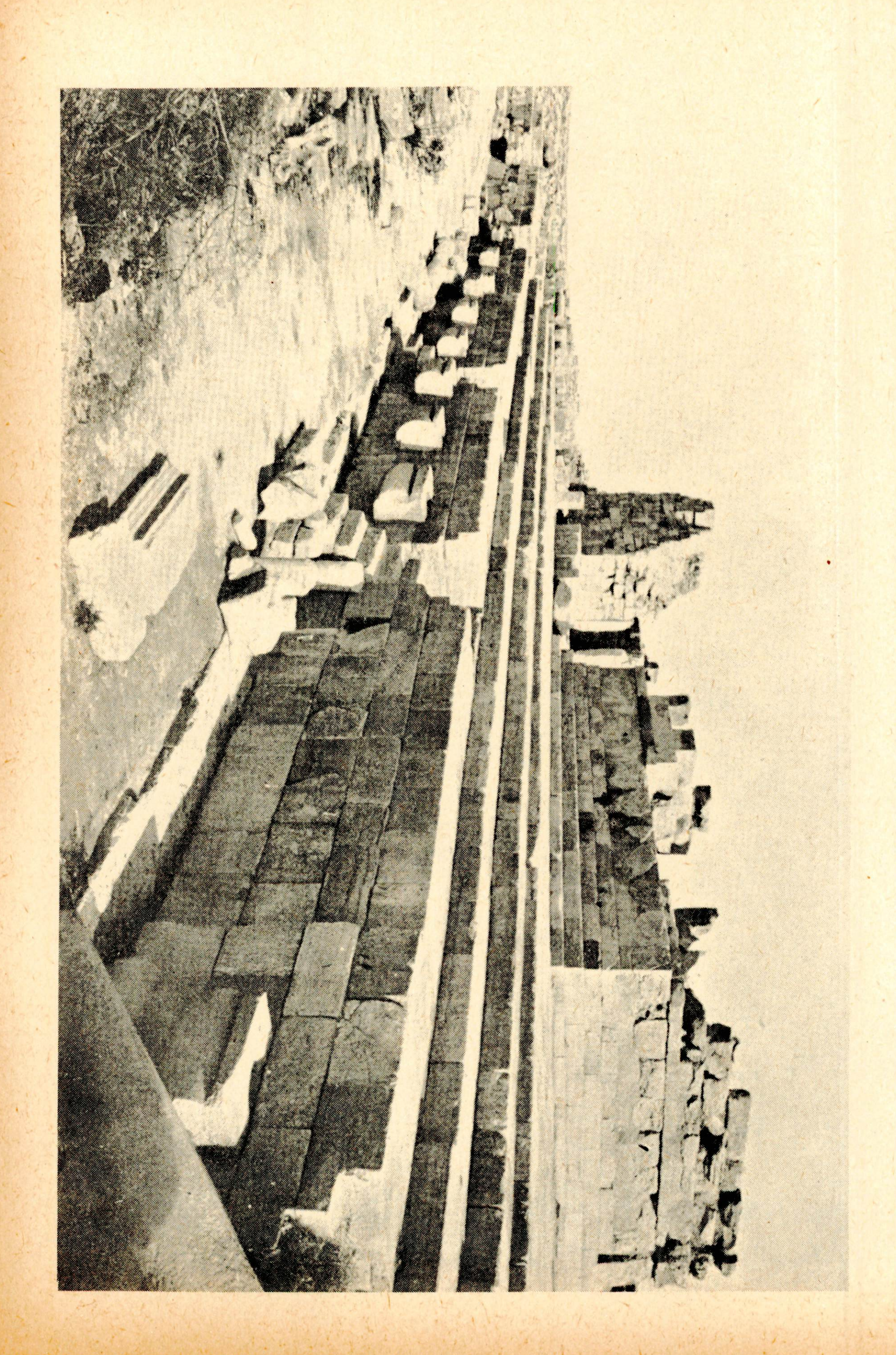


اللوحة ١٠ (حرف أ) : تمثل الصورة العليا اللسان الشرقي الممتد من المرفأ في لبدة بعد اعادة رسمه ، ويشير من اليسار الى اليمين) الى برج السمافور ، ومعبد دوري والمخازن المعمدة ٠ من رسم وضعه س ١٠ ٠ كاربيتشيتني (بتصريح من البروفسور ر ٠ بارتوتشيني)

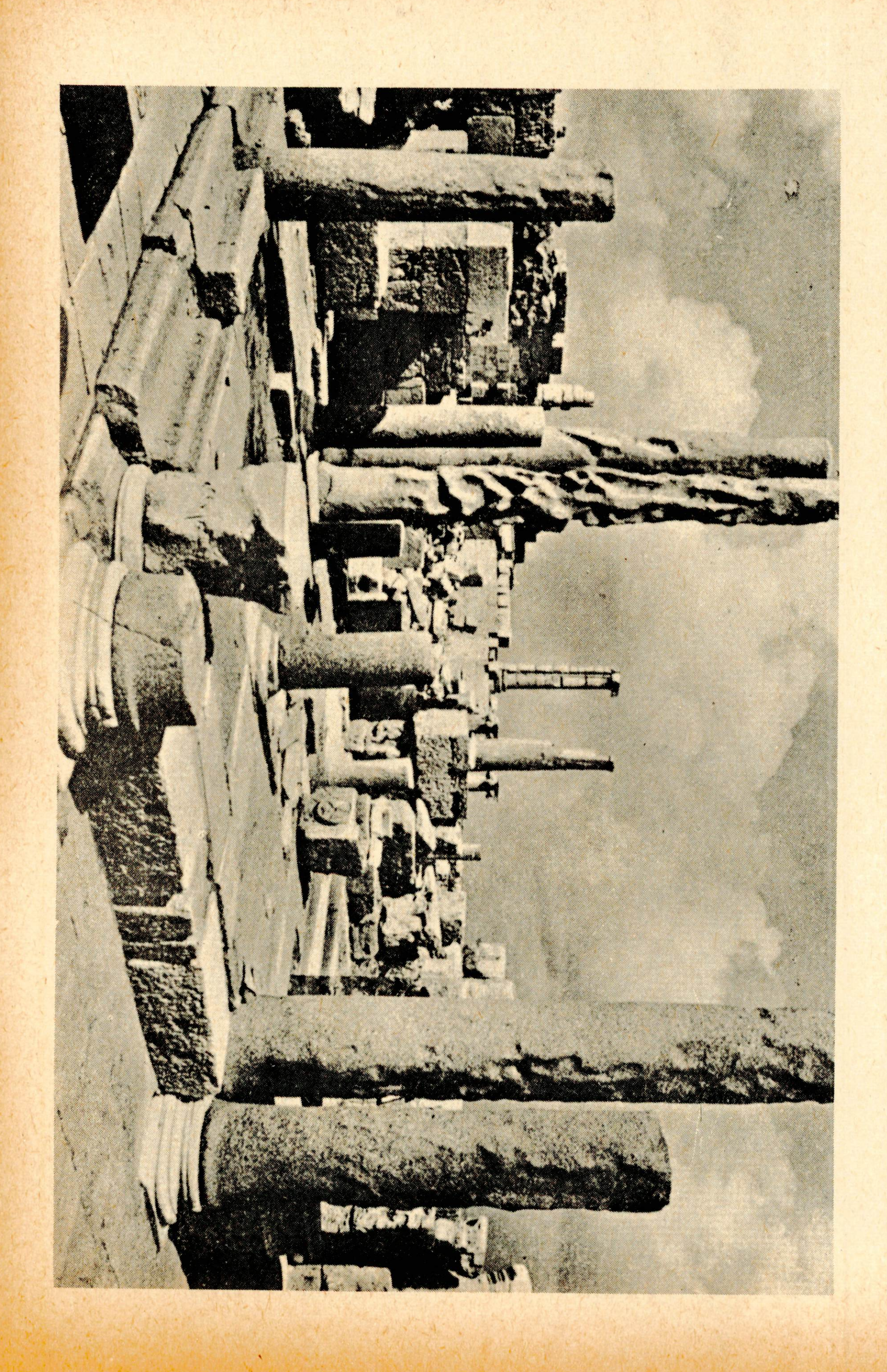


اللوحة ١٠ (حرف ب) : الصورة تمثل اللسان الشرقى بمرفا لبدة وبه كتل الحجر التى ترسو عندها السفن والدروج التى بخلف الرصيف وبأعلى الصورة تشاهد اثار معبد دورى على اليمين وبرج السمافور ٠

(تصوير مصلحة الاثار بطرابلس)



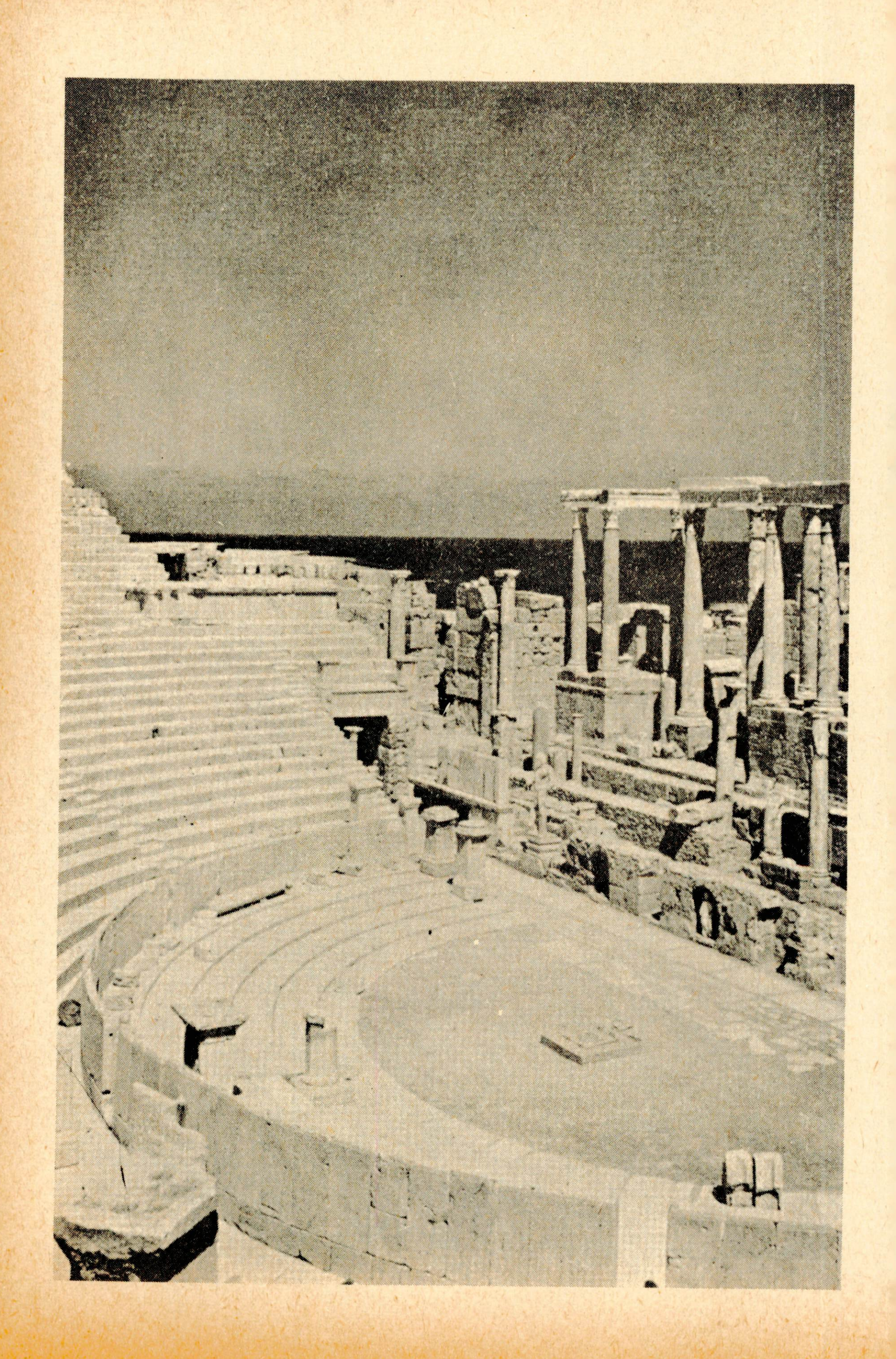
اللوحة ١١ : كنيسة الفوروم القديم فى لبدة • المنظر يواجه الشـمال عبر المنصة الذى كان الهيكل من فوقها • (بتصريح من ـ جناح ـ بطرابلس



اللوحة ١٢ : قوس تراجان فى لبدة . (بتصريح من ـ جناح ـ بطرابلس



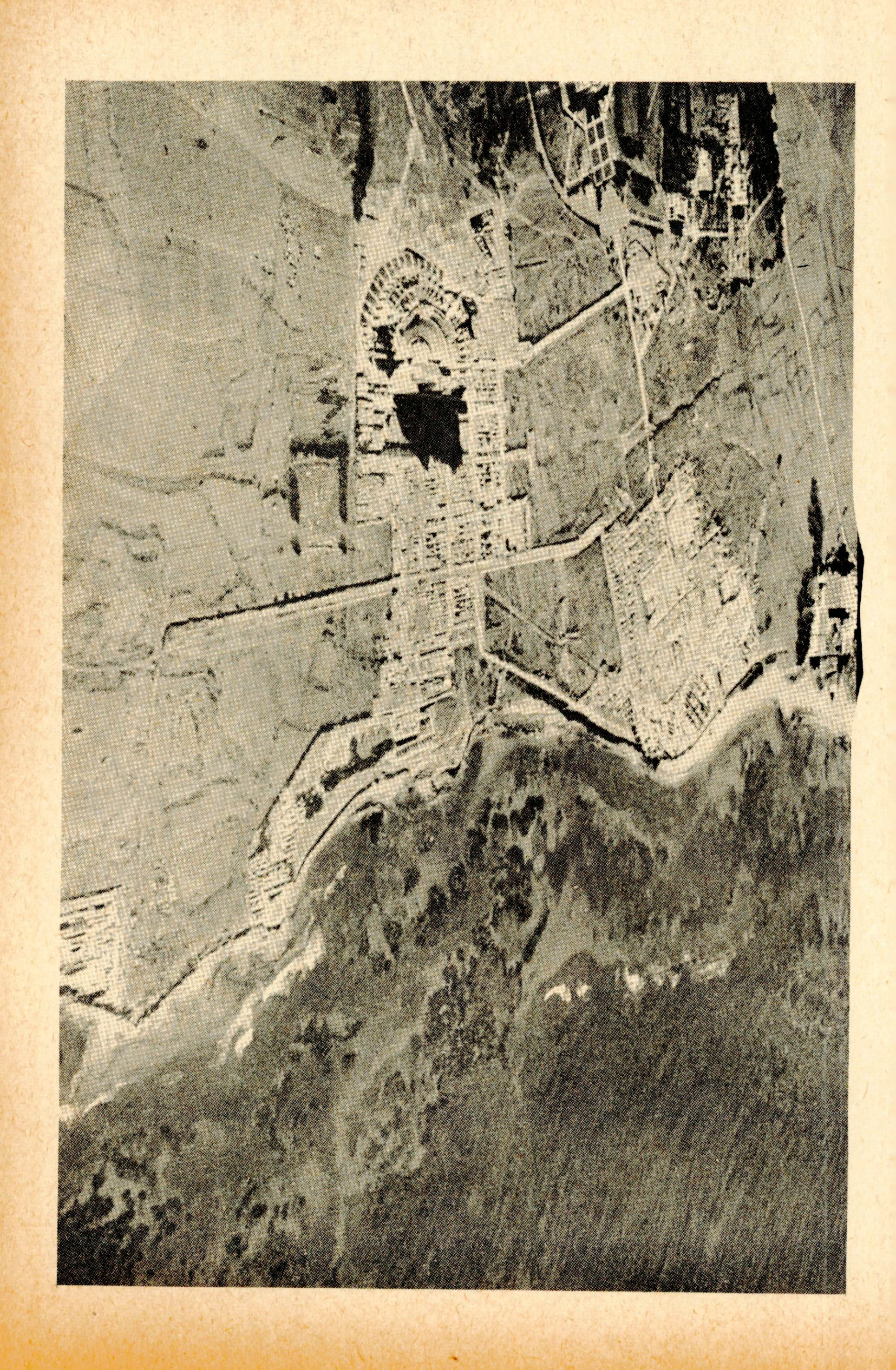
اللوحة ١٣ : الاوركسترا بمســـرح لبدة ٠



اللوحة ١٤ : قوس ماركوس أوريليوس بطرابلس . أخذت الصـــورة من الجنوب الغربى .

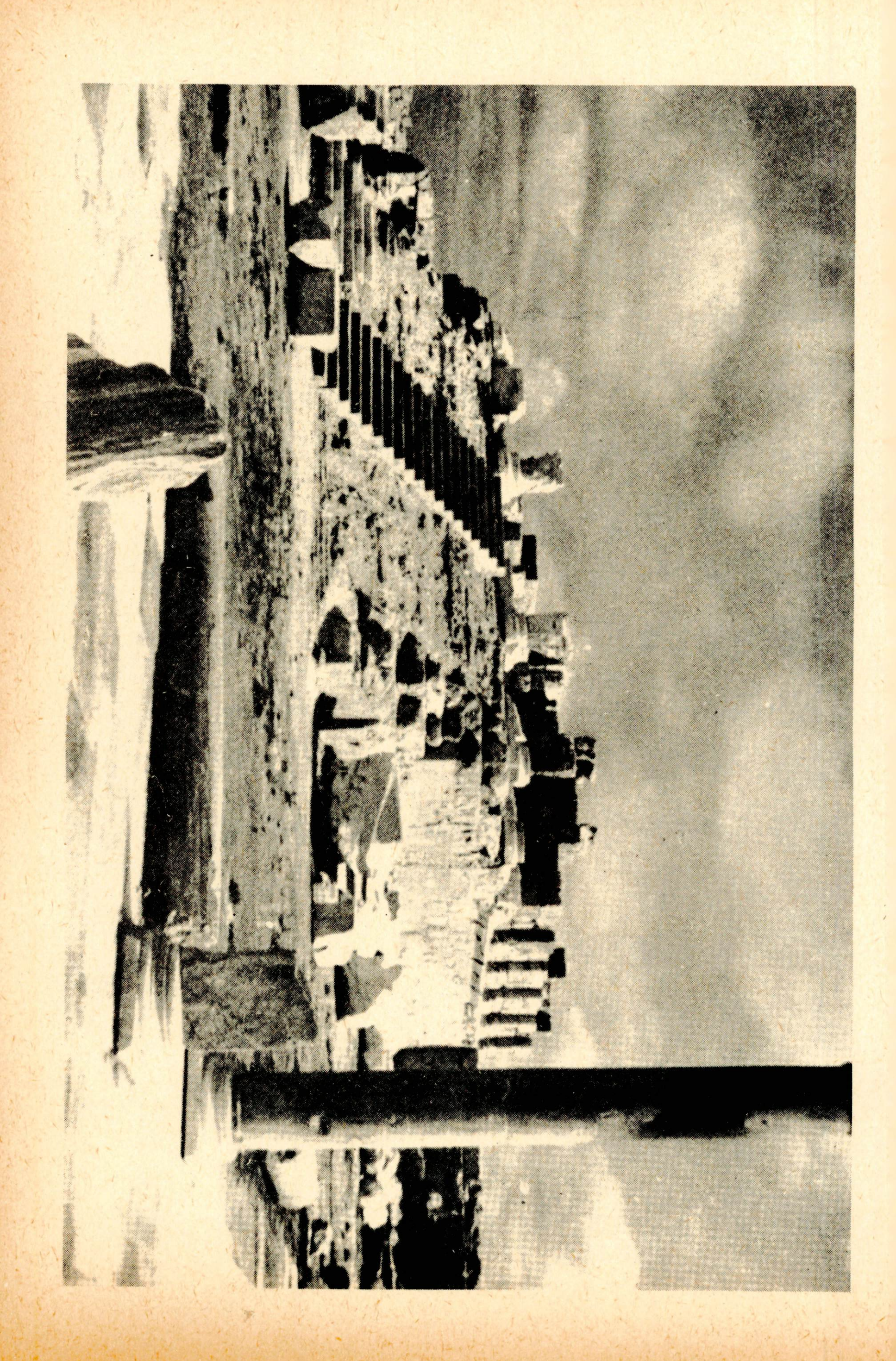


اللوحة ١٥ : صبراته من الجو . أخذ المنظر بمواجهة الغـرب . ويشـــاهد بالصورة معبد ايزيس فى المقدمة من اليمين ، والمسرح ماثلا بالوسط الى اليسـار ، والفـــوروم والمدينـــة الامبراطورية القديمة بالوسط فى أعلى الصورة والى أبعد ـ فى البحـــر ـ يشـــاهد خط أبيض للصخور التى كانت مرفأ لصبراته .



اللوحة ١٦ : المعبد الانطونينى فى صبراته · صورة أخذت من الركن الجنوبى من الساحة المحيطة به ·

(تصوير : س·١٠هينز)

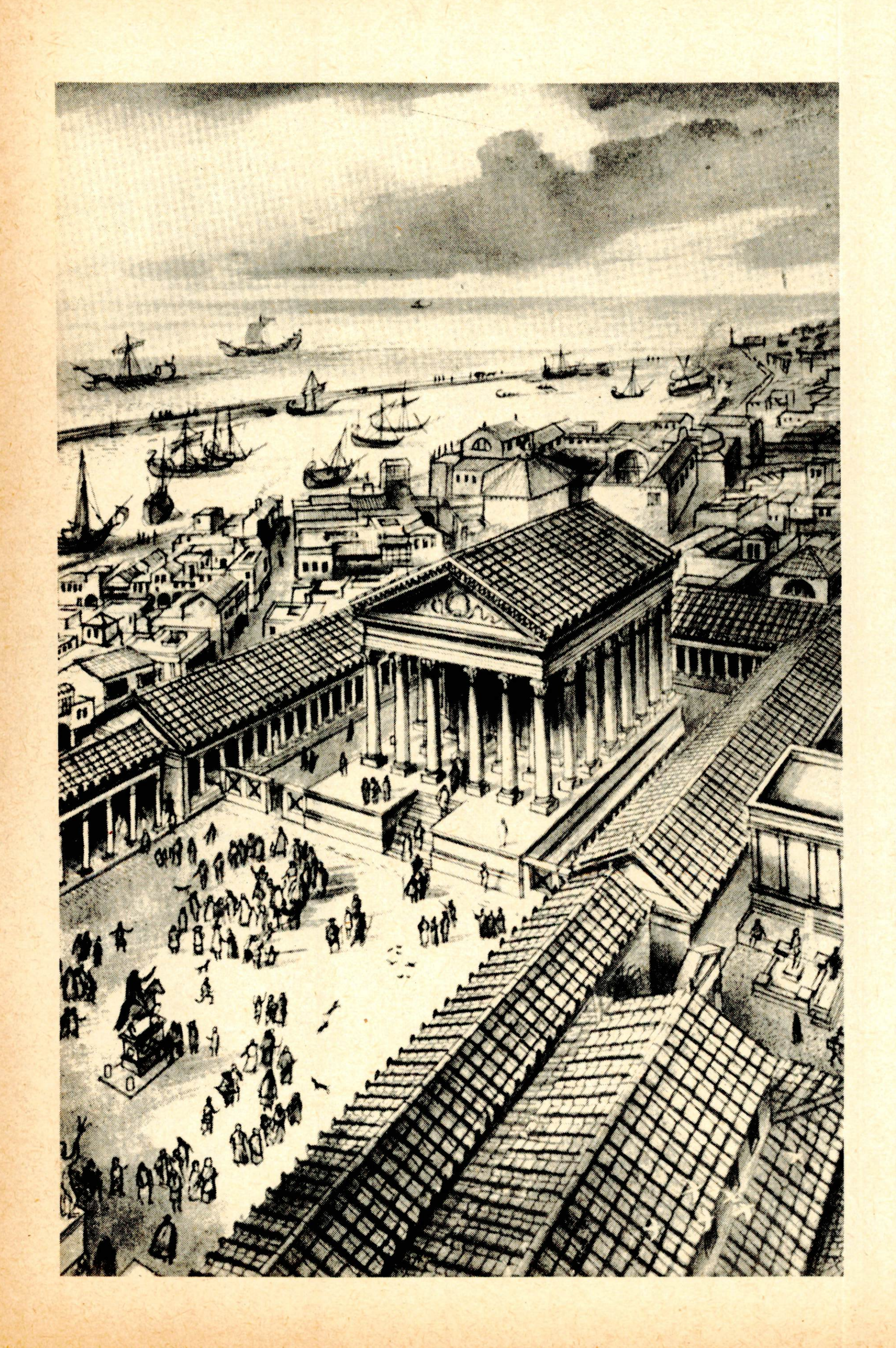


اللوحة ١٧ : صورة من الجو للفوروم في صبراتة . أخذ المنظر بمواجهة الشمال الشرقي ، وعلى اليمين تشاهد البازيليكا بالمقدمة ومعبد ليبرباتر من فوقها الى أعلى . وتمتد الكوريا والكابيتول على اليسار بطرف الصورة من أعلاها الى أسفل . ويمكن مقارنتها باللوحة رقم ١٨ .
(بتصريح من مدير المدرسة البريطانية في روما)

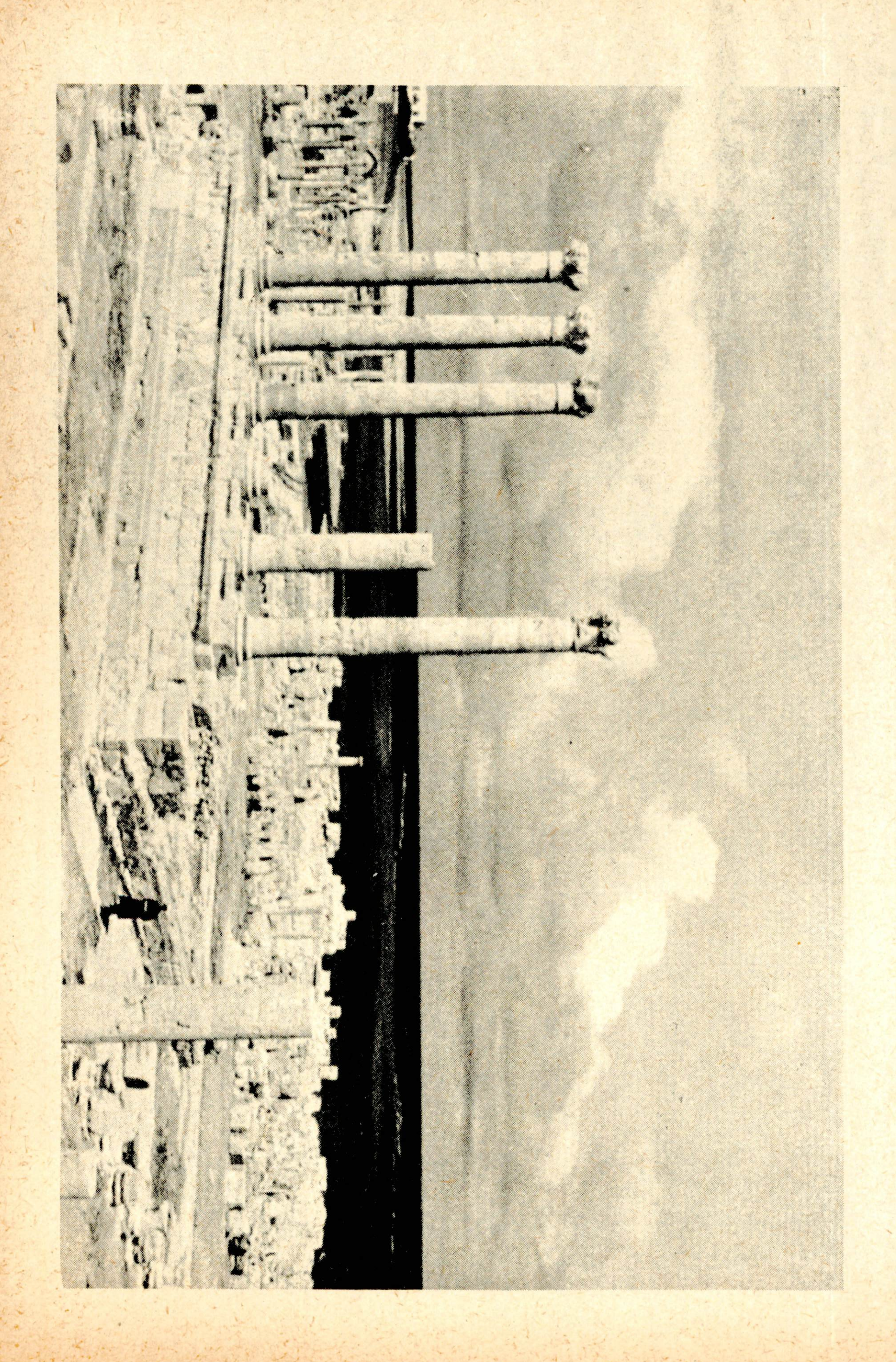


اللوحة ١٨ : معبد ليبرباباتر والفوروم فى صبراته ، بعد اعادة رسمها ، ويشاهد فى الصورة المنطقة كماكانت تبدو حـــوالى عام ٢٠٠ ب٠م ، والى اليمين ـ بالمقدمة ـ ترى البازليــكا وقمرياتها وبخلفها حمامات البحر ٠

(أخذت الصـــورة من رسم وضعه مستر الان ســـوريل مع د٠كاتلين كنيون ، بتصريح من ناشــر مجـلة Illustrated London News



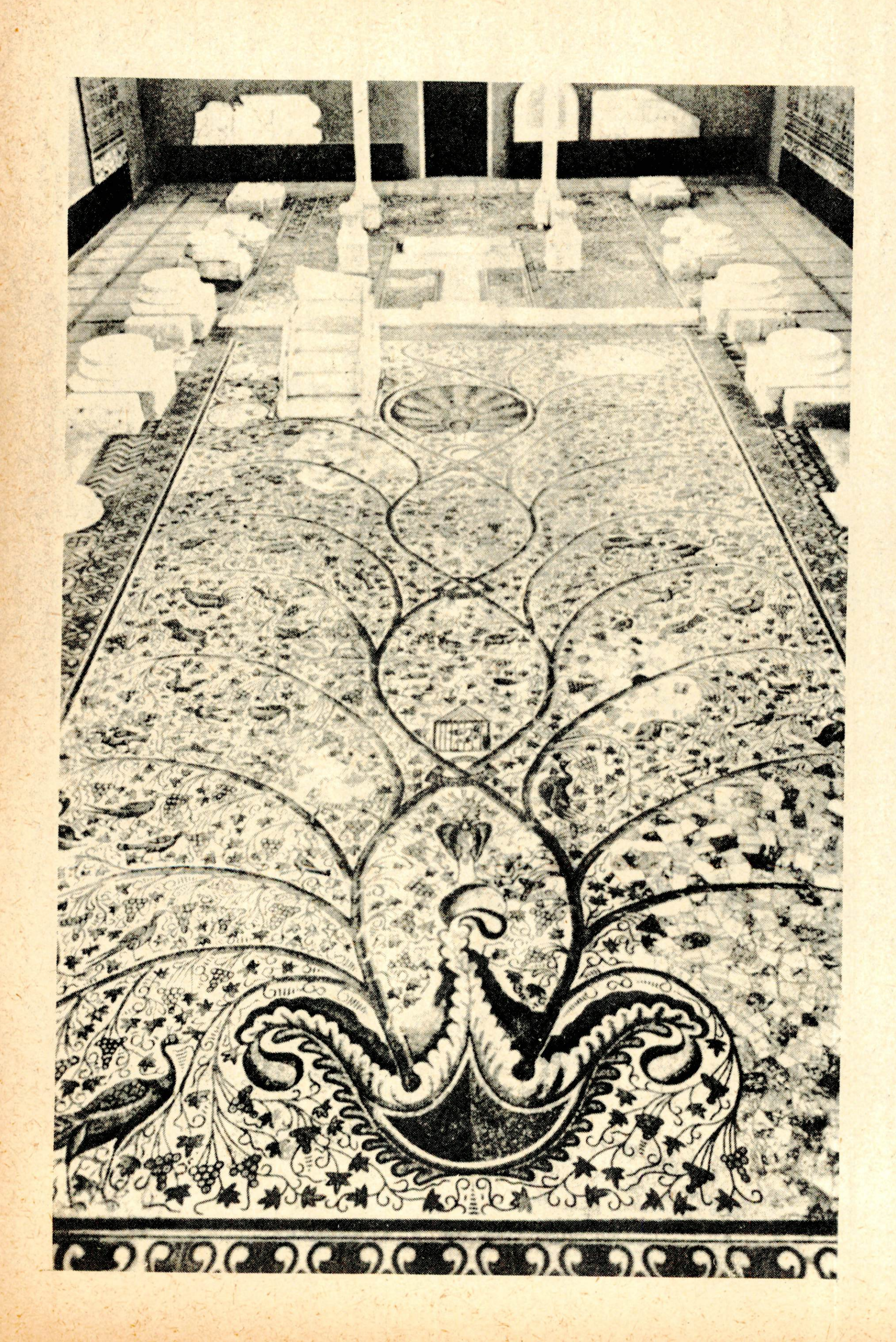
اللوحة ١٩ : معبد ليبرباتر فى صبراته ٠صورة أخذت من الجنوب الشرقى
(تصوير : س٠١٠هينز)



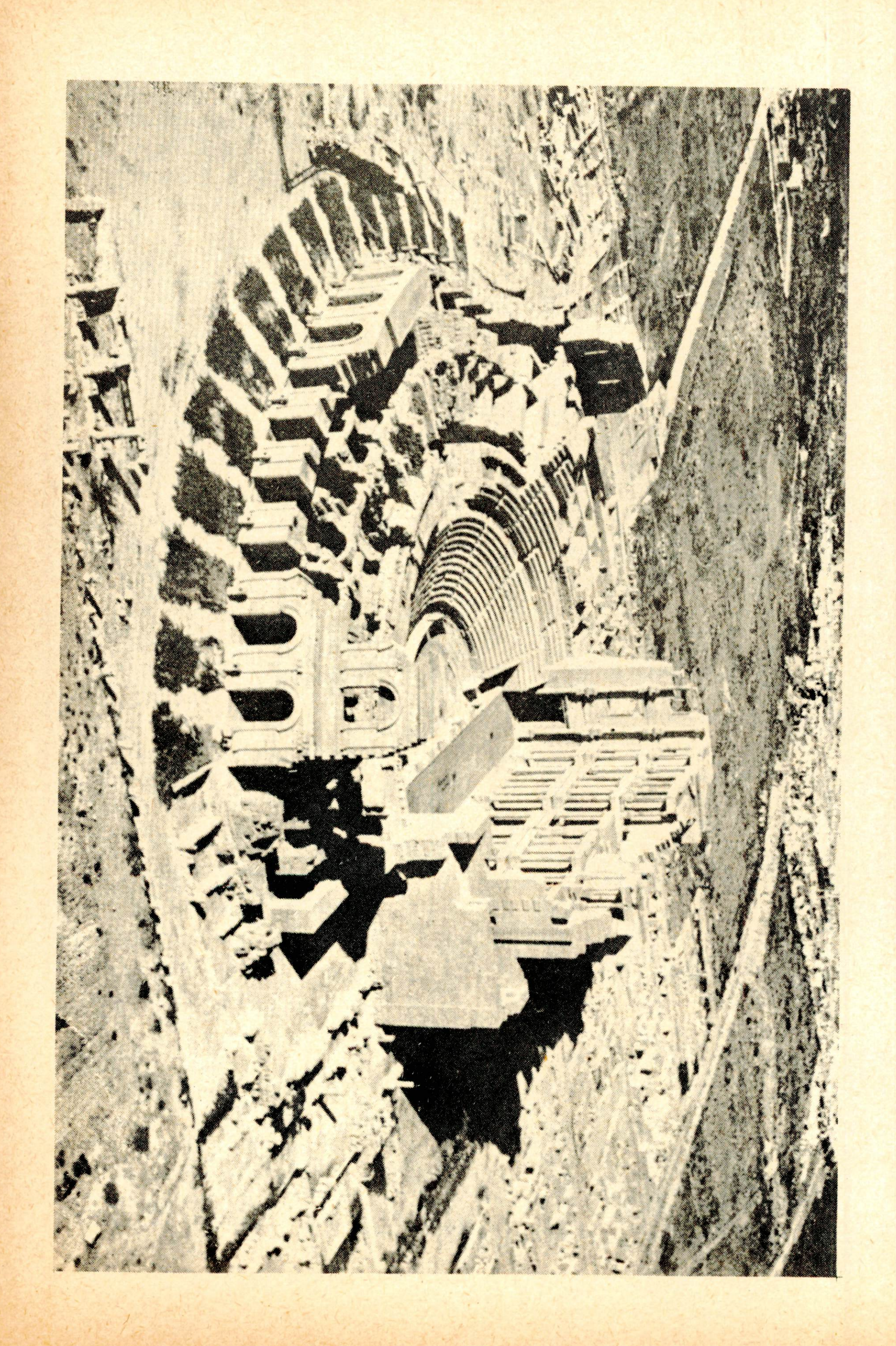
اللوحة ٢٠ : بازيليكة جوسينيان فى صبراته ٠ أخذت الصورة من الجنوب الغربى ، بالمقدمة باب يؤدى من الرواق الغربى الى الجناح الجنوبى وفيما ورائه فى صحن البازيليكا يشـــاهدالمنبر (امبو) ٠



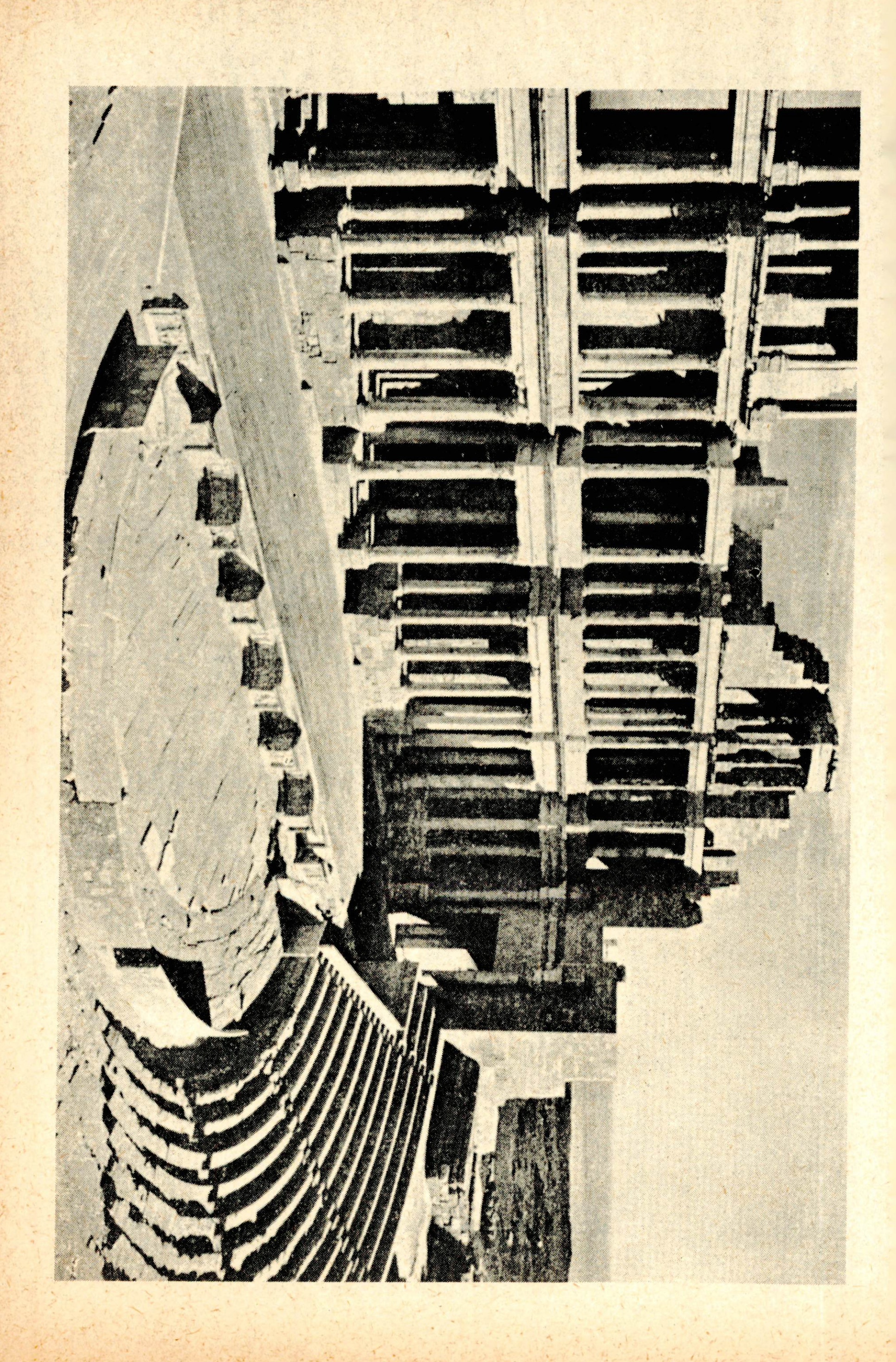
اللوحة ٢١ : فسيفساء من أرضـــية بازيليكية جوستينيان في صـــبراتة ، ونقلت الى المتحف ويمكن تتبع النظام الذى كانت الكنيسة قائمة عليه من الصورة . (تصوير مصلحة الاثار ــ طرابلس)



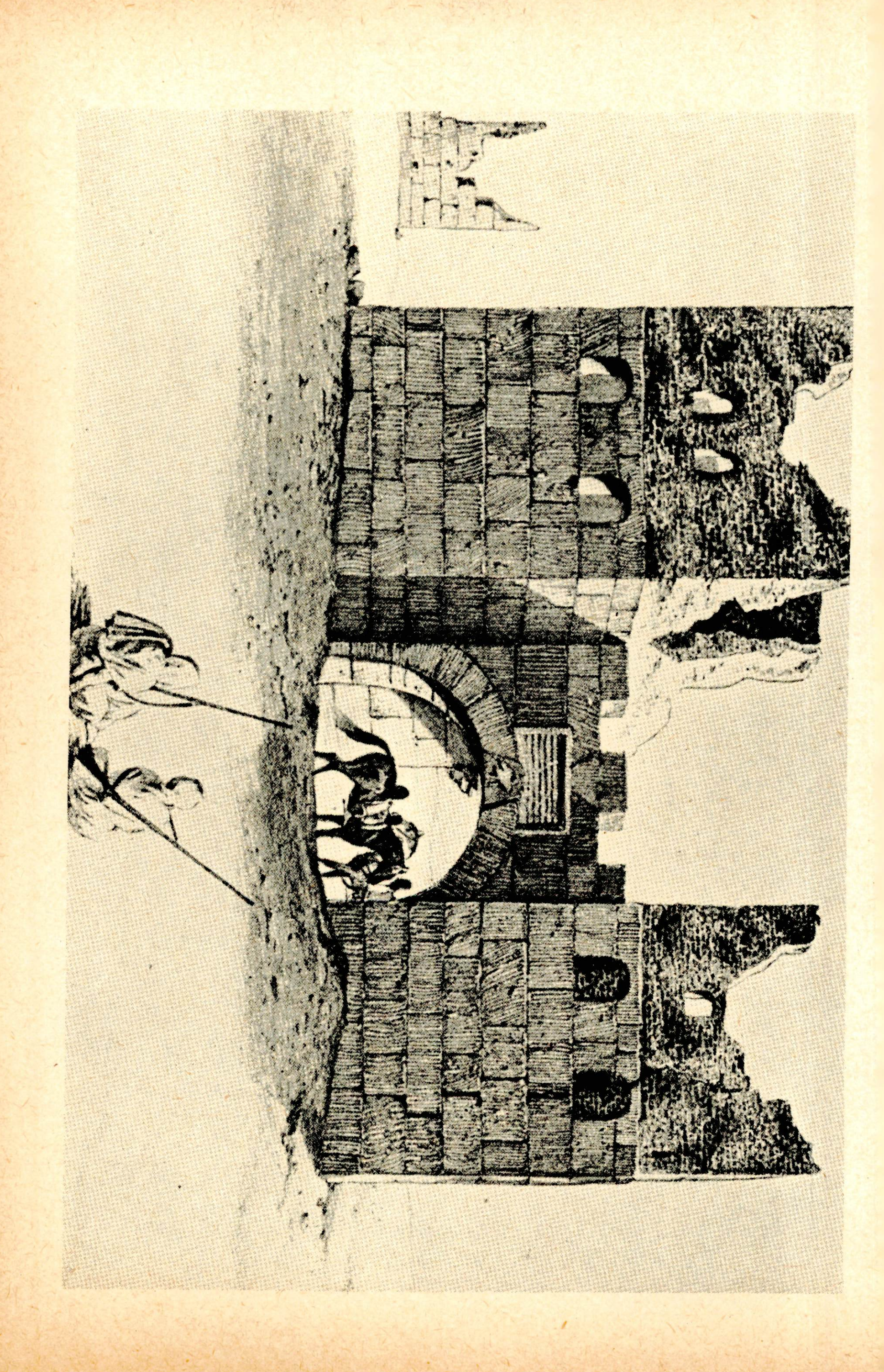
اللوحة ٢٢ : المسرح في صبراته ، أخذ المنظر من الجو تجاه الغـــرب .
وترى المدينـــة القديمة بأطـــراف الصورة .



اللوحة ٢٣ : الاوركسترا ، ومنصة التمثيل ، والمسرح فى صبراتة
(بتصريح من ـ جناح ـ طرابلس) .

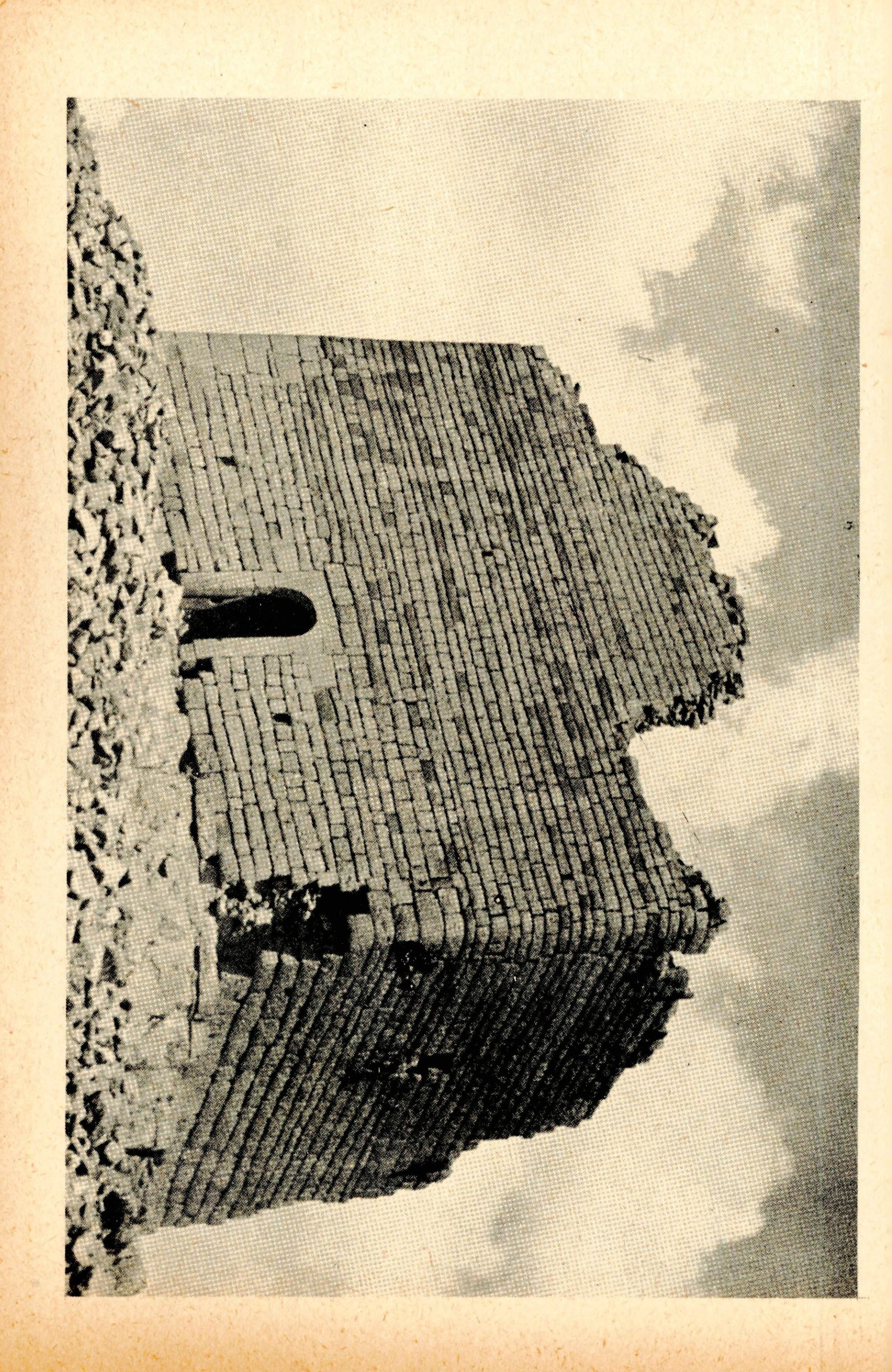


اللوحة ٢٤ : البــوابة الشمالية فى حصن أبو نجيم . أخذت الصورة من رسم وضعه كابتن ج.ف . ليون عام ١٨١٩ فى كتابه (رحلات بشــمال أفريقيا ، تأليف ج.ف.ليون ١٨٢١).

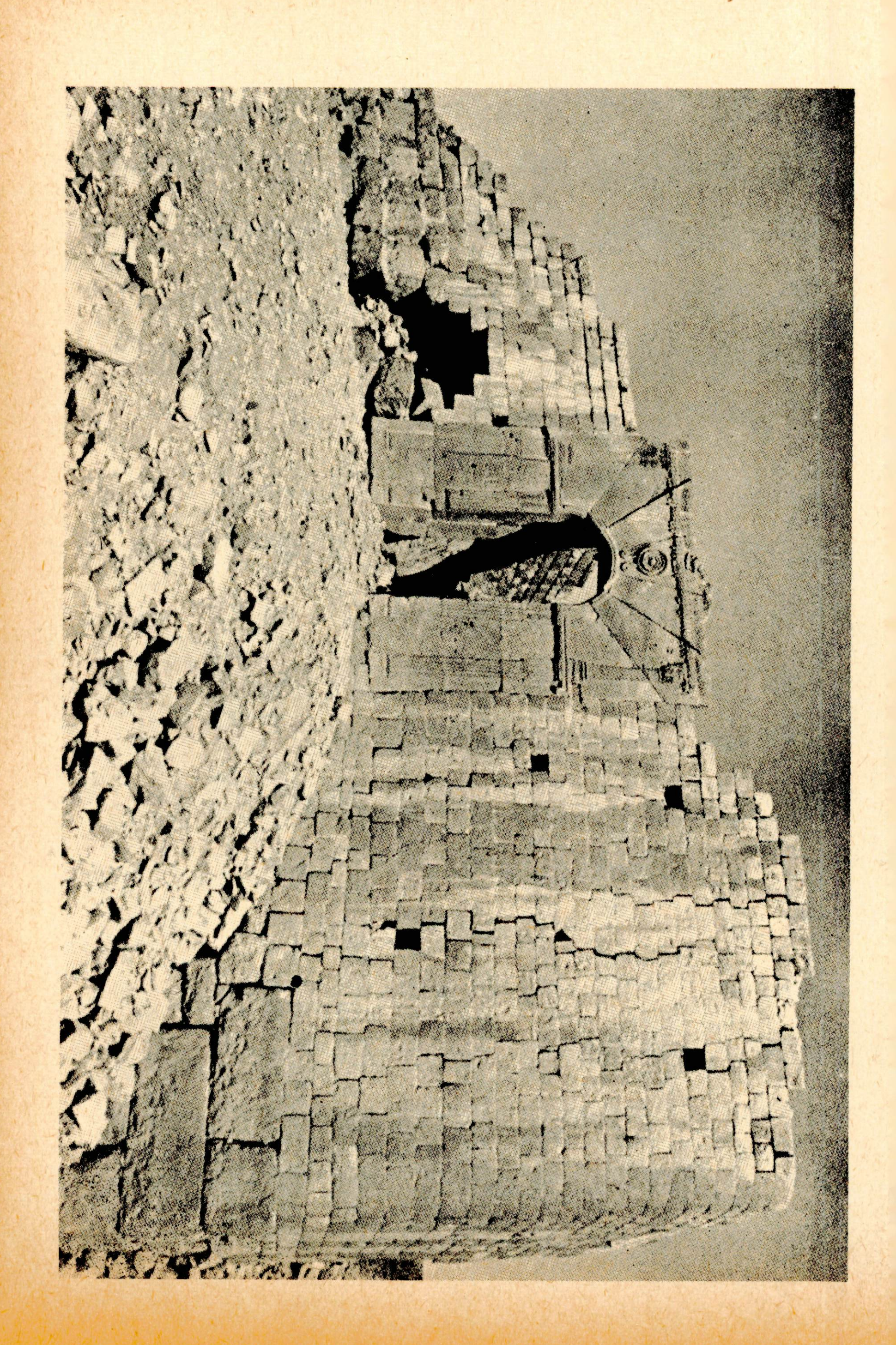


اللوحة ٢٥ : مزرعة محصنة فى بئر شدوة بوادى سوف اجين ، مبنى أشبه بالبرج بحالة جيدة ، يتكون من ثلاثة طوابق .

(تصوير ا٠ت٠أ٠ل)



اللوحة ٢٦ : مزرعة محصنة فى بئر تسمة **بوادى سوف** اجين • وتتميز المزرعة بمدخلها المزخرف •

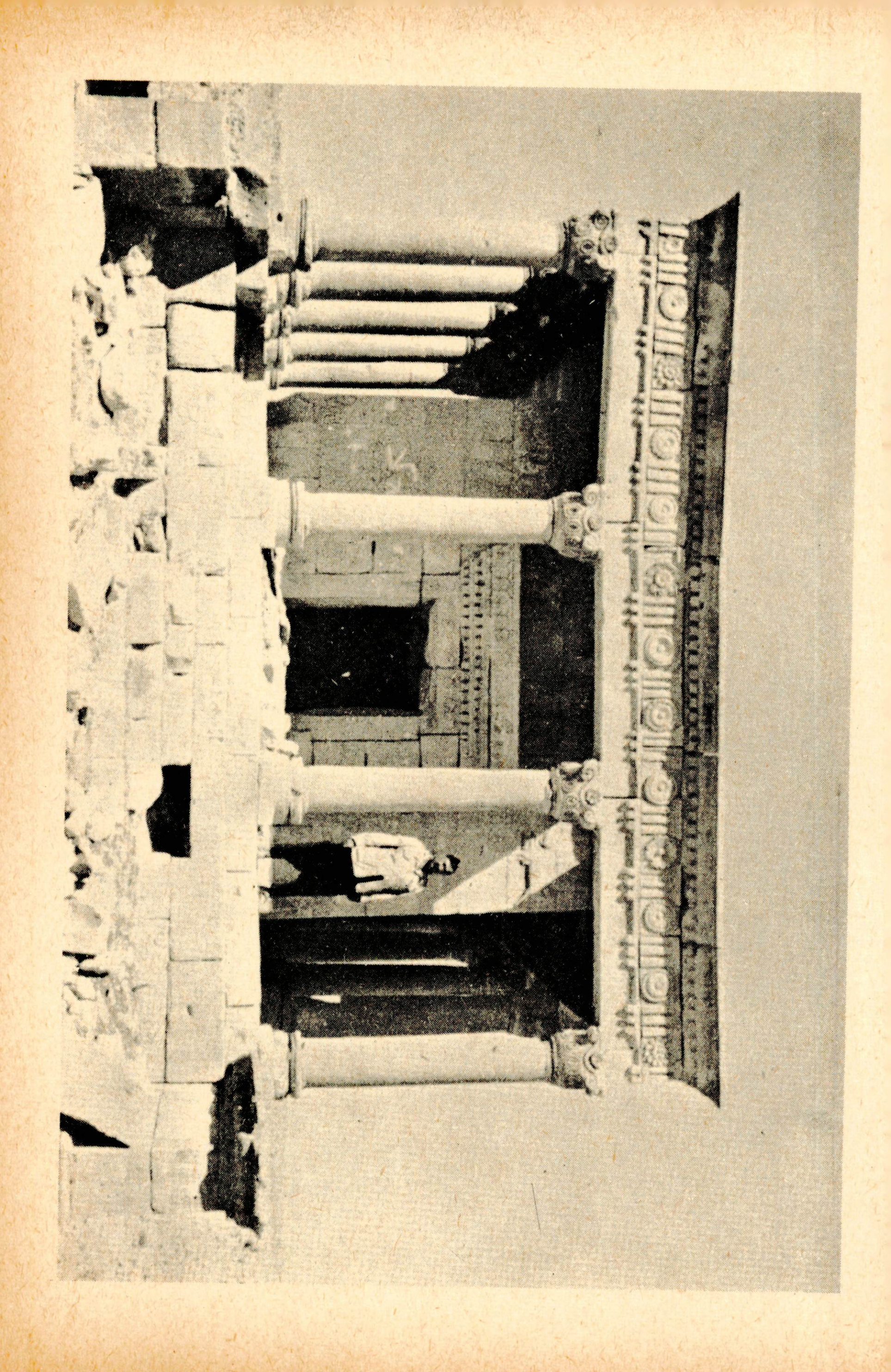


اللوحة ٢٧ : قرزة فى القـرن الرابع ب٠م ٠ صورة أخذت من رسم وضعه مستر الان سوريل باستشارة مسترأولوين بروجان ٠ كانت قرزة أكبـر مستعمرة اقامها الليبيـون بمنطق. الحدود وشـيدها الزراع من المقاتلين القدامى الذين كانوا يعرفون باسـم ليميتانى ٠ وتشتمل قرزة على ثلاثين مبنى متين ـ على أقل تقدير ـ بمـا فى ذلك ست مزارع كبيرة ومحصنة بدرجة عالية ، مربعة الشكل وتحتوى ساحة بوسـطها ٠ كان قاع الوادى وروافده يزرع عـلى نطاق واسع ، وكان به حواجز منخفضة كثيرة أقيمت بالحجر لمقاومة تيـار المـاء من جرف تربة القاع وتآكله وللاحتفاظ بالماء مدة تتيح تسربه الى باطن الارض ٠ فى أعلى الصـورة بالركن الايسـر ، تحت أقصى طرف مرئى من الوادى ، توجد احدى جبانتى المدينة ـ وهى الاقرب ٠ (بتصريح من الناشر لمجلة Illustrated London News

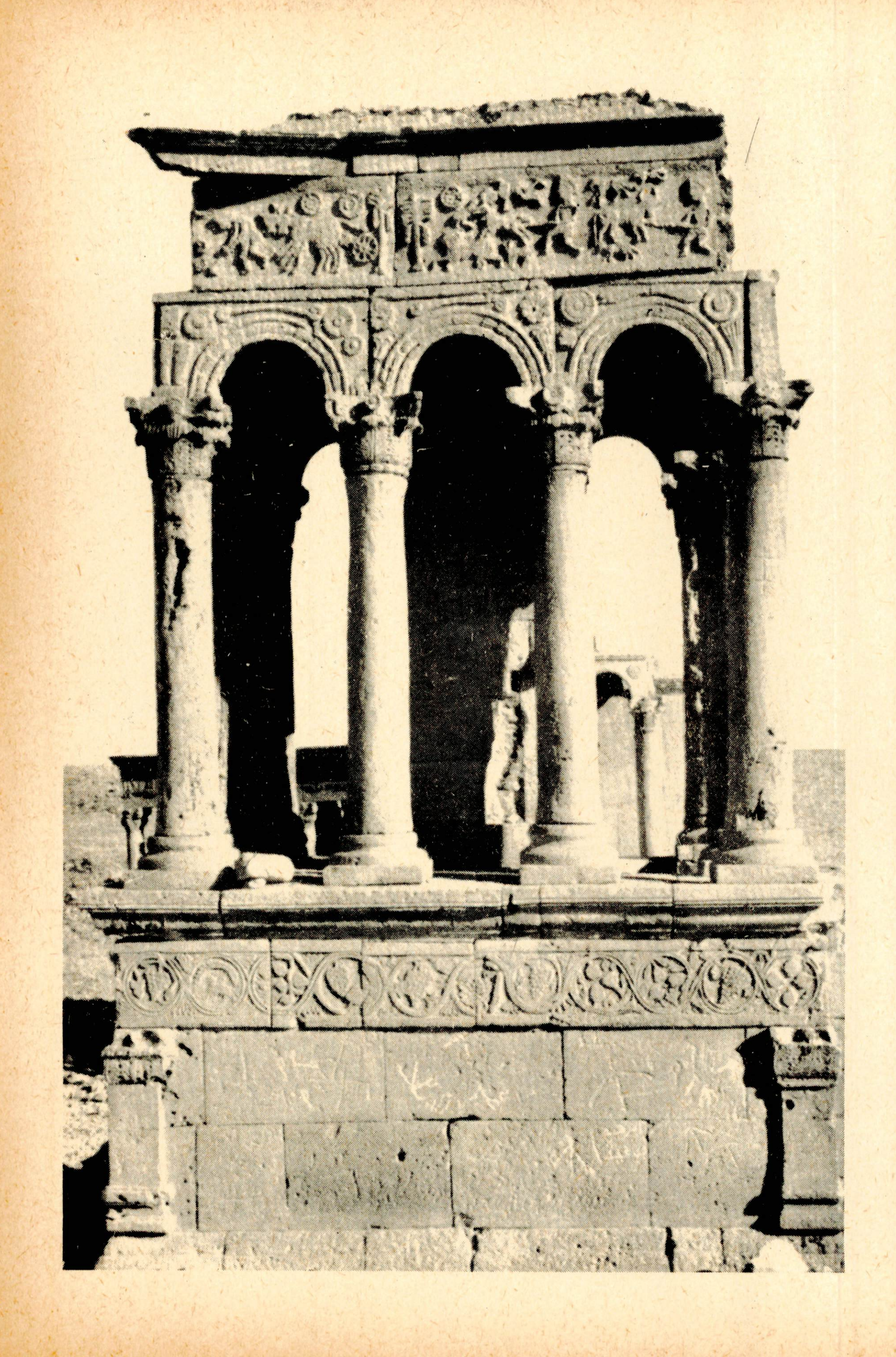


اللوحة ٢٨ : مقبرة على هيئة معبد فيالجبانة الشمالية فى قرزة • أخـذت الصورة من الشرق •

(تصوير مصلحة الاثار ــ طرابلس



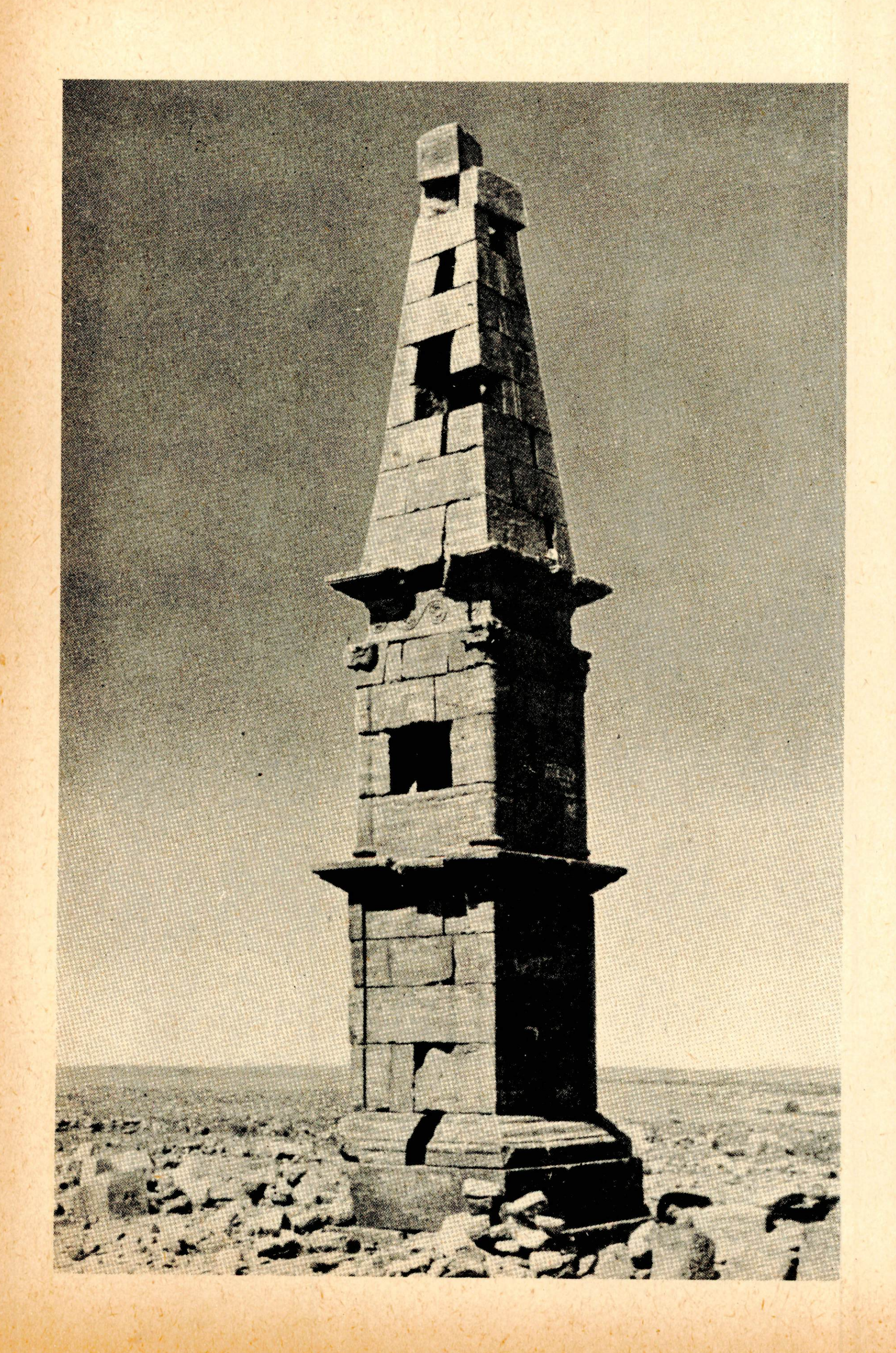
اللوحة ٢٩ : مقبرة على هيئة معبـدمعمد بالجبانة الشمالية فى قرزة .
أخذت الصورة من الجنوب . (تصوير مصلحة الاثار ـ طرابلس



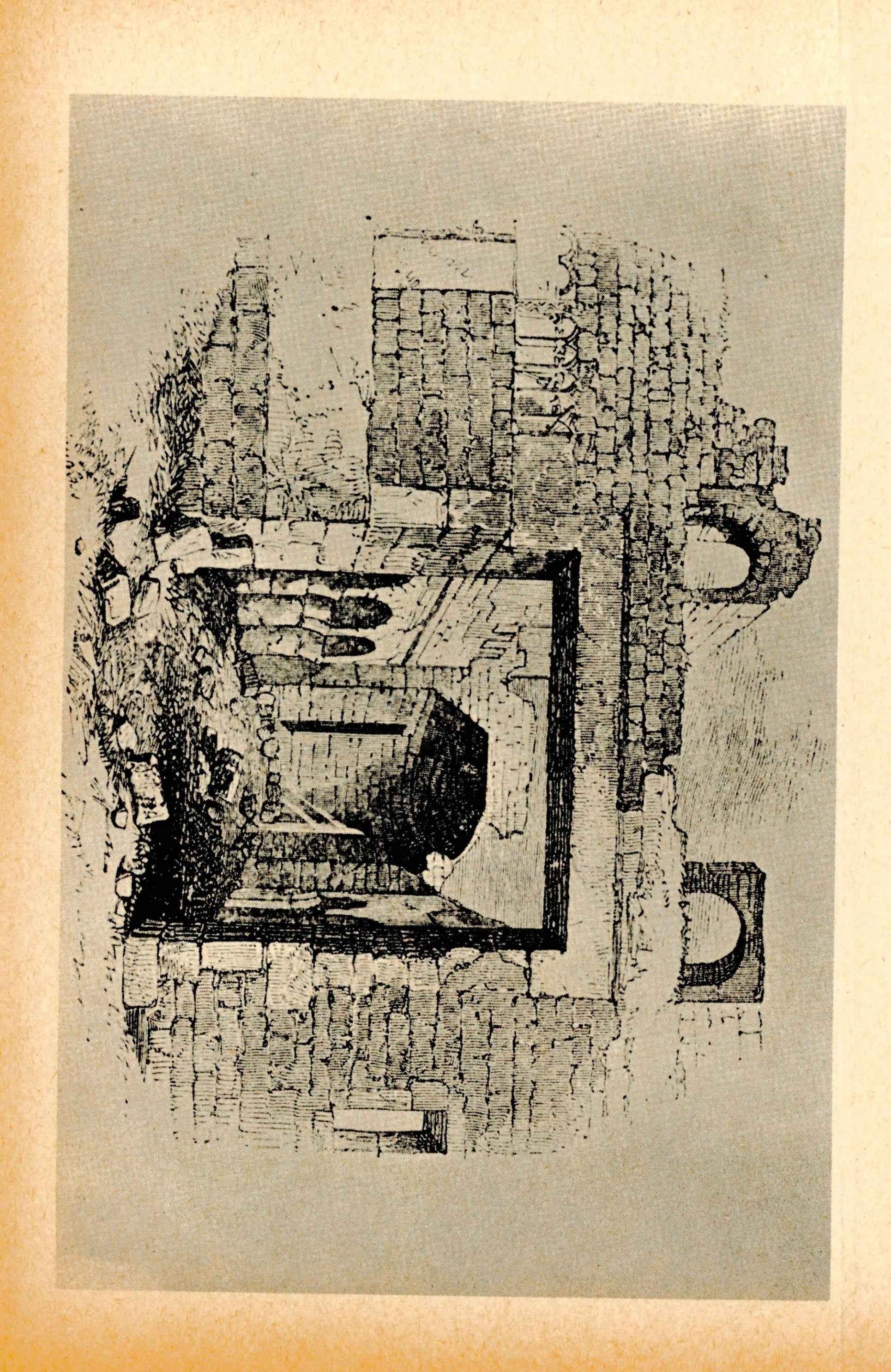
اللوحة ٣٠ : نحت من مقبرة قرزة ، نقل الى طرابلس ، يمثـــل رجلين يحصدان بينما الثالث يحمل ســلة مكدسة بمحتوياتها ٠
(تصوير مصلحة الاثار ـ طرابلس)



اللوحة ٣١ : مقبرة على هيئة مسلة فى مسلتين بوادى مردوم •



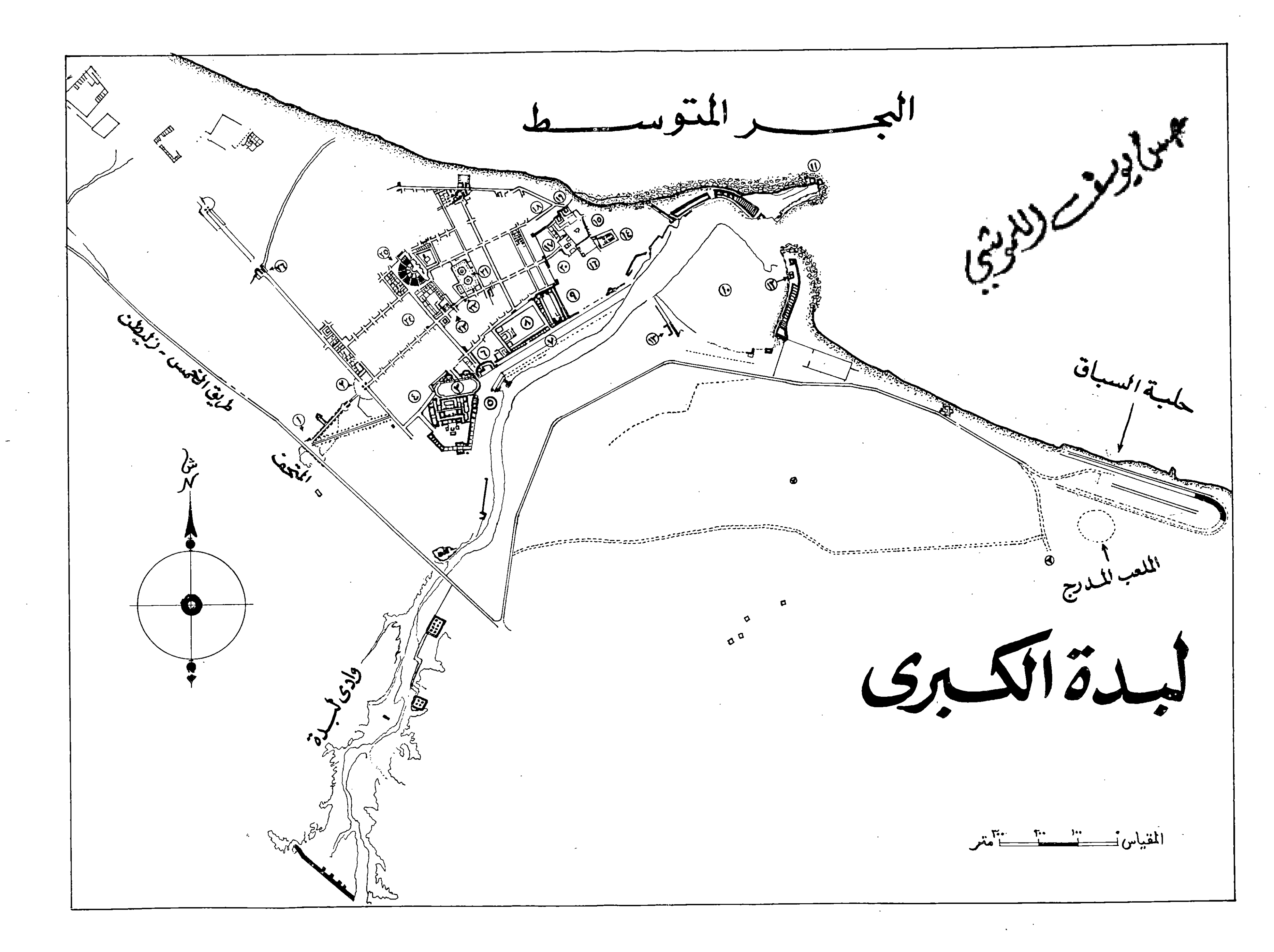
اللوحة ٣٢ : كنيسة فى خفاجى عامر . أخذت الصورة من الشرق ، من رسم رضعه هاينريخ بارث فى عام ١٨٥٠ فى كتابه :
Travels and Discoveries in North and Central Africa
1849-1855 London 1857. Vol. I.



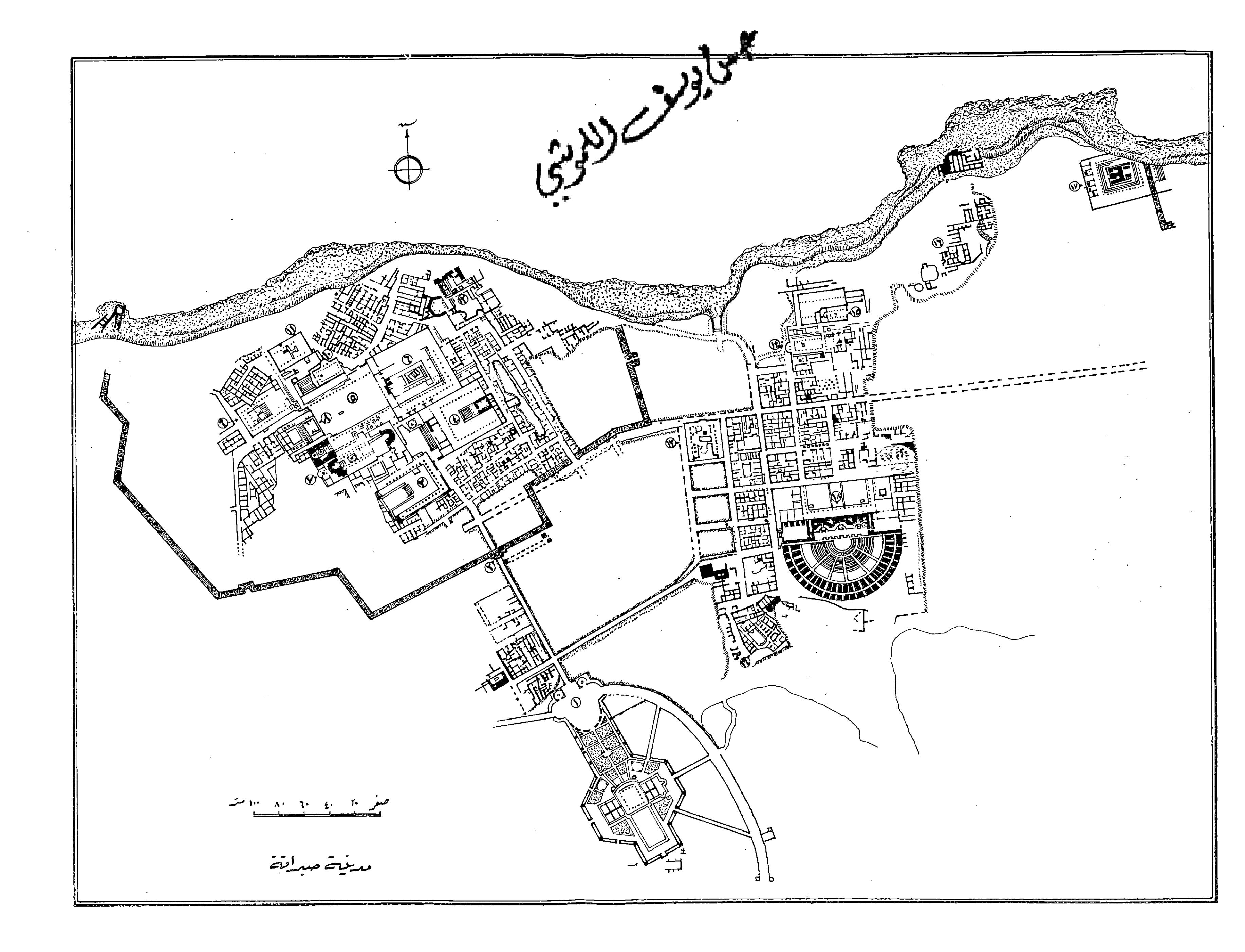
مطابع وزارة الاعلام والثقافة ، طرابلس ليبيا

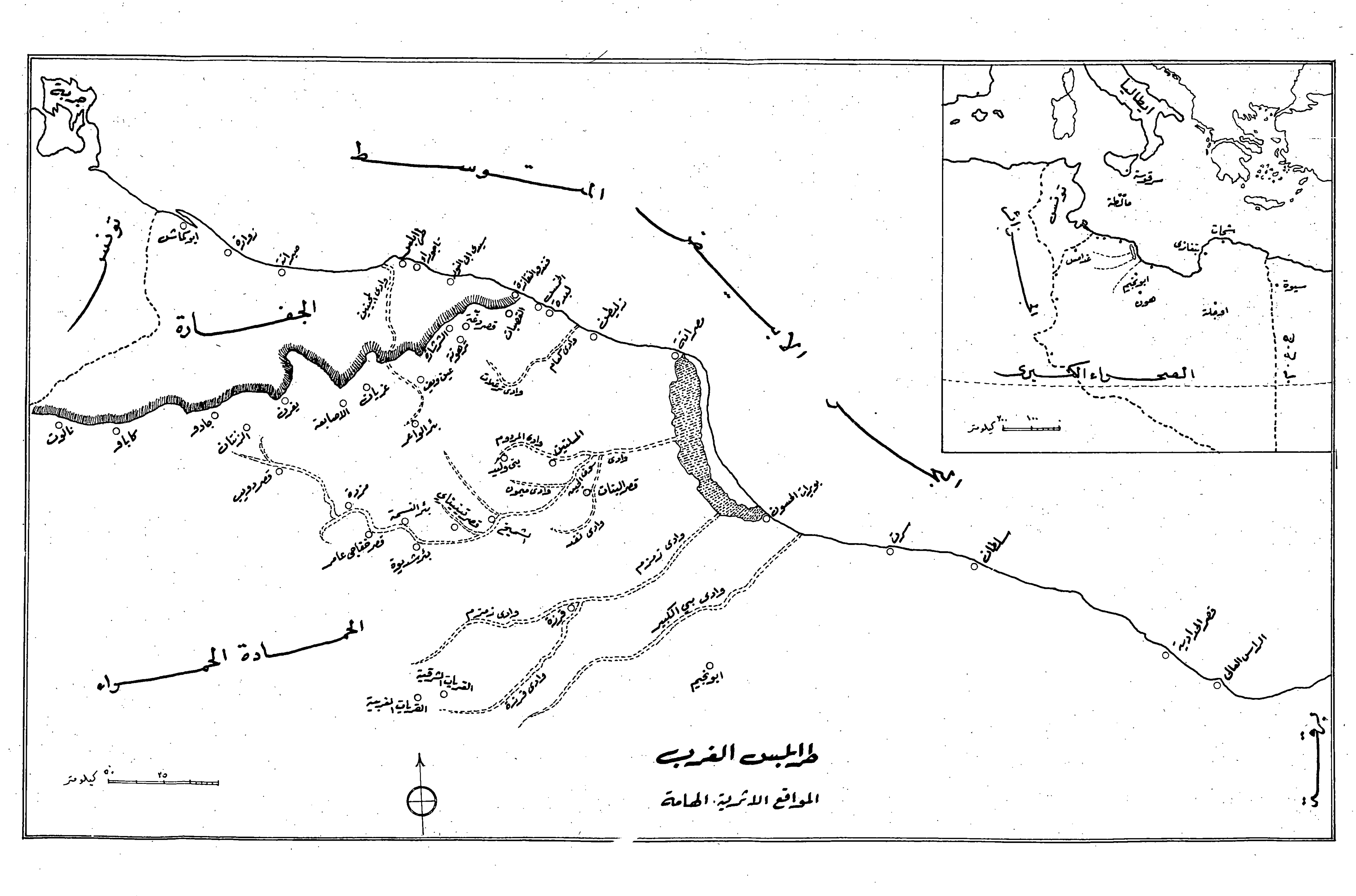
الثمن ٣٠٠ مليم

الخطـــأ	الصواب	ص
رأس الحداجية	رأس الحدادية	١٢
السينامًا	الصنمة	١٤١
= Arae...	قرارة قصر التراب	١٥
شيابة	شعبة الخيل	١٢٢
غرية الغربية	القريات الغربية	٢٧ــ٢٨ــ١٢٤
غرية الشرقية	القريات الشرقية	١٣٤
فاشية الحبس	فسقية الحبس	١٣٥
بئر الاوعار	بئر الواعر	١٤١
شيابة ام الغراب	شعبة ام الغراب	١٤٩



البحر المتوسط
حسن يوسف اللويشي
حلبة السباق
الملعب المدرج
طريق الخمس - زليطن
المتحف
وادي لبدة
لبدة الكبرى
المقياس
متر


صفر ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ متر
مدينة صبراتة


طرابلس الغرب
المواقع الاثرية الهامة
البحر المتوسط
تونس
جربة
الجفارة
الحمادة الحمراء
ابوكماش
زوارة
صبراتة
طرابلس
تاجوراء
وادي المجينين
القصبات
قصر دوغة
ترهونة
عين وفيف
غريان
الاصابعة
يفرن
جادو
كاباو
نالوت
الزنتان
بئر الواعر
زليطن
لبدة
مصراتة
وادي كعام
بني وليد
وادي المردوم
قصر البنات
وادي ميمون
وادي نفد
مزدة
بئر النسمة
قصر تيني
بئر شريوة
قصر قفاجي عامر
قصر دويب
بوقرين
وادي زمزم
وادي بي الكبير
قرزة
وادي قرزة
القريات الشرقية
القريات الغربية
ابونجيم
سرت
سلطان
الراس العالي
ليبيا
مالطة
غدامس
بنغازي
سيوة
اوجلة
هون
الصحراء الكبرى
ايطاليا
سرقوسة
كيلومتر



بازيليكه سبتميوس سيفيروس